www.kassioun.org

انجلس

اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة

www.kassioun.org

يا عمال العالم ، اتحدوا !

انجلس

اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة

لمناسبة ابحاث
لويس هنرى مورغان

دار التقدم
موسكو

www.kassioun.org

ترجمة الياس شاهين

طبع في الاتحاد السوفييتي

Э $\frac{0101010000 - 006}{014(01) - 86}$ без объявл.

www.kassioun.org

مقدمة الطبعة الاولى
عام ١٨٨٤

الفصول الواردة ادناه هي ، الى حد ما ، تنفيذ لوصيـــة . فان كارل ماركس بالذات هو الذي كان قد اعتزم ان يعرض نتائج ابحاث مورغان بالارتباط مع معطيات دراسته ــ واستطيـــع ان اقول ، ضمن حدود معينة ، دراستنا ــ المادية للتاريخ وان يوضح على هذا النحو وحسب كل اهميتها . ذلك ان مورغان قد اكتشف من جديد في اميركا وعلى طريقته المفهوم المادي عن التاريـــخ ، الذي سبق واكتشفه ماركس منذ اربعين سنة ، وعلى هداه توصل ، في النقاط الرئيسية ، عند مقارنته البربرية والحضارة ، الى نفس النتائج التي توصل اليها ماركس . وكما ان اقتصاديي المانيـــا الرسميين استنسخوا «رأس المال» بجهد يوازي عنادهم في لزوم الصمت حوله ، كذلك بالضبط سلك ممثلو علم «ما قبل التاريخ» في انجلترا حيال «المجتمع القديم» لمورغان * . وكل ما يستطيعه

„Ancient Society, or Researches in the Lines of Human Progress * from Savagery through Barbarism to Civilization". By Lewis H. Morgan. London, Macmillan and Co., 1877 («المجتمع القديم ، او البحث في خطوط التقدم البشري من الوحشية عبر البربريـــة الى الحضارة» . بقلم لويس هـ . مورغان . لندن ، ماكميلان وشركاه ، سنة ١٨٧٧) . صـــدر الكتاب في اميركا ، ومن الصعب للغاية الحصول عليه في لندن . توفي مورغان منذ بضعة اعوام .

www.kassioun.org

عملي ، هو ان يعوض ، بصورة ضعيفة ، عما لم يكتب لصديقي الراحل القيام به . ولكنه توجد عندي في عداد ملخصاته المسهبة من مورغان (١) ملاحظات انتقادية اوردها هنا بقدر ما تتعلق بالموضوع .

حسب المفهوم المادي ، يشكل انتاج وتجديد انتاج الحياة المباشرة ، في آخر تحليل ، العامل الحاسم في التاريخ . ولكنه هو ذاته ، مع ذلك ، ذو طبيعة مزدوجة . فمن جهة ، انتاج وسائل الحياة : سلع التغذية ، الالبسة ، المسكن ، والادوات الضرورية لهذا ؛ ومن جهة ثانية ، انتاج الانسان نفسه ، مواصلة النوع . وان النظم الاجتماعية التي يعيش في ظلها اهل عهد تاريخي معين وبلد معين يشترطها مظهرا الانتاج : درجة تطور العمل من جهة ، ودرجة تطور العائلة من جهة ثانية . فبقدر ما يكون العمل اقل تطوراً وكمية منتوجاته ، وبالتالي ثروة المجتمع ، اضيق حدوداً ، بقدر ما تتجلى تبعية النظام الاجتماعي للعلاقات العشائرية بمزيد من القوة . هذا مع العلم ان انتاجية العمل تتطور اكثر فاكثر على الدوام في نطاق بنية المجتمع هذه ، القائمة على العلاقات العشائرية ، ومعها تتطور الملكية الخاصة ، والتبادل ، والفوارق في الممتلكات ، وامكانية الاستفادة من قوة عمل الغير ، ويتطور بالتالي اساس التناقضات الطبقية : العناصر الاجتماعية الجديدة التي تحاول على مر الاجيال ان تكيف النظام الاجتماعي القديم للظروف الجديدة الى ان يؤدي ، في آخر الامر ، التنافر بين القديم والجديد ، الى انقلاب تام . فان المجتمع القديم ، القائم على الاتحادات العشائرية ، يتفجر بفعل اصطدام الطبقات الاجتماعية المتشكلة حديثاً ؛ ومكانه يحل مجتمع جديد ، يتشكل في دولة ، ولم تبق الاتحادات العشائرية حلقاته الدنيا ، بل اصبحتها الاتحادات الاقليمية ، مجتمع يخضع فيه النظام العائلي

www.kassioun.org

كلياً لعلاقات الملكية ، وتتطور فيه بكل حرية من الآن وصاعداً التناقضات الطبقيـــة والنضال الطبقي التي تؤلف مضمون التاريخ **المكتوب** كله حتى ايامنا هذه .

وماثرة مورغان الكبرى انه اكتشف هذا الاساس من قبل التاريخ لتاريخنا المكتوب وبعثه بخطوطه الكبرى ، ووجـــد في العلاقات العشائرية للهنود الحمر في اميركا الشمالية المفتاح لفض أهم الغـــاز التاريخ القديم ، الاغريقي والروماني والجرماني ، غير المفضوضة حتى الآن . ومؤلفه ليس عمل يوم واحد فقط . فقد درس مادته زهاء اربعين سنة الى ان استوعبها تماماً . ولكن كتابه جاء بالمقابل واحداً من مؤلفات زمننا القليلة التي تشكل عهداً .

وفي العرض الوارد ادناه ، من السهل تماماً وكلياً على القارئ ان يميز بين ما يخص مورغان وبين ما أضفته انا . ففي القسمين التاريخيين عن اليونان وروما ، لم اكتف بمعطيات مورغان ، بل اضفت ما كان تحت تصرفي . اما القسمان عن السلت والجرمان ، فهما يخصانني اساساً ؛ فان مورغان كان يملك هنا مواد اخذها كلها تقريباً مـــن مصادر اخرى ، ولم يكـــن يملك عن الجرمان ــ باستثناء تاقيطس ــ الا تزييفات السيد فريمان (٢) الليبيراليـــة الرديئة . والتعليلات الاقتصادية التي كانت كافية للاهداف التي ابتغاها مورغان ، وغير كافية ابداً للاهداف التي ابتغيتها انا ، انما اعدت صياغتها كلها من جديد . واخيراً ، بديهي اني مسؤول عن جميع الاستنتاجات التي عرضتها دون الرجوع مباشرة الى مورغان .

كتبت نحو ٢٦ ايار (مايو) ١٨٨٤

صدرت في كتاب : F. Engels.
„Der Ursprung der Familie,
des Privateigenthums und des Staats."
Hottingen-Zürich, 1884

تصدر حســب نص الطبعـــة الالمانيـــة الرابعـــة لعام ١٨٩١

www.kassioun.org

مقدمة الطبعة الالمانية الرابعة

عام ١٨٩١

مساهمة في تاريخ العائلة البدائية

(باهوفن ، مالكـلينان ، مورغان)

الطبعات السابقة من هذا الكتاب التي صدرت باعداد كبيرة قد نفدت كليا منذ حوالي نصف سنـــة ؛ ومن زمان ، طلب مني الناشر • اعداد طبعة جديدة . وحتى الآن حالت دوني والقيام بذلك اعمال عاجلة . ومنذ صدور الطبعة الاولى ، تصرمت سبع سنوات ، وفي هذه السنوات تحققـــت نجاحات كبيرة في دراســـة الاشكال البدائية للعائلة . ولهذا كان من الضروري ادخال اصلاحات واضافات دقيقة هنا خصوصاً وان نية طبع النص الحالي نقلا عن الكليشهـات تحرمني لفترة من الوقت امكانية اجراء التعديلات اللاحقة .

وهكذا اعدت النظر في النص كله بدقة وانتباه ، وادخلـت جملة من الاضافات احدث فيها بالحسبان بقدر كاف ، كما آمل ، حالة العلم في الوقت الحاضر . ثم اني اورد ادناه ، في هذه المقدمة ، لمحة موجزة عن تطور النظرات الى تاريخ العائلة ، ابتداء من باهوفن حتى مورغان ؛ واني افعل ذلك بصورة رئيسية لأن مدرسة التاريخ البدائي الانجليزية ذات الميول الشوفينية تبذل كل ما في وسعها ، كما من قبل ، لكي تلزم الصمت حول الانقلاب الذي حققّته اكتشافات مورغان في حقل النظرات الى التاريخ البدائي ، دون ان تستحي ، مع ذلك ، من ان تنسب لنفسهـــا النتائج التي

• ـ ي . ديتس . الناشر .

www.kassioun.org

توصل اليها مورغان . ناهيك بانهم هنا وهناك في البلدان الاخرى يتبعون هذا المثال الانجليزي بفائق الحمية .

لقد ترجم عملي الى مختلف اللغات الاجنبيـــة . بادئ ذي بدء الى الايطالية : «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» ، ترجمة باسكواله مارتينييتي ومراجعة المؤلف ، دار بينيفنتـو ، عام ١٨٨٥ . ثم الى الرومانية : «اصل العائلة والملكية الخاصـة والدولة» ، ترجمة يون نيديجده ؛ صدرت الترجمة في مجلة ياسي «Contemporanul» من ايلول (سبتمبر) ١٨٨٥ الى ايـــار (مايو) ١٨٨٦ ؛ ثم الى الدانماركية : «اصل العائلـة والملكيـة الخاصة والدولة» ، وقد أعدّ غرسون تريز الطبعة . كوبنهاغن ، عام ١٨٨٨ ؛ والترجمة الفرنسية بقلم هنري رافه ، نقلا عن هذه الطبعة الالمانية ، هي قيد الطبع .

* * *

قبل بداية الستينيات ، لم يكن من الممكن ان يتناول الكلام تاريخ العائلة . فان علم التاريخ في هذا الميدان كان لا يزال بعد بكليته خاضعا لتاثير اسفار موسى الخمسة (التوراة) . فان شكل العائلة البطريركي ، الموصوف هناك باسهاب اكثر مما في اي مكان آخر ، لم يعتبروه قطعا اقدم شكل وحسب ، بل اعتبروه ايضا مماثلا تماما ـ باستثنـــاء تعدد الزوجات ـ لشكل العائلـــة البرجوازيـــة المعاصرة ؛ وعليه لم يطرأ حقا وفعلا ، حسب زعمهم ، اي تطـور تاريخي على العائلة . واكثر ما أجازوه ، هو امكان وجود مرحلـــة من العلاقات الجنسية غير المنظّمة في الازمنة البدائية .ـ صحيح انهم كانوا يعرفون ايضا ، علاوة على شكل الزواج الاحادي ، شكل تعدد الزوجات الشرقي وشكل تعدد الازواج الهندي التيبتـــي ؛ ولكنه كان من المستحيل وضع هذه الاشكال الثلاثة في تعاقـــب

www.kassioun.org

تاريخي ، فظهرت بعضها الى جانب بعض دون اي صلة متبادلة . اما ان النسب عند بعض شعوب العالم القديم ، كما عند بعض الشعوب المتوحشة التي لا تزال موجودة ، لم يكن الى الاب بل الى الام ، وان خط الام كان يعتبر بالتالي الخط الوحيد الذي لـــه شان ؛ وان الزواج ممنوع عند كثير من الشعوب المعاصرة داخل جماعات معينة ، كبيرة الى هذا الحد او ذاك ، لم تتناولها الدراسة بعد باسهاب وتفصيل ، وان هذه العادة لا تزال قائمة في جميـع مناطق الدنيا ، ــ فان هذه الوقائع كانت ، حقا وفعلا ، معروفـــة ، وكانت الامثلة من هذا الطراز تتراكم اكثر فاكثر . ولكن احدا لم يكن يعرف كيف يتناولها ويدرسها ، بل انها تظهر ببساطة ، حتى في «ابحـــاث في تاريخ البشريـــة البدائي ، الخ ..» لمؤلفـــه ا . ب . تايلور (١٨٦٥) (٣) ، بمثابة «عادات غريبة» الى جانب تحريم بعض المتوحشين للمس حطبة مشتعلة باداة حديديـــة ، وغير ذلك من النزهات الدينية .

ان دراسة تاريخ العائلة تبدأ منذ عام ١٨٦١ ، عندما صدر عمل باهوفن «حق الام» (٤) . فقد تقدم المؤلف في هذا العمـــل بالموضوعات التالية : ١ ــ في البدء كانت توجد عند البشر علاقات جنسية غير محدودة ، أطلق عليها التعبير غير الموفق «الهيتيرية» («Hétérisme») ؛ ٢ ــ ان هذه العلاقات تنفي كل امكانية لتقديم الدليل الأكيد على الابوة ، ولهذا لم يكن من الممكن تقرير النسب الا حسب خط الام ــ بموجب حق الام ، ــ كما كان الحال في البدء عند جميع شعوب الازمنة الغابرة ؛ ٣ ــ من جراء هذا ، تمتعت النساء ، بوصفهن امهات ، بوصفهن الوالدات الوحيدات المعروفات بكـــل ثقة وتاكيد للجيل الفتي ، بقدر كبير من الاحترام والتقدير ، بلغ ، برأي باهوفن ، حد سيادة النســـاء التامة («الجينيكوقراطيـــة» Gynécocratie اي «حكم النساء») ؛ ٤ ــ ان الانتقال الى الزواج

www.kassioun.org

الاحادي الذي تخص المرأة بموجبه رجلا واحداً لا غير كان ينطوي على مخالفة لوصية دينية متقادمة العهد (اي على مخالفة عملية لحق الرجال الآخرين المزمن في هذه المرأة) ، مخالفة كان ينبغي التكفير عنها او كانت تجاز بشرط التعويض عنها ، اي انه كان ينبغي على المرأة في خلال فترة معينة ان تضاجع غير زوجها من الرجال .

والادلة على هذه الموضوعات يجدها باهوفن في استشهادات عديدة ، مجموعة بفائق الدقة والعناية ، من ادب الازمنة الغابرة الكلاسيكي . وان التطور من «الهيتيرية» الى احادية الزواج ، ومن حق الام الى حق الاب يجري ، برأيه ، ـ ولا سيما عند الاغريق ، ـ اثر تطور التصورات الدينية المطرد ، اثر تنصيب آلهة جدد ، يمثلون المفاهيم الجديدة ، في مجموعة الآلهة التقليدية التي تمثل المفاهيم القديمة ، الامر الذي يؤدي الى زحزحة هذه المفاهيم القديمة اكثر فاكثر الى المؤخرة من قبل المفاهيم الجديدة . وعليه ، ليس تطور الظروف الفعلية لحياة الناس ، بل الانعكاس الديني لهذه الظروف في رؤوس هؤلاء الناس بالذات هو الذي افضى ، برأي باهوفن ، الى التغيرات التاريخية في وضع الرجل والمرأة الاجتماعي المتبادل . وتبعاً لذلك ، يفسر باهوفن ثلاثية «اوريستية» المسرحية لاسخيلوس على انها تصوير درامي للصراع بين حق الام الهالك وحق الاب الذي انبثق في العهد البطولي وانتصر . فان كليتمنسترا ، ارضاء لعشيقها ايغيست ، قد قتلت زوجها اغممنون بعد عودته من حرب طروادة ؛ ولكن اوريست ، ابنها وابن اغممنون ، يقتل امه انتقاماً لمقتل ابيه . ونظراً لذلك ، تطارده الايرينّيات (Erinnyes) الحاميات الشيطانيات لحق الام ، الذي يعتبر قتل الام اقدح جريمة ، وجريمة لا تغتفر . ولكن ابولون الذي اقنع اوريست ، بوسيط

www.kassioun.org

الوحي ، بالتراف هذا العمل ، واتينا التي يدعونها للقضاء في هذه المسالة ، ـ وهذا الاله وهذه الالهة يمثلان كلاهما هنا النظام الجديد القائم على حق الاب ، ـ يحميان اوريست ؛ وتستمع اثينا الى الطرفين . ان كل موضوع النزاع وارد بايجاز في المناقشات التي تجري بين اوريست والايرينيات . فان اوريست يستند الى كون كليتمنسترا قد ارتكبت اثما مزدوجا بقتلها زوجها هي ووالده هو في الوقت نفسه . فلماذا تلاحقه اذن الايرينيات ولم يلاحقنها هي ، المذنبة اكثر منه بكثير ؟ الجواب مدهل :

«لم تكن مع الزوج الذي قتلته في قرابة الدم» * .

ان قتل امرئ لا تربطه بالقاتل رابطة الدم ، حتى وان كان زوج المرأة التي قتلته ، تمكن فديته ؛ ولا علاقة ابداً للايرينيّات بهذا الامر . فشانهن ألاّ يلاحقن جريمة القتل الا عندما تقع وسط الاقرباء بالدم ، وجريمة قتل الام هي ، في هذه الحال ، بموجب حق الام ، افدح جريمة لا يمكن افتداؤها بشيء . ولكن ها هو ذا ابولون ياخذ جانب الدفاع عن اوريست ؛ وتطرح اثينا المسالة على التصويت امام اعضاء «الاريوباغ» ـ اي امام المحلفين الاثينيين ؛ فانقسمت الاصوات قسمين متعادلين ، قسم يؤيد التبرير وقسم يؤيد المعاقبة ؛ آنذاك صوتت اثينا بوصفها رئيسة المحكمة في صالح اوريست واعلنت براءته . وهكذا انتصر حق الاب على حق الام ، وتغلب «آلهة الجيل الاصغر» ، كما تسميهم الايرينيّات ذاتهن ، على الايرينيّات ؛ وفي آخر المطاف ، تنتقل الايرينيّات ايضاً الى خدمَة النظام الجديد آخذات على انفسهن واجبات جديدة .

ان هذا التفسير الجديد ، ولكن الصحيح تماما لثلاثية «اوريستية» المسرحية هو من اروع واحسن الاماكن في كل كتاب

* **اسخيلوس** . «اوريستية . الايرينيات» . **الناشر** .

www.kassioun.org

باهوفن ، ولكنه يثبت في الوقت نفسه ان باهوفن يؤمن على الاقل بالايرينّيات وابولون والينا كما كان يؤمن بهم اسخيلوس في زمنه اي انه يؤمن بانهم اجترحوا معجزة في العهد البطولي الاغريقي: فقد دكوا الحق الامي واحلوا محله الحق الابوي . وواضح ان هذا المفهوم الذي يقول ان الدين يقوم بالدور الفاصل في تاريخ العالم يؤدي في آخر المطاف الى الصوفية الصرف . ولهذا كانت دراسة كتاب باهوفن ــ وهو عبارة عن مجلد ضخم كبير القطع ــ عملاً صعباً وابعد من ان يكون دائماً مثمراً . ولكن هذا لا يقلل من منزلة باهوفن بوصفه بحاثة شق سبيلا جديداً . فهو اول من نبذ الكلام الفارغ عن الحالة البدائية المجهولة المرفقة بعلاقات جنسية شاذة ، وقدم البرهان على وجود شواهد كثيرة في الادب الكلاسيكي القديم تؤكد ان الاغريق والشعوب الآسيوية قد عرفت بالفعل قبل الزواج الاحادي حالة لم يكن فيها الرجال وحسب يدخلون في علاقات جنسية مع بضع نساء بل كانت فيها النساء ايضاً يدخلن في علاقات جنسية مع بضعة رجال ، دون ان يشكل ذلك مخالفة للعادة ، سواء من جانب الرجل او المرأة . واثبت ان هذه العادة قد خلف زوالها اثراً تجلى في واجب المرأة ، المحصور ضمن اطار معين ، بافتداء حقها في الزواج الاحادي بمضاجعة رجال آخرين ؛ وانه ، لهذا السبب ، لم يكن من الممكن في البداية حساب الاصل الا تبعاً للخط النسائي ، اي من ام الى ام ؛ وان اهمية الخط النسائي الاستثنائية هذه قد بقيت زمناً طويلا حتى في مرحلة الزواج الاحادي ، عندما اصبحت الابوة ثابتة او عندما صارت ، على كل حال ، تلقى اعترافاً ؛ واثبت اخيراً ان وضع الامهات الاولي هذا بوصفهن الوالدات الوحيدات الأكيدات لاولادهن قد كفل لهن ، وللنساء على العموم في الوقت نفسه ، منزلة اجتماعية عالية لم يشغلنها قط مذ ذاك . صحيح ان باهوفن

www.kassioun.org

لم يضع هذه الموضوعات بمثل هذا الوضوح ؛ فقد اعاقته عن ذلك نظرته الصوفية الى العالم . ولكنه قدم البرهان عليها ، وكان هذا في عام ١٨٦١ بمثابة ثورة كاملة .

كتب باهوفن كتابه الضخم باللغة الالمانية اي بلغة امـــة كانت في ذلك الحين تهتم ، اقل ما تهتم ، بما قبل تاريخ العائلـة الحديثة . ولهذا بقي الكتاب مجهولا . بل ان اقرب وريث لباهوفن تناول الموضوع ذاته في عام ١٨٦٥ لم يسمع به .

هذا الوريث كان ج . ف . ماك-لينان ، النقيض المباشر السافر لسلفه . فعوضاً عن الصوفي العبقري ، نجد امامنا حقوقيا جافاً ؛ وعوضاً عن الخيال الشعري الجامح ، نجد مطالعات محام امـــام المحكمة مبنية وموزونة بدقة وامعان . فان ماك-لينان يجد عند كثير من الشعوب المتوحشة والبربرية وحتى المتمدنـــة في الزمن القديم والجديد شكلا لعقد الزواج كان يترتب بموجبه على العريس ان يتصرف كانما يخطف بالقوة ، هو وحده او مع اصدقائـــه ، العروس من عند اهلها . وهذه العادة ، على ما يبدو ، هي بقيـــة عادة اقدم عهداً ، كان بموجبها رجال احدى القبائل يخطفـــون فعلا بالقوة لأنفسهم الزوجات من خارج قبيلتهم ، من عند القبائل الاخرى . فكيف ظهر اذن هذا «الزواج-الخطف» ؟ طالمـــا كان في مستطاع الرجال ان يجدوا ما يكفي من النساء في قبيلتهم بالذات ، لم يكن ثمة داع لمثل هذا الزواج . ولكننا نجد في عدد كبير مماثل من الحالات انه توجد عند الشعوب غير المتطورة جماعات معينة (في عام ١٨٦٥ كانوا لا يزالون يعتبرونها في احيان كثيرة من عداد القبائل) كان الزواج في داخلها ممنوعا ، ولذا كان الرجال مضطرين الى اخذ نساء لهم ، والنساء مضطرات الى اخذ رجال لهن ، من خارج الجماعة المعنية ؛ ناهيك بانه توجد عند شعوب اخرى عادة تقضي بألا ياخذ الرجال من جماعة معينـــة نساء لهم الا من داخل

www.kassioun.org

جماعتهم بالذات . ويسمي ماك‌ـلينان الجماعات الاولى بجماعات «الزواج الخارجي» Exogamos والجماعات الثانية بجماعات «الزواج الداخلي» Endogamos ؛ ولكنه سرعان ما يشير ، بدون اي تعليل ، الى التناقض الحاد بين «قبائل» الزواج الخارجي و«قبائل» الزواج الداخلي . ورغم ان دراسته الخاصة بالذات للزواج الخارجي تقوده الى الاصطدام رأساً بالواقع التالي ، وهو ان هذا التناقض لا يوجد في كثير من الحالات ، ان لم يكن في اغلبيتها او حتى في جميعها ، الا في مخيلته ، فانه يبني مع ذلك كل نظريته على اساسه . وحسب نظريته ، لا يستطيع رجال قبائل الزواج الخارجي ان يأخذوا زوجات لهم الا من القبائل الاخرى ، وهذا لم يكن من الممكن تحقيقه في حالة الحرب الدائمة بين القبائل في مرحلة الوحشية الا عن طريق الخطف .

وبعد هذا ، يتساءل ماك‌ـلينان : من اين جاءت عادة الزواج الخارجي هذه ؟ ان التصورات بصدد القرابة بالدم والاختلاط بالدم لا تمت الى ذلك باي صلة ؛ فهما عبارة عن ظاهرات لم تظهر وتتطور الا بعد حقبة كبيرة . اما عادة قتل الاولاد من الاناث فور ولادتهن ،ـ وهي عادة واسعة الانتشار بين المتوحشين ،ـ فهي مسالة اخرى . فمن جراء هذه العادة ، يظهر في كل قبيلة بمفردها فيض من الرجال تكون عاقبته الاولى ، بصورة لا تدحة عنها ، تشارك بضعة رجال في امتلاك زوجة واحدة ، اي شكل تعدد الازواج . ومن هنا ، برأي ماك‌ـلينان ، ينجم ان ام الولد كانت معروفة بينما كان ابوه غير معروف ، ولهذا لم يكن يجري حساب القرابة الا بموجب الخط النسائي ، لا بموجب الخط الرجالي . وهذا ما كانه الحق الامي . اما العاقبة الثانية لنقص النساء داخل القبيلة ـ وهو نقص يخفف منه تعدد الازواج ولكنه لا يزيله ،ـ فقد كانها خطف نساء القبائل الاخرى بالقوة باستمرار .

www.kassioun.org

«وبمـــا ان الزواج الخارجي وتعدد الازواج يظهران بفعل السبب الواحد نفسه ،ـ اي عدم تساوي الجنسين عدديا ،ـ فانه ينبغي لنا ان نقر بان **تعدد الازواج كان موجودا في البدء عند جميع العروق ذات الزواج الخارجي** ... ولهذا يجب ان نعتبر مما لا جدال فيه ان اول نظام للقرابة بين العروق ذات الزواج الخارجي كان ذلك النظام الذي لم يعرف علاقات الدم الا من جانب الام» (ماك-لينان . «دراسات في التاريخ القديم» ، ١٨٨٦ . «الزواج البدائي» ، ص ١٢٤) (٥)

ومأثرة ماك-لينـــان انه اشار الى الاهميـــة الكبيرة لما اسمـــاه هو بالزواج الخارجي والى انتشاره في كل مكان . انه لم **يكتشف** على الاطلاق واقع وجود جماعات الزواج الخارجي ، وهو ، على كل حال ، لم يفهمـــه . وفضلا عن مختلف الملاحظات التي ادلى بها قبل ذاك كثيرون من المراقبين ،ـ وهم بالذات الذين كانوا مصادر ماك-لينان ـ وصف ليتام («الاتنولوجيا الوصفية» ، عام ١٨٥٩) (٦) بصورة دقيقة وصحيحة هذه المؤسســـة عند الماغـــار الهنود واعرب عن رأي مفـــاده ان هذه المؤسســـة منتشرة في كل مكان وانهـا موجودة في جميـــع مناطق العالم ،ـ وهذا ما يستشهـــد به ماك-لينان نفسه . ثم ان صاحبنا مورغان ذاته سبق له في عام ١٨٤٧ في رسائله عن الايروكوا (المنشورة في «اميريكان ريفيو» ـ «المجلة الاميركيـــة» ـ («American Review») وفي عام ١٨٥١ في عملـــه «عصبـــة الايروكوا» (٧) ان قدم الدليـــل على وجود مؤسسة مماثلة عند هذه المجموعة من القبائل واعطى وصفا صحيحا عنها ، في حين ان عقل المحامي عند ماك-لينان ، كما سنرى ، قد ادخل هنا من التشوش اكثر بكثير مما ادخله الخيال الصوفي عنـــد باهوفن في ميدان الحق الامّي . ومأثرة ماك-لينان الاخرى انـــه اعتبر نظام الاصـــل حسب الحق الامي هو الاول ، رغم انه اعترف بنفسه فيما بعد بان باهوفن قد سبقه في هذا الصدد . ولكننا نجد

1•

www.kassioun.org

هنا ايضاً بعض الغموض عنده ؛ فهو يتكلم على الدوام عن «القرابة حسب الخط النسائي وحده»(kinship through females only) ؛ ويستخدم دائماً هذا التعبير ، الصحيح ، بالنسبة لدرجات ابكر ، كذلك لدرجات لاحقة في سلّم التطور ، عندما كان الاصل وحق الوراثة لا يزالان يحسبان بموجب الخط النسائي بوجه الحصر ، بينا كانت القرابة تُحَدَّد ويُعْتَرف بها بموجب الخط الرجالي ايضاً . وهذه محدودية الحقوقي الذي يخلق لنفسه تعبيراً حقوقياً ثابتاً ويواصل استعماله بشكل لا يتغير ويطبقه على ظروف لم يعد يصلح لتطبيقه عليها .

ولكن نظرية ماك‌ـلينان ، رغم كل متانتها ورسوخها ، بدت لصاحبها نفسه ، على ما يظهر ، غير معللة تعليلا كافياً . وهو ذاته ، على كل حال ، لفت الانتباه الى

«ذلك الواقع الواسع الدلالة وهو ان الشكل الاوضح تعبيراً لخطف النساء» (الظاهري) «منتشر على وجه الدقة عند الشعوب التي **تسود** بينها القرابة **الرجالية**» (اي الاصل حسب الخط الرجالي) (ص ١٤٠) .

ثم قال :

«من الغريب ان قتل الاولاد ، بقدر ما نعرف ، لا يمارس ابدا بداب وانتظام حيث يوجد جنبا الى جنب الزواج الخارجي واقدم شكل للقرابة» (ص ١٤٦).

هذان الواقعان يتناقضان بكل جلاء مع طريقة تفسيره بالذات ، فلا يسعه ان يعارضهما الا بفرضيات جديدة ، اكثر غموضا وتشوشا .

ومع ذلك حظيت نظريته في بريطانيا بحار التحبيذ وواسع الصدى ؛ وكان الجميع هنا يعتبرونه مؤسس تاريخ العائلة والحجة الاولى في هذا الميدان . وان معارضته «قبائل» الزواج الخارجي

www.kassioun.org

« بقبائل » الزواج الداخلي قد بقيت ، رغم ثبوت بعض الاستثناءات والتغيرات ، اساساً معترفاً به من الجميع للمفاهيم السائدة ، وتحولت الى غمامة حالت دون اي دراسة غير متحيزة للميدان المدروس ، وحالت بالتالي دون اي خطوة حازمة الى الامام . وخلافاً لاستعظام مآثر مالينان في بريطانيا ، وكذلك في بلدان اخرى اقتداء ببريطانيا ، تجدر الاشارة الى انه ، بمعارضته « قبائل » الزواج الخارجي « بقبائل » الزواج الداخلي ، الناجمة عن مجرد سوء فهم ، قد احدث من الضرر اكثر مما جلب من النفع بدراساته .

ولكنه سرعان ما اخذت تتكشف اكثر فاكثر وقائع لا تتوضع في اطار نظريته الانيق الضيق . ذلك ان مالينان لم يعرف سوى ثلاثة اشكال للزواج : تعدد الزوجات ، وتعدد الازواج ، والزواج الاحادي . ولكن بما ان الانتباه قد وُجّه الى هذه الناحية ، فقد شرعوا يجدون اكثر فاكثر من الادلة على انه كانت توجد عند الشعوب المتخلفة اشكال للزواج كان بضعة رجال في ظلها يملكون بضع نساء بصورة مشتركة . وقد اقر **ليبوك** (« اصل الحضارة » ، عام ١٨٧٠) (٨) بهذا الزواج الجماعي (Communal marriage) كواقع تاريخي .

وبعد ذلك ، اي في عام ١٨٧١ ، تقدم **مورغان** بمادة جديدة وفاصلة في كثير من النواحي . فقد اقتنع بان نظام القرابة الطريف الساري المفعول عند الايروكوا كان ملازماً لجميع السكان الاصليين في الولايات المتحدة وبانه كان بالتالي منتشراً في عموم القارة ، رغم انه كان يناقض مباشرة درجات القرابة ، النابعة عملياً من نظام الزواج المعمول به هناك . وقد دفع مورغان الحكومة الاتحادية الاميركية الى جمع المعلومات عن انظمة القرابة عند مختلف الشعوب حسب الجداول ومجموعة الاسئلة التي وضعها بنفسه ،

www.kassioun.org

فتبين له من الاجوبة : ١ ــ ان نظام القرابة المعمول به عند الهنود الحمر في اميركا موجود كذلك عند عدد كبير من القبائل في آسيا ، وبشكل مختلف نوعاً في افريقيا واوستراليا ؛ ٢ ــ ان هذا النظام يجد تفسيراً كاملا لــه في ذلك الشكل من الزواج الجماعي ، الذي هو على وجــه الدقــة في طور الاضمحلال في جزر هاواي وفي الجزر الاوستراليــة الاخرى ؛ و٣ ــ انه يوجد مــع ذلك ، الى جانب هذا الشكل من الزواج ، وفي الجزر نفسها ، نظام آخر للقرابــة لا يمكن تفسيره الا بشكــل اقدم للزواج الجماعي لم يبق لــه وجود في الوقت الحاضر . وقد نشر مورغان المعلومــات المجموعة مــع استنتاجاته منها في مؤلفه «انظمة القرابة والنسب» ، الصادر في عام ١٨٧١ (٩) ، وبذلك نقل النقاش الى مجال ارحب بما لا يقاس . وعلى اساس انظمة القرابة ، بعث ما يناسبها من اشكال العائلــة ، وبذلك فتح طريقــاً جديداً امــام البحث ، ووفر امكانيــة النظر بمزيد من التعمق الى مــا قبــل تاريــخ البشريــة . ان انتصــار هذه الطريقــة كان من شانه ان يبدد تلفيقــات ماكــلينــان البديعة هباء .

ولهذا هبّ ماكــلينان الى الدفــاع عن نظريتــه في الطبعــة الثانية لمؤلفه «الزواج البدائي» («دراسات في التاريخ القديم» ، عام ١٨٧٦) . وهو يبني تاريخ العائلة بصورة مصطنعة الى اقصى حد ، معتمداً على الفرضيات وحسب ، ويتطلب في الوقت نفســه من ليبوك ومورغان لا البراهين على كل من اقوالهما وحسب ، بــل ايضاً براهين دامغة قاطعــة كالتي لا يقبل غيرهــا في المحكمــة الاسكوتلنديــة . هكذا بالذات يسلك ذلك الرجل الذي يستند الى وجود صلة وثيقة بين اخ الام وابن الاخت عند الجرمان (تاقيطس، «جرمانيا» ، الفصل ٢٠) والى حكاية قيصر القائلة ان لكل عشرة رجال او اثني عشر رجلا من البريطانيين (Bretons) زوجات مشتركات

www.kassioun.org

والى حكايات الكتاب القدامى الاخرى عن شيوعية النساء عند البرابرة ، فيستنتج ، دون اي تـردد ، ان تعدد الازواج هو الذي كان سائداً عند جميع هذه الشعوب ! يخيل للمرء انه يسمع مدعيـاً عامـاً مستعداً لأن يسمح لنفسه بالتصرف على هواه عند توجيه التهمة ، ولكنه يطالب جهة الدفاع بان تقدم برهاناً قاطعاً على كل كلمة له قوة البرهان القانوني .

ان الزواج الجماعي مجرد تلفيق . هكذا يقول ماكـلينان ، فيبدو بالتالي بعيداً وراء باهوفن . وبرأي ماكـلينـان ان نظـام القرابة عند مورغان هو عبـارة عن قواعـد بسيطـة للتهذيب الاجتماعي ، وهذا ما يثبته الواقع التـالي وهو ان الهنود الحمـر يخاطبون الغرباء ايضاً ـ اي البيض ـ بكلمة : اخ او والد . وهذا يعني كما لو ان احداً يحاول ان يزعم ان اسماء الاب والام والاخ والاخت هي مجرد اشكال للمخاطبة لا تعني شيئاً ، لأن رجال الدين الكاثوليك ورئيسات الاديرة الكاثوليكية يسمونهم بالآباء والامهات، ولأن الرهبان والراهبـات وحتى الماسونيين واعضـاء الجمعيـات الحرفية البريطانية يخاطبون بعضهم بعضاً في الجلسات الاحتفاليـة بكلمتـي : اخ واخـت . وهكـذا كان دفـاع ماكـلينـان في اقصى الضعف .

ولكنه بقيت هناك نقطة كان فيها منيعاً لا يطال . فان التضاد بين «قبائل» الزواج الخارجي و«قبائـل» الزواج الداخلي ، الذي ارتكز عليه كل نظامـه ، لم يتزعزع ، وليس هذا وحسب ، بل حتى انه اعتبر ايضاً في كل مكان حجر الزاوية في كل تاريخ العائلة. صحيح انهم قالوا ان التفسير الذي حاول ماكـلينان ان يعطيه عن هذا التضاد غير مقنع كفاية ، وانه يناقض الوقائع التي اوردهـا بنفسه . ولكن هذا التضاد ذاته ، ـ اي وجود نوعين ينفي احدهما الآخر من قبائـل منعزلة ومستقلة كانت قبائل احـد النوعين تأخذ

www.kassioun.org

لنفسها زوجات من داخل القبيلة ، بينا كان ذلك ممنوعا منعاً باتاً على قبائل النوع الثاني ، ــ كان يعتبر بمثابة حقيقة انجيليـــة لا تدحض . قارن ، مثلا ، جيرو-طولون ، «اصل العائلة» (١٨٧٤) وحتى ليبوك ، «اصل الحضارة» (الطبعة الرابعة ، ١٨٨٢) (١٠) .

وضد هذه النقطة ، وجّه مورغان مؤلفه الرئيسي «المجتمع القديم» (١٨٧٧) (١١) ،ــوهذا المؤلف اتخذناه اساساً لعملنا هذا. فان ما حزره مورغان بغموض وحسب في عام ١٨٧١ ، معروض هنـــا الآن بوضوح تام . فان الزواج الخـارجي والـــزواج الداخلي لا يشكلان ابداً تضاداً ؛ ووجود «قبائل» الزواج الخارجي لم يعط عنه حتى الآن البرهان في اي مكان كان . ولكن عندمـــا كان الزواج الجماعي لا يزال سائداً ، ــ وهو ، على الارجح ، قد ساد في كـــل مكان في وقت من الاوقات ، ــ كانت القبيلة منقسمة الى جملة من جماعات وعشائر مرتبطة بعضهـا ببعضها بقرابة الدم حسب خط الام ، والزواج في داخلهـــا ممنوع منعـاً باتـاً ، ولذا كان الرجـال من عشيرة معينة يستطيعون ان ياخذوا زوجات لهم مـن داخـــل القبيلة ، وكانوا على العموم يفعلون ذلك ، ولكنه كان يتعين عليهم ان ياخذوهن من خارج عشيرتهم . وعليه ، اذا كانت العشيرة خاضعة تماما لنظام الزواج الخارجي ، فان القبيلة التي تشمل مجمل العشائر كانت هي ايضاً خاضعة تماماً لنظام الزواج الداخلي . وهذا ما دحض نهائيا آخر بقية من تلفيقات مالـلينان المصطنعة .

بيد ان مورغان لم يكتف بهذا . فان عشيرة الهنـود الحمـــر الاميركيين اعطته فيما بعد اساساً للقيام بالخطوة الحاسمة الثانية الى الامام في الميدان الذي يدرسه . ففي هذه العشيرة المنظمة حسب الحق الامّي ، اكتشف الشكل الاولي الذي نشـأت منـــه وتطورت فيما بعد العشيرة المنظمة حسب الحق الابوي ، ــ اي تلك العشيرة التي نجدها عند الشعوب المتحضرة في الزمن القديم . فان العشيرة

www.kassioun.org

اليونانية والرومانية التي كانت قبل ذاك لغزاً على جميع المؤرخين، قد وجدت تفسيراً لها في عشيرة الهنود الحمر ، ووُجد بالتالي اساس جديد لكل التاريخ البدائي .

ان هذا الاكتشاف الجديد للعشيرة الاولية ، المرتكزة على الحق الامّي ، بوصفها مرحلة سبقت العشيرة المرتكزة على الحق الابوي عند الشعوب المتحضرة ، يتسم بالنسبة للتاريخ البدائي بنفس القدر من الاهمية الذي تتسم به نظرية داروين حول النشوء والارتقاء بالنسبة للبيولوجيا والذي تتسم به نظرية ماركس حول القيمة الزائدة بالنسبة للاقتصاد السياسي. وقد اتاح هذا الاكتشاف لمورغان ان يرسم للمرة الاولى لوحة عن تاريخ العائلة كانت تحتوي ، بقدر ما سمحت المادة المعروفة حتى الآن ، الخطوط الكبرى لدرجات التطور ، المثبتة مسبقاً ، الكلاسيكية على الاقل . وواضح لكل امرئ ان عهداً جديداً في دراسة التاريخ البدائي ينفتح بذلك . فان العشيرة المرتكزة على الحق الامّي اصبحت ذلك المحور الذي يدور حوله كل هذا العلم ؛ ومنذ اكتشافها ، صار مفهوماً في اي اتجاه يجب توجيه الدراسة وما تنبغي دراسته وكيف يتعين تصنيف النتائج الحاصلة . وتبعاً لذلك ، يحرزون الآن النجاحات في هذا الميدان بصورة اسرع بكثير مما قبل صدور كتاب مورغان .

وفي بريطانيا ايضاً اعترف الآن جميع مؤرخي المجتمع البدائي باكتشافات مورغان او ، بالاصح ، استأثروا بها . ولكننا لا نجد عند اي منهم تقريباً اعترافاً صريحاً بانهم مدينون لمورغان بالذات بهذه الثورة في النظرات . وفي بريطانيا يلزمون الصمت المطبق قدر الامكان حول كتابه ؛ ولكنهم يتخلصون منه بمجرد مديح متعال على اعماله **السابقة** ؛ وينقبون ببالغ الجهد في مختلف تفاصيل عرضه ، ولكنهم يلزمون الصمت بعناد حول اكتشافاته الكبيرة

www.kassioun.org

حقا وفعلا . لقد نفدت الطبعة الاولى من كتابه «المجتمع القديم» ؛ اما في اميركا ، فان امثال هذه الاشياء لا تجد مـــا يليق بها من التصريف ؛ وفي بريطانيا ، تجاهلوا على الدوام هذا الكتاب ، حسبما يبدو ؛ والطبعة الوحيدة التي لا تزال قيد البيع لهذا المؤلف الذي يشكل دهراً ، هي ترجمة المانية .

فاين يكمن سبب هذا التحفظ الذي يصعب عدم استشفاف مؤامرة الصمت فيه ، خصوصا اذا لم يغب عن البال مـــا يبرقش مؤلفات خبرائنا المعترف بهم في التاريخ البدائي من استشهادات عديدة يوردونها بدافع اللطف والتهذيب ومن ادلـــة اخرى على احترام الزملاء ؟ ألا يكمن في ان مورغان اميركي وانه من غير المستطاب ابداً لمؤرخي المجتمع البدائي البريطانيين انهم ، رغم كل ما بذلوه من جهود تستحق كل تقدير من اجل جمع المواد ، قد اضطروا الى الاقتباس من اجنبيين عبقريين هما باهوفن ومورغان عندما تعلق الامر بالموضوعات الاساسية العامة الضرورية لأجل تصنيف وتبويب هذه المواد ، اي بايجاز ، عندما تعلق الامر بالافكار الضرورية لهم ؟ لقـــد كان من الممكن القبـــول بالالماني ، اما بالاميركي ! فحيال الاميركي ، يصبح كل بريطاني وطنياً متحمساً ، ولقد رأيت في الولايات المتحدة امثلة مضحكة على ذلك . ناهيـــك بان ماك-لينان كان ، كما يقال ، معترفاً به رسمياً مؤسساً ورئيسا لمدرسة التاريخ البدائي البريطانية . وفي هذا الميدان ، اصبح من المستحسن نوعاً التكلم فقط باعظم الاجلال عن بنائه التاريخي المصطنع ، الذي يؤدي من قتل الاولاد عبر تعدد الازواج والزواج-الخطف الى العائلة المرتكزة على الحق الامّي ؛ وكانوا يعتبرون اقل شك في وجـــود «قبائل» الزواج الخارجي و«قبائـــل» الزواج الداخلي التي تنفي بعضها بعضاً بصورة مطلقة ، ضرباً من الهرطقة الوقحة ؛ وعلى هذا النحو ، اقترف مورغان ، بتبديـــده كالدخان

www.kassioun.org

جميع هذه العقائد المقدسة ، ضربا من التدنيس والتنجيس للقدسيات . ناهيك بانه بددها بحجج كان حسبه ان يدلي بها حتى تصبح على الفور جلية للجميع ؛ وهكذا كان لا بدّ لمداحي ماك لينان ، العاجزين حتى الآن عن الخلاص من التناقض بين الزواج الخارجي والزواج الداخلي ، من ان يلطموا جباههم او يكاد ويهتفوا : كيف امكننا ان نكون اغبياء الى حد اننا لم نكتشف هذا بانفسنا من زمان بعيد !

واذا كانت حتى هذه الجرائم غير كافية لكي تقف المدرسة الرسمية من مورغان موقفاً غير موقف الانصراف عنه ببرودة وجفاء ، فقد جعل الكاس يطفح بكونه لم يقتصر على انتقاد الحضارة ـ اي مجتمع الانتاج البضاعي ، الشكل الاساسي لمجتمعنا المعاصر ـ انتقاداً يحمل على تذكر فوريه ، بل تحدث ايضاً عن التحولات المقبلة التي ستطرأ على هذا المجتمع بتعابير كان من الممكن ان يلجأ اليها كارل ماركس . ولهذا نال مورغان ما يستحقه عندما لامه ماك ـ لينان بسخط على «نفوره التام من الطريقة التاريخية» وعندما اكد البروفسور السيد جيرو ـ طولون من جينيف هذا اللوم في عام ١٨٨٤ ايضا . مع انه سبق لهذا السيد جيرو ـ طولون نفسه ان ضل في ١٨٧٤ («اصل العائلة») ، عاجزاً ، ضعيفاً ، في متاهات الزواج الخارجي الماك ـ لينانى التي لم يخرجه منها الا مورغان !

ولا داعي الى البحث هنا في النجاحات الاخرى التي يدين بها التاريخ البدائي لمورغان ؛ فكل ما يلزم بهذا الصدد يمكن ايجاده في الاماكن المناسبة من كتابي . ثم ان السنوات الاربع عشرة التي تصرمت منذ صدور عمل مورغان الرئيسي ، قد اغنت كثيراً ما لدينا من مواد في تاريخ المجتمعات البشرية البدائية ؛ فالى الانتروبولوجيين والرحالة ومؤرخي المجتمع البدائي المحترفين انضم الحقوقيون الذين يهتمون بالحق المقارن والذين اعطوا جزئيا مادة

www.kassioun.org

جديدة وتقدموا جزئيا بوجهات نظر جديدة . وهذا ما ادى الى زعزعة بعض من فرضيات مورغان وحتى الى دحضها . ولكن المادة المجموعة حديثا لم تؤد في اي مكان الى ضرورة الاستعاضة عن موضوعاته الجوهرية بموضوعات ما اخرى . ان النظام الذي حمله الى التاريخ البدائي لا يزال حتى الآن يحتفظ بقوته من حيث خطوطه الكبرى . بل انه يمكن القول انه يظفر اكثر فاكثر بالاعتراف العام ، وذلك بنفس القدر الذي يحاولون به ان يخفوا انه هو واضع الحجر الاساسي لهذا التقدم العظيم * .

لندن ، في ١٦ حزيران (يونيو) ١٨٩١

فريدريك انجلس

صدرت في مجلة „Die Neue Zeit" («دي نويه زايت») المجلد ٢ ، العدد ٤١ ، ١٨٩٠ــ ١٨٩١ وفي كتاب :

Friedrich Engels. „Der Ursprung der Familie, des Privateigenthums und des Staats", Stuttgart, 1891

تصدر حسب نص الكتاب بعد مقارنته بنص المجلة . تمت الترجمة نقلا عن الالمانية

---

* في طريق عودتي من نيويورك ، في ايلول (سبتمبر) ١٨٨٨ ، التقيت بنائب سابق في الكونغرس عن دائرة روتشستر الانتخابية ، كان يعرف لويس مورغان . ومع الأسف ، لم يستطع ان يحدثني عنه الا قليلا . كان مورغان يعيش في روتشستر كفرد عادي منصرفا الى عمله العلمي فقط . وكان اخوه كولونيلا يخدم في وزارة الحربية في واشنطن ؛ وبمعونة اخيه ، استطاع ان يثير اهتمام الحكومة بابحاثه وان يصدر بعض مؤلفاته باموال الدولة ؛ ثم ان محدثي ، كما قال لي ، سعى هو ايضا غير مرة من اجله عندما كان نائبا في الكونغرس .

www.kassioun.org

اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة

لمناسبة ابحاث لويس هنري مورغان

١

اطوار الحضارة ما قبل التاريخ

كان مورغان اول من حاول ، عن علم ومعرفة بالامر ، ان يدخل على ما قبل تاريخ البشرية نظاما معيناً ؛ وما دام اتساع المادة الكبير لا يجبر على ادخال تعديلات ، فان التقسيم المرحلي الذي اقترحه سيبقى ، بلا ريب ، ساري المفعول .

وغني عن البيان ان ما يشغل باله من العهود الرئيسية الثلاثة ــ الوحشية ، والبربرية ، والحضارة ــ انما هما فقط الاولان والانتقال الى الثالث . وهو يقسم كلاً من هذين العهدين الى درجة دنيا ومتوسطة وعليا وفقاً للتقدم في انتاج وسائل العيش ، وذلك ، كما يقول ، لأن

> وللمهارة في هذا الانتاج الاهمية الفاصلة بالنسبة لدرجة تفوق وسيطرة البشر على الطبيعة ؛ فبين جميع الكائنات الحية ، كان الانسان وحده هو الذي افلح في احراز سيطرة غير محدودة تقريبا على انتاج المواد الغذائية . ان جميع العهود الكبرى في التقدم البشري تصادف الى هذا الحد او ذاك عهود توسع مصادر العيش » (١٢) .

والى جانب ذلك ، يجري تطور العائلة ، ولكنه لا يعطي مثل هذه العلائم المميزة لأجل الفصل بين المراحل .

www.kassioun.org

١ــ الوحشية

١ ــ الطور الادنى . طفولة النوع البشري . كان النـــاس لا يزالون بعد في اماكن اقامتهم الاولية ، في الغابات الاستوائية او شبه الاستوائية . كانوا يعيشون ، على الاقل جزئياً ، على الاشجار؛ وبهذا وحده يمكن تفسير بقائهم بين وحوش كاسرة كبيرة . وكانت الثمار والجوز والجذور غذاءهم . والانجاز الرئيسي في هذه المرحلة هو نشوء النطق . ومن بين جميع الشعوب التي اصبحت معروفة في المرحلة التاريخية ، لم يبق أي منها في هذه الحالة البدائيـــة . ورغم ان هذه الحالة استمرت ، اغلب الظن ، الآلاف والآلاف من السنين ، الا اننا لا نستطيع ان نثبت وجودهـــا بادلة مباشرة ؛ ولكننا اذ نعترف بنشوء الانسان من مملكة الحيوان ، لا بدّ لنا ان نفترض ونقبل هذه الحالة الانتقالية .

٢ ــ الطور المتوسط . يبدأ باستعمال الغذاء السمكي (وفي عداده نصنف كذلك السراطين والرخويات وسائر الحيوانات المائية) وباستعمال النار . وهذا وذاك مترابطان ، لأن الغذاء السمكي لا يصبح صالحاً تماماً للاستهلاك الا بفضل النار . ولكن البشر اصبحوا ، بفضل هذا الغذاء الجديد ، مستقلين عن المناخ والمكان ؛ وبالسير مع تيار الانهر وعلى سواحل البحار كان في وسعهم ان ينتشروا حتى في الحالة الوحشية على القسم الاكبر من سطح الارض . فان الادوات الحجرية غير المصقولة ، المشغولة بفظاظة ، من العصر الحجري الباكر ، المسماة بالادوات الباليوليتيـــة palaioslithos (ادوات العصر الحجري القديم) والتي تعـــود بكليتهـــا او باغلبهـــا الى هذه المرحلة ، منتشرة في جميع القارات ، وهي دليـل بليـــغ على هذه التنقلات . ان الاقامـــة في اماكن جديدة ، والسعـــي النشيط الدائم الى البحث والتفتيش ، بالاضافة الى امتلاك النـار عن طريق

www.kassioun.org

الحك ، كل هذا اوجد وسائل جديدة للتغذيـــة ، هي الجذريـــات والدرنيات التي تحتوي على النشاء ، والمشوية في الرماد الحار او في الافـــــران المحفـــــورة في الارض ، وكـــذلك الطريـــــدة التي اصبحت ، بفضل اختراع الاسلحة الاولى ، الهراوات والرماح ، غذاء اضافيـــا يمكن الحصول عليه حسب الصدف ، بين الفينـــة والفينة . ولم توجد قط شعوب صيادة بوجه الحصر ، كما توصف في الكتب ، اي شعوب تعيش من الصيد **فقط** . فلم يكن من الممكن او يكاد التعويل على حاصل الصيد لأجل العيش . ونظراً لاستحالة تأمين موارد دائمة للتغذية ، ظهر في هذا الطور ، اغلب الظن ، أكل البشر ، واستمر مذ ذاك زمناً طويلا . وان الاوستراليين وكثيرين من البولينيزيين لا يزالون اليوم ايضاً في هذا الطور المتوسط من الوحشية .

٣ ــ **الطور الاعلى** . يبدأ مع اختراع القوس والسهم ، اللذين بفضلهما غدت الطريدة طعاماً دائماً ، والصيـد احد فروع العمـــل العادية . واخذ القوس والوتر والسهم تشكل الآن اداة معقدة جداً يفترض اختراعها خبرة مكدسة زمناً طويلا وكفاءات فكريـة اكثر تطوراً ، وتفترض بالتالي الاطلاع في الوقت نفســه على كثرة مـــن الاختراعات الاخرى . وعندما نقـــارن بين الشعوب التي صـــارت تعرف القوس والسهم ، ولكنها لم تعرف بعد الفن الفخارى (ويعتبره مورغان بداية الانتقال الى البربرية) ، نجد بالفعل بعض العلائـم الاولى للسكن في القرى ، ودرجة معينة لامتلاك ناصية انتاج وسائل العيش : الآنية واللوازم المنزليـة الخشبيـة ، والحياكـة اليدويـة (بدون اداة حياكـة) من الياف الشجر ، والسلال مـــن الألياـــف اللبية او من القصب ، والادوات الحجرية المصقولة (النيوليتية ــ مـــن العصر الحجري الحديث neoslithos) . كذلك اخذت النـــار والفاس الحجرية تتيحان عادة صنع الزوارق من شجرات كاملـة ، كما اخذتا تتيحان في بعض الانحاء اعداد جذوع مشذبـــة والواح

www.kassioun.org

لأجل بناء المساكن . ونحن نجد جميع هذه المنجزات ، مثلا ، عند الهنود الحمر في شمال غربي اميركا الذين كانوا يعرفون القوس والسهم ولكنهم كانوا يجهلون صنع الفخار . ان القوس والسهم قد كانا بالنسبة لعهد الوحشية نفس ما اصبحه السيف الحديدي بالنسبة لعهد البربرية ، والسلاح الناري بالنسبة لعهد الحضارة ، اي السلاح الحاسم .

٢ ـ البربرية

١ ـ الطور الادنى . يبدأ مع ظهور الفن الفخاري . وفي الوسع تقديم البرهان على انه مدين بظهوره ، في كثير من الحالات ، واغلب الظن ، في كل مكان ، لطلي الآنية المجدولة او الخشبية بالطين بغية جعلها قابلة لمقاومة الحرارة . وسرعان ما وجدوا ان الطين المقولب يؤدي الغرض نفسه دون حاجة الى اناء داخلي .

حتى الآن ، استطعنا ان ننظر في سير التطور بوصفه سيراً ذا طابع شامل تماما ، ساري المفعول في مرحلة معينة بالنسبة لجميع الشعوب ، بصرف النظر عن مكان اقامتها . ولكننا مع حلول عهد البربرية ، وصلنا الى درجة يكتسب فيها الفرق بين الاحوال الطبيعية في القارتين الكبيرتين شانا ووزنا . وفي مرحلة البربرية يشكل تدجين الحيوانات وتربيتها وتربية النباتات عنصراً مميزاً موصوفا . وكانت القارة الشرقية ، اي ما يسمى بالعالم القديم ، تملك تقريبا جميع الحيوانات التي يمكن تدجينها وجميع اصناف الحبوب الصالحة للتربية باستثناء صنف واحد ؛ اما القارة الغربية ، اي اميركا ، فكانت تملك من بين جميع الحيوانات الثديية القابلة للتدجين ، اللاما فقط ، وفي قسم واحد فقط من الجنوب ، ومن بين جميع الحبوب الزراعية ، صنفاً واحداً فقط ولكنه افضلها

www.kassioun.org

هو الذرة . وبسبب من هذا الفرق في الاحوال الطبيعية ، اخذ سكان كل من نصفي الكرة الارضية يتطورون مذ ذاك بسبيلهم الخاص ، واخذت علامات الحدود بين مختلف درجات التطور تختلف في نصف من الكرة الارضية عما في نصفها الآخر .

٢ ــ الطور المتوسط . يبــدأ في الشرق بتدجين الحيوانــات البيتية ، وفي الغرب بتربية النباتات الصالحة للأكل بواسطة الري وباستعمــال «الآدوب» (الآجــر الطري المجفف في الشمس) والحجارة لأجل البناء .

ونبدأ بالغرب لأن الناس هنا لم يتجاوزوا هذه الدرجة في اي مكان ما قبل استيلاء الاوروبيين على اميركا .

فان الهنود الحمر الذين كانوا في الطور الادنى من البربريــة (واليهم ينتسب جميع من كانوا يعيشون شرقي نهر الميسيسيبي) ، كانوا يعرفون ، قبيل زمن اكتشافهــم ، وسيلة لتربية الذرة في المباقل ، وكذلك ، اغلب الظن ، لتربية القرع والشمام وغيرهما من النباتــات البقلية التي كانت تشكــل جزءاً كبيراً جداً من غذائهــم ؛ وكانوا يعيشون في بيوت خشبية وفي قرى مسيجة بالاوتاد . وكانت القبائل الشمالية الغربية ولا سيمــا منها الساكنــة في حوض نهر كولومبيا ، لا تزال بعد في الطور الاعلى من الوحشية ولم تكن تعرف لا الفن الفخاري ولا اي طريقة لتربية النباتات . اما الهنود الحمر ، الذين ينتسبون الى ما يسمى البويبلو في المكسيك الجديدة (١٣) ، والمكسيكيون وسكان اميركا الوسطى وسكان البيرو ، فقد كانوا ، على العكس ، قبيــل زمن فتــح اميركا ، في الدرجة المتوسطة من البربرية : كانوا يعيشون في بيوت من «الآدوب» او الحجارة تشبه الحصون ، ويربون في احواض مروية الذرة ونباتات اخرى صالحة للأكل ، تختلف حسب اختلاف المكان والمنــاخ ، وتشكــل موارد غذائهم الرئيسية ، بل انهم كانوا قــد دجنوا بعض الحيوانات :

www.kassioun.org

فالمكسيكيون دجنوا الديوك الهندية وغيرها من الطيور ، وسكان البيرو اللاما . وفضلا عن ذلك كانوا يعرفون معالجة المعـــادن ، باستثناء الحديد ، ولهذا كانوا لا يزالون غير قادرين على الاستغناء عن الاسلحة والادوات الحجرية . وجاء الفتح الاسباني يقطع حبل تطورهم المستقل .

اما في الشرق ، فقد بدأ الطور المتوسط من البربرية بتدجين الحيوانات التي تعطي الحليب واللحم ، في حين ان تربية النباتات ظلت هنا ، على ما يبدو ، زمنا طويلا جداً غير معروفة في سياق هذه المرحلة . ويبدو ان تدجين الماشية وتربيتها وتشكيل قطعان كبيرة منها كانت سبب تميز الآريين والساميين عن سواد البرابرة . ثم ان اسماء الحيوانات البيتيـــة كانت مشتركة عامـــة عند الآريين الاوروبيين والآسيويين ؛ اما النباتات الزراعية فلم تكن لها اسماء مشتركة تقريباً .

ادى تشكيل القطعان الى حياة الرعي في الاماكن الصالحة لهذا الغرض : عند الساميين في السهوب المعشبة على طول نهري الفرات ودجلة ، وعند الآريين في الاودية المعشبة في الهند وكذلك على طول انهر جيحون وسيحون والـــدون والدنيبر . ويبـــدو ان تدجين الحيوانات قد تحقق للمرة الاولى على حدود مثـــل هذه المناطق الصالحة للرعي . ولهذا خيّل للاجيال اللاحقة ان شعوب الرعـــاة نشأت في انحاء لم يكن من الممكن بالفعل ان تكون مهد البشرية ، وليس هذا وحسب ، بل كانت على العكس غير صالحة تقريباً للعيش بالنسبة لاجدادها المتوحشين وحتى بالنسبة للناس الذين بلغوا الطور الادنى من البربريـــة . ولكن الحـــال بالعكس . فان هؤلاء البرابرة الذين بلغوا الطور المتوسط ، بعد ان اعتادوا حياة الرعي ، لم يكن من الممكن اطلاقاً ان يخطر في بالهم العودة بملء اختيارهم من الاودية النهرية المعشبة الى المناطق الغابية التي كان يسكنها اجدادهم . وحتى عندما أقصي الساميون والآريون الى ابعد باتجاه

www.kassioun.org

الشمال والغرب ، لم يكن بوسعهم بلوغ الانحاء الغابية في اوروبا وفي آسيا الغربية قبل ان توفر لهم تربية الحبوب امكانية اطعام ماشيتهم ، ولا سيما في الشتاء ، في هذه التربة التي هي اقل ملاءمة . ومن المؤكد تقريباً ان تربية الحبوب انما استدعتها هنا قبل كل شيء الحاجة الى العلف من اجل الماشية ولم تصبح مصدراً هاما لغذاء الناس الا فيما بعد .

والى غذاء الآريين والساميين الوفير من اللحم والالبان ، ولا سيما الى تاثيره الملائم في نمو الاطفال ، يجب ، اغلب الظن ، ان نعيد نمو هذين العرقين بمزيد من النجاح . فاننا نجد بالفعل ان الدماغ عند الهنود الحمر البويبلو في المكسيك الجديدة المضطرين الى الاغتذاء بالماكولات النباتية وحدها تقريباً هو اقل مما عند الهنود الحمر الذين بلغوا الطور الادنى من البربرية والذين يقتاتون اكثر ما يقتاتون باللحم والسمك . وعلى كل حال ، يزول تدريجيا اكل البشر في الطور الثاني من البربرية ولا يبقى الا بوصفه طقسا دينياً او بوصفه طقساً سحرياً ــ والامران سيان تقريبا هنا .

٣ ــ الطور الاعلى ، يبدأ بصهر فلز الحديد وينتقل الى عهد الحضارة نتيجة لاختراع الكتابة الحرفية ولاستعمالها لاجل تسجيل الابداع الكلامي . ان هذا الطور الذي لم يجر بصورة مستقلة الا في النصف الشرقي من الكرة الارضية ، كما قيل اعلاه ، هو اغنى بالنجاحات في ميدان الانتاج من جميع الاطوار السابقة ماخوذة معاً . واليه ينتسب اليونانيون من العهد البطولي ، والقبائل الايطالية من قبل تاسيس روما بفترة قصيرة ، وجرمان تاقيطس ، والنورمنديون من زمن الفيكينغ .

وقبل كل شيء ، نجد هنا للمرة الاولى المحراث ذا السكة الحديدية والماشية البيتية كقوة للجر ، وبفضل هذا ، اصبح من الممكن ممارسة الاعمال الزراعية على نطاق كبير ، اصبح من الممكن

www.kassioun.org

حراثة الحقول ، وغدا من الممكـــن في الوقت نفســـه زيادة الاحتياطيات من المؤن الغذائية زيادة غير محدودة عملياً في احوال ذلك الزمن ؛ ثم استئصال الغابات وتحويلها الى اراض محروثـة ومروج ، الامر الذي كان يستحيل القيام به على مدى واسع بدون الفاس الحديدية والرفش الحديدي . وفي الوقت نفسه ، اخذ عدد السكان كذلك ينمو بسرعة ، ويزداد كثافة في مساحات غير كبيرة . وقبل ظهور حراثة الحقول ، كان لا بدّ ان تتجمع ظروف استثنائية تماما لكي يستطيع نصف مليون من الناس ان يتحدوا تحت قيادة مركزية واحدة ؛ الا ان هذا ، اغلب الظن ، لم يحدث البتة .

ان ذروة ازدهار الطور الاعلى من البربرية تتكشف امامنا في قصائد هوميروس ، ولا سيما في «الالياذة» . الادوات الحديديـة المتقنة ومنفاخ الحدادة ، والطاحونة اليدوية ، ودولاب الفاخوري ، وصنع الزيت والنبيذ ، وشغل المعادن المتطور وبسبيل التحول الى حرفة فنية ، العربة البضاعية والعربة القتالية ، وبنـاء السفن من الجذوع والالواح الخشبية ، وبداية المعمار بوصفه فناً ، والمدن المحاطـة باسوار مسننـــة وابراج ، والملحمـة الهوميريـــة ، والميثولوجيا كلها ، ــ ذلك هو التراث الرئيسي الذي نقله اليونانيون من البربرية الى الحضارة . واذا اجرينا مقارنة بين هذا وبين الوصف الذي اعطاه قيصر وحتى تاقيطس عن الجرمان (١٤) الذين كانوا في بداية طور الثقافة الذي كان يستعد اليونانيون الهوميريون للانتقال منه الى درجـة اعلى ، لرأينا اي غنى من المنجزات في حقـل تطور الانتاج يشمله الطور الاعلى من البربرية .

ان اللوحة التي رسمتها هنا ، استناداً الى مورغان ، عـــن تطور البشرية عبر عهد الوحشية وعهد البربرية الى منابع الحضارة ، غنية كفاية بخطوط جديدة ناهيـــك بانه لا جدال فيها ، لأنهـا ماخوذة مباشرة من الانتاج . ومع ذلك تبدو هذه اللوحة شاحبـة

www.kassioun.org

وحقيرة بالقياس الى اللوحة التي تتكشف امام انظارنا في آخـــر مطافنا ؛ وعند ذلك فقط سيكون بالمستطاع توضيح الانتقال من البربرية الى الحضارة والتضاد المدهش بينهما توضيحاً تاماً . اما الآن ، ففي وسعنا ان نعمم كما يلي تقسيم مورغان للمراحل : الوحشية ، المرحلة التي يهيمن فيها امتلاك المنتوجات الطبيعيـة الجاهزة ، المنتوجات التي يصنعها الانسان تشكل اساساً ادوات تساعد في هذا الامتلاك . البربرية ، مرحلة بداية تربية الماشية والزراعة ، مرحلـــة تحصيل الطرائـــق لزيادة انتاج المنتوجات الطبيعية بفضل النشاط البشري . الحضارة ، مرحلة استمر فيها تعلم معالجة المنتوجات الطبيعية ، مرحلة الصناعة بالذات ومرحلة الفن .

٢

العائلة

ان مورغان الذي امضى القسم الاكبر من حياته بين الايروكوا الذين لا يزالون يعيشون اليوم في ولاية نيويورك ، والذي تبنتـــه احدى قبائلهم (قبيلة سينيكا) ، قد اكتشف عندهم نظاماً للقرابـة يتناقض مع علاقاتهم العائلية الفعليـــة . فقد كان يسود عندهـــم ذلك الزواج الاحادي ، الذي يسهـــل على كل من الطرفين المعنيين حله ، والذي يسميه مورغان «بالعائلة الثنائيـــة» . ولهذا كانت ذرية هذين الزوجين معروفة ومعترف بها من الجميع : فلم يكن من الممكن ان يقوم اي شك فيما يتعلق بالاشخـــاص الذين ينبغي اطلاق اسماء الاب والام والابن والابنة والاخ والاخت عليهم . ولكن استعمال هذه التعابير في الواقع يناقض هذا الامر . فان الايروكوي لا يسمي اولاده بالذات وحسب بابنائه وبناته ، بل ايضـا اولاد اخوته ، وهؤلاء يسمونه بوالدهم . اما اولاد اخواته ، فيسميهـــم

www.kassioun.org

بابناء وبنات اخواته ، وهؤلاء يسمونه بخالهم . وعلى العكس ، تسمي الايروكوية اولاد اخواتها ، مثل اولادها بالذات ، بابنائها وبناتها ؛ واولاد اخواتها يسمونها بامهم . اما اولاد اخوتها ، فتسميهم بابناء وبنات اخوتها ، وتسمى هي عمة . واولاد الاخوة يسمون بعضهم بعضاً بالاخوة والاخوات ، شانهم شأن اولاد الاخوات . وعلى العكس ، يسمي اولاد المرأة واولاد اخيها بعضهم بعضا «بالاخوة والاخوات من المرتبة الثانية» (اي بابناء وبنات الخال والعمة) وليست هذه مجرد اسماء لا معنى لها ولا اهمية ، بل تعابير عن النظرات القائمة فعلا الى القرابة والبعد ، والى المساواة وعدم المساواة في قرابة الدم ؛ وهذه النظرات تشكل اساس نظام للقرابة موضوع بصورة كاملة ، وبوسعه ان يعكس بضع مئات من مختلف علاقات القربى لدى فرد واحد . وفضلا عن ذلك ، لا يسري مفعول هذا النظام كلياً عند جميع الهنود الحمر الاميركيين وحسب (وحتى الآن لم يظهر اي استثناء له) بل يسود ايضاً بدون تغيير تقريباً عند اقدم سكان الهند ، اي عند قبائل ديكان الدرافيدية وقبائل غاوورا في هندوستان . ان اسماء القرابة عند قبائل تاميل في الهند الجنوبية وعند الايروكوا من قبيلة سينيكا في ولاية نيويورك لا تزال حتى الآن متماثلة فيما يتعلق باكثر من مائتين من مختلف علاقات القرابة . وعلاقات القرابة ، الناجمة من شكل العائلة القائم، تناقض كذلك نظام القرابة سواء عند هذه القبائل الهندية ام عند جميع الهنود الحمر الاميركيين .

فكيف نفسّر هذا ؟ نظراً للدور الحاسم الذي تضطلع به القرابة في النظام الاجتماعي عند جميع الشعوب المتوحشة والبربرية ، لا يمكن بمجرد الجمل ازالة اهمية هذا النظام المنتشر هذا الانتشار الواسع . وان نظاماً يسود في كل مكان من اميركا

www.kassioun.org

ويوجد كذلك في آسيا عند شعوب من عرق آخر تماماً ، ويقوم بكثرة باشكال معدلة الى هذا الحد او ذاك في كل مكان من افريقيا واوستراليا ، ان نظاماً كهذا يتطلب تفسيراً تاريخياً ، ولا يمكن التهرب منه بالكلمات ، كما حاول ان يفعل ذلك ، مثلا ، مالينان (١٥) . ان اسماء الاب والولد والاخ والاخت ، ليست مجرد القاب فخرية ، بل تستتبع واجبات متبادلة محددة تماماً ، وجدية جداً ، يشكل مجموعها قسماً جوهرياً من النظام الاجتماعي عند هذه الشعوب . وقد وُجد التفسير . ففي جزر السندويتش (هاواي) ، كان لا يزال يوجد في النصف الاول من القرن الحالي ، القرن التاسع عشر ، شكل للعائلة يقوم فيه آباء وامهات واخوة واخوات وابناء وبنات واخوال وخالات واعمام وعمات وابناء وبنات اخ او اخت كالذين يقتضيهم نظام القرابة في اميركا وفي الهند القديمة . ولكن ، يا للغرابة ! فان نظام القرابة الساري المفعول في جزر هاواي لم يكن يتطابق هو ايضاً مع شكل العائلة الموجود هناك فعلا . فالواقع ان جميع اولاد الاخوة والاخوات بلا استثناء يعتبرون هناك اخوة واخوات واولاداً مشتركين لا لامهم واخواتها وحسب او لوالدهم واخوته ، بل ايضاً لجميع اخوة واخوات والديهم بلا تمييز . ولذا ، اذا كان نظام القرابة الاميركي يفترض شكلا للعائلة اكثر بدائية لم يعد له وجود في اميركا ولا نزال نجده بالفعل في جزر هاواي ، فان نظام القرابة الهاوايي يشير ، من جهة اخرى ، الى شكل للعائلة اقدم عهداً من ذاك ، لم يعد بامكاننا في الوقت الحاضر ، والحق يقال ، ان نجده في اي مكان ، ولكنه كان **من كل بد** موجوداً والا لما كان من الممكن ان ينشأ نظام القرابة المناسب .

يقول مورغان :

«ان العائلة عنصر نشيط ، فعال . فهي لا تبقى ابداً كما هي عليه بدون اي تغيير ، بل تنتقل من شكل ادنى الى شكل اعلى بقدر ما يتطور

www.kassioun.org

المجتمع من درجة دنيا الى درجة عليا . اما انظمة القرابـــة ، فهي ، على العكس ، خاملة ، غير نشيطـــة . وهي لا تسجل ، الا بعد مرور حقبات طويلة من الزمن ، ذلك التقدم الذي تحققه العائلة في خلال هذه الحقبات ، ولا تطرأ عليهـــا اي تغيرات جذرية الا عندما تكون العائلـــة قد تغيرت بصورة جذرية» (١٦) .

ويضيف ماركس قائلا : «كذلك هي الحال بالضبط فيمـــا يتعلق بالأنظمة السياسية والحقوقية والدينيـــة والفلسفيـــة على العموم» (١٧) . فبينما العائلة تواصـــل تطورها ، يتحجر نظام القرابة ؛ وبينما هذا الاخير يظل قائماً بحكم العادة ، تتجاوز العائلة حدوده . ولكن بنفس اليقين الذي استطاع كوفيه ان يستنتج به من عظام جرابية الشكل لهيكل حيوان وجدها في ضواحي باريس بان هذا الهيكل هو هيكل حيوان جرابي وبانه كانت تعيش هناك فيما مضى حيوانات جرابية انقرضت بعد ذاك ، ــ بنفس هذا اليقين نستطيع نحن ان نستنتج من نظام القرابة الذي وصل الينا عبر التاريخ ، انه كان يوجد شكل للعائلة زال اليوم من الوجود وكان مناسباً له .

ان انظمة القرابة واشكال العائلة ، التي ذكرناها آنفاً ، تختلف عن الانظمة والاشكال السائدة حالياً بوجود عدة آباء وامهات للولد الواحد . فبموجب نظام القرابة الاميركي الـــذي تناسبه العائلة الهاوايية ، لا يمكن للاخ والاخت ان يكونا والد وام الولد نفسه . ولكن نظام القرابة الهاوايي يفترض عائلة كان فيها ذلك ، بالعكس ، هو القاعدة . وهنا نواجه جملة من اشكال العائلة تناقض مباشرة الاشكال التي كانت تعتبر عادة حتى الآن الاشكال الوحيدة . ان المفهوم التقليدي لا يعرف غير الزواج الاحادي ، والى جانبه تعدد زوجات الرجل ، وبالاضافة اليه عند اللزوم ، تعدد ازواج المرأة ، ولكنه ، فضلا عن ذلك ، يلزم الصمت ، كما يليق بالتافه الضيق الافق الواعظ ، حول ان الممارسة تتعدى الحدود التي رسمهـــا

www.kassioun.org

المجتمع الرسمي ، وتتعداها خلسة ، ولكن بـــدون تكلف . وعلى العكس ، تبين لنا دراسة التاريـــخ البدائي ظروفاً يعيش فيهـا الرجال في حالة تعدد الزوجات وتعيش فيها زوجاتهـــن في الوقت نفسه في حالة تعدد الازواج ، ويعتبر فيها ، لهذا السبب ، اولاد هؤلاء واولئك اولاداً مشتركين لهم جميعهم ، ظروفاً طرأت عليها بدورها سلسلة كاملة من التغيرات قبل ان تندمج نهائياً في الزواج الاحادي . وهذه التغيرات هي على نحـــو بحيث ان الحلقة التي تشملها عرى الزواج المشتركة ، والتي كانت في البدء واسعة جداً ، اخذت تتقلص اكثر فاكثر الى حد انه لم يبق ، في آخر المطاف ، غير الزوج المتميز الذي يهيمن في الوقت الحاضر .

ان مورغان ، وقد بعث على هـــذا النحـــو تاريخ العائلـــة بتسلسل معكوس ، يخلص الى القول ، بالاتفاق مع غالبية زملائه ، بانه كان يوجد وضع بدائي كانت فيه العلاقـــات الجنسيـــة غير المحدودة تسود داخل القبيلة بحيث ان كل امرأة كانت تخص كل رجل وبحيث ان كل رجل كان يخص كل امرأة . ومنذ القرن الماضي ، اخذوا يتحدثون عن هذا الوضع البدائي ، ولكنهم كانوا يكتفون بالجمل والتعابير العامة ؛ الا ان باهوفن وحده ــ وهنا تقوم احدى مآثره الكبيرة ــ نظر الى هذه المسالة نظرة جدية وشرع يبحث عن آثار هذا الوضع في الحكايات التاريخية والدينية (١٨) . ونحن نعرف الآن ان هذه الآثار التي وجدها لا تعود بنا البتة الى طور اجتماعي من علاقات جنسية غير منظمة ، بل الى شكل ظهر بعد ذاك بوقت كبير ، الى الزواج الجماعي . اما الطور الاجتماعي البدائي المنوه به هنا ، ــ هذا اذا كان قد وجد فعلا ــ فانه يعود الى عهد بعيد عنا الى حد انه يستحيل علينا تقريباً ان نأمل باننا سنجد بين الدفائن الاجتماعيـــة ، وبين المتوحشين المتخلفين ، براهين **مباشرة** على

www.kassioun.org

وجوده فيما مضى . ومأثرة باهوفن تتلخص على وجه الضبط في كونه طرح بحث هذه المسألة في المرتبة الاولى * .

وفي الآونة الاخيرة ، اصبح من الدارج انكار هذا الطور الاولي من حيـــاة الناس الجنسيـــة . فالمقصود انقاذ البشريـة من هذا «العار» . ولهذا الغرض ، لا يستشهدون بعدم وجود اي برهان مباشر وحسب ، بل يركزون ايضا بوجه خاص على مثال بقيـــة العالم الحيواني ؛ وفي هذا الميدان ، جمع ليتورنو («تطور الزواج والعائلة» ، ١٨٨٨) (١٩) وقائع كثيرة تبين ان العلاقات الجنسية غير المنظمة اطلاقاً تلازم ، هنا ايضاً ، درجة دنيا من التطور . ولكن كل ما استطيع استخلاصه من هذه الوقائع ، هو انها لا تثبت اي شيء على الاطلاق فيما يخص الانسان وظروف حياته البدائية . فان المساكنة الزوجية الطويلة الامد عند الفقاريات تفسرها بصورة كافية الاسباب الفيزيولوجية : فعند الطيور ، مثلا ، تفسرها حاجة الانثى الى المساعدة والحماية في مرحلة حضانة البيض والافراخ ؛ وان امثلة على متانـة احادية الزواج عند الطيور لا تثبت شيئـاً فيما يتعلق بالناس لان الناس لا يتحدرون من الطيور . واذا كانت

---

* لقد بين باهوفن ، بتسميته هذا الوضع البدائي «**بالهيتيرية**» انه قلّما فهم ما اكتشفه هو نفسه ، او بالاصح ، ما حزره . فان اليونانيين كانوا يقصدون «بالهيتيرية» عندما استنبطوا هذا التعبير ، العلاقات بين الرجال ، العازبون منهم والعائشون في زواج احادي ، وبين نساء غيـــر متزوجات ؛ ان هذا التعبير يفترض دائماً وجود شكل معين للزواج تقوم خارجه العلاقات المنوه بها ، ويفترض وجود البغاء ، على الاقل بوصفـه امراً ممكناً . ثم ان هذا التعبير لم يستعمل ابداً بمعنى آخر ، وبهذا المعنى استعمله انا ويستعمله مورغان . ان باهوفن قد اضفى على اكتشافاتـــه الفائقة الاهمية هالة من الصوفية جعلتها غير معقولة لانه يتصور بان مصدر العلاقات التي نشأت بين الرجل والمرأة خلال التاريخ انما كانته على الدوام تصورات الناس الدينية ، وليس ظروف حياتهم الفعلية .

www.kassioun.org

احادية الزواج الصرف ذروة كل فضيلة ، فان قصب السبق في هذا المجال يعود عن حق واستحقاق الى الدودة الشريطية التي يوجد في كل من عقدها او مفاصلها الـ ٥٠ الى الـ ٢٠٠ ، جهاز تناسلي كامل للذكر والانثى ، والتي تقضي حياتها كلها في مضاجعة نفسها بنفسها في كل من عقدها هذه . اما اذا اقتصرنا على الضرعيات ، فاننا نجد عندها جميع اشكال الحياة الجنسيـــة : العلاقات غير المنظمة ، واشكالا مماثلة للزواج الجماعي ، وتعدد الزوجـات ، والزواج الاحادي ؛ ولا ينقص غير تعدد الازواج ، الذي لم يستطع ان يبلغه غير البشر . وحتى عند اقرب اقربائنـــا القرود ، يظهر تجمع الذكور والاناث بجميع الاشكال الممكنة ؛ واذا اخذنا نطاقاً اضيق ، واذا لم نأخذ بالحسبان غير الانواع الاربعة من القرود الشبيهة بالانسان ، فان كل ما يستطيع ليتورنو ان يقوله لنا في هذا الصدد ، هو اننا نجد عندها احادية الزواج تارة وطوراً تعدد الزوجات ، في حين ان سوسور يؤكد ، بالاستناد الى جيرو-طولون ، انها احادية الزواج . ثم ان تاكيدات فسترمارك الحديثة («تاريخ الزواج البشري» ، لندن ، ١٨٩١) (٢٠) حول احادية الزواج (٢١) عند القرود الشبيهة بالانسان هي ايضاً ابعد من ان تشكل برهاناً . وبكلمة ، ان المعطيات المتوفرة لعلى نحو بحيث ان الفاضل والنزيه ليتورنو يعترف بانه :

«لا توجد ابداً ، مع ذلك ، عند الضرعيات ، مطابقة دقيقة بين درجة التطور العقلي وشكل العلاقات الجنسية» (٢٢) .

اما ايسبيناس («في المجتمعات الحيوانية» ، ١٨٧٧) فيقول صراحة :

«القطيع هو اعلى جماعة اجتماعة يمكننا ان نراقبها عند الحيوانات . وهي تتألف ، **على ما يبدو** ، من عائلات ، ولكن **العائلة والقطيع في تناحر** منذ بادئ بدء ، وكل منهما يتطور باتجاه معاكس لتطور الآخر» (٢٣) .

www.kassioun.org

وهكذا ، كما يتبين مما قيل اعلاه ، نحن لا نعرف تقريباً اي شيء دقيق عن الجماعات العائلية وغيرها من المجموعات العائشة معاً من القرود الشبيهة بالانسان ؛ والمعطيات المتوافرة يناقض بعضها بعضاً تماماً . ولا غرابـــة . فمـا أشد التناقض حتى بين المعطيات المتوافرة لنا عن القبائل البشرية في طور الوحشية وما اكثر مـا تحتاج الى التحليل والدراسة والغربلـــة بعين نقـادة ! والحال ، ان مراقبة مجتمعات القرود اصعب بكثير من مراقبـــة المجتمعـات البشريـة . ولذا ينبغي لنـــا ان ننبذ كل استنتـــاج مستخلص من هذه المعطيات المشكوك فيها اطلاقاً ، طالما لم نحصل على معطيات اوضح واوسع .

اما فكرة ايسبيناس التي استشهدنا بها آنفاً ، فانها ، على العكس ، تعطينـــا نقطة ارتكاز امتن . فان القطيع والعائلة عند الحيوانات العليا لا يكملان بعضهما بعضاً ، بل يناقض بعضهمـا بعضاً . ويبين ايسبيناس جيداً جداً كيف تضعف غيرة الذكور ، اثناء فترة الهيجان ، لحمة القطيع او تقضي عليها موقتاً .

«حيث العائلة وثيقة اللحمة ، لا يتشكل القطيع الا بصورة استثنائية جداً . ولكن القطيع يتشكـل ، على العكس ، من تلقاء نفسه تقريبـاً حيث تسود اما المجامعة الجنسية الحرة واما تعدد الازواج ... ولكي يتشكل القطيع ، كان لا بدّ ان تضعف الروابط العائلية وان يستعيد الفرد حريته . ولهذا نادراً جداً ما نرى اسراباً منظمة عند الطيور ... اما عند الضرعيان ، فاننا نجد ، على العكس ، مجتمعات منظمة الى درجة ما ، وذلك على وجه الضبط لأن الفرد هنا لا تبتلعه العائلة ... ولهذا لا يمكن ان يجابه الشعور بجماعية القطيع لدن نشوئه عدوا اكبر من الشعور بجماعية العائلة . ونقول صراحة : اذا كان قد قام وتطور شكل اجتماعي اعلى من العائلة ، فان ذلك لم يحدث الا لان هذا الشكل قد اذاب في داخله العائلات التي طرأت عليها تغيرات جذرية ، مع العلم انه ليس من المستبعد ان يكون ذلك على وجه

www.kassioun.org

الضبط ما اتاح فيما بعد للعائلات ان تتشكل من جديد في ظروف اكثر ملاءمة الى ما لا حد له» . (ايسبيتاس . المرجع المذكور . فقرة اوردها جيرو-طولون في مؤلفه «اصل الزواج والعائلة» ، عام ١٨٨٤ ، ص ص ٥١٨ ـ ٥٢٠) .

ومن هنا نرى ان للمجتمعات الحيوانية قيمة ما بالنسبة للاستنتاجات التي يجب استخلاصها منها بصدد المجتمعات البشرية ، ولكن هذه القيمة سلبية فقط . فعند الفقاريات العليا ، حسبما نعرف ، لا يوجد غير شكلين من العائلة : تعدد الزوجات ، والمعايشة ازواجاً منفردة ؛ وكل من الشكلين لا يجيز سوى ذكر راشد **واحد** ، سوى زوج **واحد** . ان غيرة الذكر التي تشد عرى العائلة الحيوانية وتحدها في آن واحد تجعل العائلة مضادة للقطيع . واذا القطيع ، وهو شكل اعلى للمعاشرة ، يزول احياناً بسبب هذه الغيرة واحياناً يفقد لحمته او ينحل اثناء فترة الهيجان ، او يتوقف تطوره ، في افضل الاحوال . وهذا وحده يكفي لتقديم البرهان على ان العائلة الحيوانية والمجتمع البشري البدائي شيئان لا يتفقان ، وان الناس البدائيين الذين تخلصوا من الحالة الحيوانية (بفضل العمل) ، اما انهم لم يعرفوا العائلة على الاطلاق واما انهم ، في افضل الاحوال ، عرفوا عائلة غير موجودة عند الحيوانات . فان الحيوان غير المسلح ، كما كان عليه الانسان بسبيل التكون ، كان بوسعه ، اغلب الظن ، ان يبقى بعدد غير كبير حتى في حالة العزلة التي كان اعلى شكل للمعاشرة فيها هو شكل المعايشة ازواجا كالذي تعيش فيه ، على حد قول فسترمارك بالاستناد الى حكايات الصيادين ، قرود الغوريللا والشمبانزي . ولكن لاجل الخروج في سياق التطور من الحالة الحيوانية ولاجل تحقيق التقدم الاكبر الذي تعرفه الطبيعة ، كان لا بدّ من عنصر آخر : كان ينبغي احلال قوة القطيع الموحدة واعماله الجماعية

www.kassioun.org

محل نقص قدرة الفرد على الدفاع . وانه ليستحيل اعطاء تفسير للانتقال من هذه الظروف التي تعيش فيها حالياً القرود الشبيهة بالانسان الى الحالة البشرية . فان هذه القرود تظهر بالاحرى بمظهر خطوط جانبية منحرفة محكوم عليها بالاندثار تدريجياً وبسبيل الانحطاط والزوال على كل حال . وهذا وحده يكفي للامتناع عن اجراء اي مقارنات بين اشكال العائلة عندها وعند الانسان البدائي. ذلك ان التساهل المتبادل بين الذكور الراشدين وانعدام الغيرة كانا الشرط الاول لنشوء جماعات اكثر اتساعاً واطول عمراً لم يكن من الممكن ان يتحقق تحول الحيوان الى انسان الا في وسطها . وبالفعل ، اي شيء نجده بوصفه اقدم وابكر شكل للعائلة ، بوصفه الشكل الذي نقدم الدليل المفحم على وجوده في التاريخ والذي يمكننا ان ندرسه في الوقت الحاضر ايضاً هنا وهناك ؟ الزواج جماعات جماعات (الزواج الجماعي) ، شكل الزواج الذي كانت بموجبه جماعات كاملة من الرجال وجماعات كاملة من النساء تخص بعضها بعضاً بصورة متبادلة والذي كان يترك مجالا صغيراً جداً للغيرة . وفيما بعد ، في درجة لاحقة من التطور ، نجد شكلا استثنائياً كما هو عليه شكل تعدد الازواج الرجال الذي يناقض ، تناقضاً صارخاً ، بالتاكيد ، كل شعور بالغيرة ، والذي هو بالتالي غير معروف عند الحيوانات . ولكن الاشكال التي نعرفها من الزواج الجماعي تقترن بشروط متشابكة ومعقدة الى حد انها تشير بالضرورة الى اشكال للمعاشرة الجنسية ابكر عهداً واكثر بساطة ، وتشير في الوقت نفسه ، في آخر المطاف ، الى مرحلة من العلاقات الجنسية غير المنظمة تناسب الانتقال من الحالة الحيوانية الى الحالة البشرية ؛ ولهذا تعود بنا الاستشهادات باشكال الزواج عند الحيوانات الى نفس النقطة التي كان يجب ان تبعدنا عنها مرة واحدة والى الابد .

www.kassioun.org

فماذا يعني تعبير : العلاقات الجنسية غير المنظمة ؟ انه يعني ان القيود المانعة السارية المفعول في زمننا او في زمن أسبق لم تكن سارية المفعول آنذاك . وقد سبق لنا ورأينا سقوط القيد الذي تشترطه الغيرة . ومن الثابت ان الغيرة شعور تطور في مرحلة لاحقة نسبياً . ويمكن قول الشيء نفسه بصدد مفهوم سفاح القربى . فان الاخ والاخت كانا في المرحلة البدائية زوجاً وزوجة ، وليس هذا وحسب ، بل ان شعوباً كثيرة لا تزال في الوقت الحاضر تجيز العلاقة الجنسية بين الآباء والاولاد . ويشهد بانكروفت (« العروق الاصلية في ساحل المحيط الهادى من اميركا الشمالية » ، عام ١٨٧٥ ، المجلد الاول (٢٤)) على وجود مثل هذه العلاقات عند الكافياك المقيمين عند سواحل مضيق بيرينغ وعند سكان جزيرة كادياك في جوار الاسكا وعند التينّه المقيمين في القسم الداخلي من اميركا الشمالية البريطانية ؛ ويعطي ليتورنو موجزاً لمثل هذه الوقائع عند الهنود الحمر الشيبيوي وعند الكوكوس في التشيلي ، وعند الكاراييب وعند الكارين في شبه جزيرة الهند الصينية ؛ هذا بالاضافة الى حكايات قدماء اليونانيين والرومانيين عن البارثيين والفرس والسقيتيين والهون وغيرهم . وقبل اكتشاف سفاح القربى (**وهذا** اكتشاف حقاً وفعلا ، بله اكتشاف فائق القيمة) ، لم يكن من الممكن ان تثير العلاقة الجنسية بين الآباء والاولاد نفوراً اكبر من ذاك الذي تثيره العلاقة الجنسية بين اشخاص آخرين ينتمون الى اجيال مختلفة ؛ والحال ، لا يزال يحدث هذا الآن في اكثر البلدان تفاهة وابتذالا دون ان يثير شديد الاشمئزاز ؛ فحتى « الآنسات » العوانس ممن تجاوزن الستين من العمر يتزوجن احياناً ، اذا كن غنيات ، من شبان في الثلاثين من العمر . اما اذا طرحنا عن ابكر اشكال العائلة ، التي نعرفها ، مفاهيم سفاح القربى المقرونة بها ـ وهي مفاهيم تختلف تماماً عن مفاهيمنا ،

www.kassioun.org

وتناقضها كلياً احيانا كثيرة ــ لوجدنا شكلا من العلاقات الجنسية لا يمكن نعته الا بانه غير منظم . غير منظم ، لان القيود التي فرضها العرف والعادة فيما بعد لم تكن قد ظهرت بعد . ولكنه لا ينجم ابداً من هنا ان التشوش التام في ممارسة هذه العلاقات يومياً كان امراً محتماً . فان المعايشة الموقتة بين بعض الازواج لم تكـــن ابداً مستبعدة اذ ان حالاتها غدت الآن اغلبية الحالات حتى في ظـــل الزواج الجماعي . واذا كان فسترمارك ، وهو احدث البحاثـــة الذين ينكرون مثل هذا الوضع البدائي ، ينعت بالزواج كل حالة يبقى فيها الجنسان (الرجل والمرأة) متحدين في مساكنة زوجية حتى ولادة نسل منهما ، فانه ينبغي القول انه كان من الممكن ان يقوم مثل هذا النوع من الزواج في ظـــل العلاقات الجنسيـــة غير المنظمة ، دون ان يناقض ابـــداً حالة انعـــدام التنظيـم ، اي حالة انعدام القيـــود التي يفرضهـــا العرف والعـــادة على العلاقات الجنسية . صحيح ان فسترمارك ينطلق من النظرة القائلة ان «انعدام التنظيم يفترض خنق الميول الفرديـــة» ، ولذلك «كان البغاء (٢٥) اصح اشكاله» .

اما انا ، فيخيل اليّ ، على العكس ، انه يستحيل فهم الظروف البدائية طالما ينظـــرون اليها حسب مفهوم بيوت الدعـــارة . وسنعود الى هذه المسألة عند دراسة الزواج الجماعي .

واليكم ، حسب مورغان ، اي تطور طرأ في زمن باكر جداً ، حسب كل احتمال ، على هـــذه الحالة البدائية للعلاقـــات غير المنظمة :

١ ــ **عائلة قربى الدم** ــ الطور الاول من العائلة . هنا تنقسم الجماعات الزواجية حسب الاجيال : فان جميع الجدود والجدات في نطاق العائلة هم ازواج وزوجات فيمـــا بينهم ، شأنهم شـــأن

www.kassioun.org

اولادهم ، اي الآباء والامهات ؛ وعلى النحو نفسه ، يشكل اولاد الاخيرين الحلقة الثالثة من الازواج المشتركين ، ويشكل اولادهم ، اي اولاد احفاد الاولين الحلقة الرابعة . وفي هذا الشكل من العائلة ، لا تنتفي الحقوق والواجبات الزوجية المتبادلة (اذا تكلمنا بلغة عصرنا) الا بين الاسلاف والاخلاف ، بين الآباء والاولاد . اما الاخوة والاخوات من الدرجة الاولى والثانية والثالثة وما يليها ، فانهم جميعاً اخوة واخوات فيما بينهم ، وهم **لهذا السبب بالذات** ازواج وزوجات فيما بينهم . وفي هذا الطور من العائلة تشمل علاقة القربى بين الاخ والاخت العلاقة الجنسية فيما بينهما كشيء بديهي * . ولذا يتألف الشكل المثالي لهذه العائلة من ذرية زوج واحد

---

* اعرب ماركس في رسالة كتبها في ربيع ١٨٨٢ (٢٦) بأحد التعابير عن رايه في نص "Nibelungen„ (« نيبيلونغ ») لفاغنر ، الذي يشوه كلياً العصر البدائي . «هل سمع يوماً ان الاخ يعانق اخته كانها زوجته (٢٧) ؟» . وبصدد هذه «الآلهة الشهوانية» الفاغنرية التي تضفي بطريقة عصرية تماماً على مساعيها الفرامية قدراً اكبر من الحرافة واللدغ برشها ببعض من سفاح القربى ، لاحظ ماركس قائلا : «في العصر البدائي **كانت** الاخت زوجة ، **وكان ذلك امراً اخلاقيا مشروعا**» . (**ملاحظة انجلس لطبعة ١٨٨٤ .**)

ان واحداً من اصدقاء فاغنر الفرنسيين (بونيه) ومن المعجبين به لم يوافق على هذه الملاحظة واشار الى اننا نجد في «ايدّا الكبرى» التي يستند اليها فاغنر ان لوكي يوجه في «اوغيسدريكا» الى فريا اللوم التالي : «لقد عانقتِ اخاك بالذات بحضور الآلهة» . فكأنه ينجم من هنا ان الزواج بين الاخ والاخت كان آنذاك محرّماً . ولكن «اوغيسدريكا» تعكس ذلك الزمن الذي كان فيه الايمان بالاساطير القديمة قد تحطم تماما ؛ فهي تسخر بالآلهة على طريقة لوقيانوس تماماً . واذا كان لوكي يوجه هنا ، على غرار ميفيستو ، مثل هذا اللوم الى فريا ، فان هذا يشكل بالاحرى دليلا ضد فاغنر . ناهيك بان لوكي يقول لنيوردر بعد بضعة

www.kassioun.org

(رجل وامرأة) يكون الجميع فيها في كل جيل من الاجيال المتعاقبة اخوة واخوات فيما بينهم ، وبالتالي ازواج وزوجات فيما بينهم .

وقد زالت عائلة قربى الدم . وحتى عند اوحش الشعوب التي ذكرها التاريخ ، يستحيل ايجاد مثال واحد لا مراء فيه . ولكنه **كان لا بد** لهذه العائلة ان تكون موجودة ؛ وهذا ما يحملنـــا على الاقرار به نظام القرابة الهاوايي الذي لا يزال حالياً ساري المفعول في عموم بولينيزيا والذي يعرب عن درجات من قرابة الدم لا يمكن ان تنشأ الا في ظل هذا الشكل من العائلـة . كذلك يحملنـــا على الاقرار بذلك كل تطور العائلـــة اللاحق الذي يفترض وجود هذا الشكل بوصفه درجة اولية لا غنى عنها .

٢ ـ **العائلة البونالوانيـــة** . اذا كانت الخطوة التقدمية الاولى في تنظيم العائلة قد تلخصت في تحريم العلاقة الجنسية بين الآباء والاولاد ، فقد تلخصت الخطوة الثانية في تحريم العلاقة الجنسية

ابيـــات : «مـــع اختك ولدت انت ابنـــا (كهذا)» (vidh systur thinni gaztu slikan mög (٢٨)) صحيح ان نيوردر ليس آسا Ase بل فانا Vane وانه يقول في «اونغلينغا ساغا» Junglinga Saga ان الزواج بين الاخوة والاخوات امر عادي في بلاد الفان Vanaland ، بينما لم يكن كذلك عند الآس Ases (٢٩) . قد يدل هذا على ان الفـــان آلهـــة اقدم من الآس . وعلى كل حال ، يعيش نيوردر بين الآس على قـــدم المساواة ، ولهذا تثبت «اوغيسدريكا» بالاحرى ان الزواج بين الاخوة والاخوات ، عند الآلهة على الاقل ، في عهد ظهور الاساطير النروجية عن الآلهة ، لم يكن يستثير بعد اي نفور واشمئزاز . اما اذا كان المقصود تبرير فاغنر ، فلعله من الافضل الاستشهاد بغوته لا بـ«ايدا» ، لان غوتـــه يقترف في قصيدته عن الاله والراقصة الهندية خطأ مماثلا فيما يتعلق بواجب المرأة الديني بالاستسلام والمضاجعة في المعابد ، ويقرب هذه العادة كثيراً جداً من الدعارة العصرية» . **(اضافة انجلس الى طبعة ١٨٩١ .)**

www.kassioun.org

بين الاخوات والاخوة . وقد كانت هذه الخطوة ، نظراً للقدر الاكبر من المساواة في العمر بين ذوي العلاقة ، أهم من الاولى بما لا حد له ، ولكنها كانت ايضاً اصعب منها . فهي لم تتحقق دفعة واحدة ، بل تدريجياً ، بادئة ، حسب كل احتمال ، من تحريم العلاقة الجنسية بين الاخوة والاخوات الاخياف (اي من ناحية الام فقط) ؛ وقد شمل هذا التحريم اولا حالات منفردة ثم اصبح تدريجياً قاعدة (وفي جزر هاواي ، كانت لا تزال هناك شواذات على القاعدة في قرننا) ، وانتهى بتحريم الزواج حتى في خطوط القرابة المنحرفة ، اي ، حسب تعابيرنا الحالية ، بتحريمه بين اولاد واحفاد واولاد احفاد الاخوة والاخوات . وهذا التقدم كان ، برأي مورغان ،

«مثالا بيانيا ممتازاً على الطريقة التي يسري بها مفعول مبدأ الاصطفاء الطبيعي» (٣٠) .

ولا ريب في انه كان لا بد للقبائل التي كان فيها سفاح القربى محدوداً بفضل هذه الخطوة ان تتطور بصورة اسرع واكمل مما تطورت القبائل التي بقي فيها الزواج بين الاخوة والاخوات قاعدة وواجباً . اما اي تاثير قوي كان لهذه الخطوة ، فتثبته المؤسسة التي نجمت عنها مباشرة والتي تجاوزت كثيراً غايتها الاولية ، وهي مؤسسة **العشيرة** التي تشكل اساس النظام الاجتماعي عند اغلبية الشعوب البربرية في الارض ، ان لم يكن عند جميعها ، والتي ننتقل منها مباشرة في اليونان وروما الى عصر الحضارة .

وكان لا بدّ ان تنقسم كل عائلة بدائية بعد بضعة اجيال لا إكثر . فان الاقتصاد المنزلي المشترك الشيوعي البدائي الذي ظل سائداً بلا منازع قبل ازدهار الدرجة المتوسطة من البربرية كان يعين ابعاداً قصوى للمشاعة العائلية تتغير تبعاً للظروف ، ولكنها

www.kassioun.org

ثابتة الى هذا القدر او ذاك في كل محلة بعينهـــا . ولكن ما ان ظهرت فكرة عدم جواز العلاقة الجنسية بين اولاد ام واحدة حتى اضطلعت بدورها بالضرورة عند انقسام المشاعات المنزلية القديمة وعند تأسيس مشاعات منزلية جديدة (كانت لا تتطابق حتماً مع الجماعة العائلية) . فقد كانت مجموعة او بضع مجموعـــات من الاخوات تصبح نواة مشاعية واحدة وكان اخوتهن الاخيـــاف يصبحون نواة مشاعية اخرى . وعلى هذا النحو او بنحو مماثل ، نجم من عائلة قربى الدم شكل للعائلة اسماه مورغـــان بالشكل البونالواني . وحسب العادة الهاوايية ، كان عدد معين من الاخوات هن اخوات من ام واحدة او على علاقة قربى ابعد (بنات خالات واخوال واعمام وعمات من الدرجة الاولى والثانية ، الخ .) زوجات مشتركات لازواجهن المشتركين ، ولكن باستثناء اخوتهن ؛ ولم يعد هؤلاء الرجال يسمون بعضهم بعضاً بالاخوة ، فضلا عن انه لم يعد من الواجب ان يكونوا اخوة ، بل «بونالوا» Punalua وكلمـــة بونالوا تعني رفيقاً قريباً او associé * اذا جـــاز القول . وعلى النحو ذاته ، كانت مجموعة من الاخوة ، اخوة من ام واحدة او على علاقة قربى ابعد ، تدخل في زواج مشترك مع عدد معين من النساء ولكن من **غير** اخواتهم ، وكانت هؤلاء النساء يسمين بعضهن بعضاً بالبونالوا . هكذا كان الشكل الكلاسيكي للتكوينة العائلية ؛ وهذا الشكل طرأت عليه فيما بعد تغيرات وكانت سمته المميزة الرئيسية الشراكة المتبادلة للرجال والنساء داخل حلقة عائليـــة معينة ، ولكن هذه الحلقة لم تكن تشمل اخوة الزوجات ، الاخوة الاخياف في البدء ، ثم ايضاً الاخوة على درجات ابعد من القربى ، وكذلك من الناحية المقابلة اخوات الازواج .

---

* ـ شريكاً . **الناشر** .

www.kassioun.org

ان شكل العائلة هذا هو الذي يقدم لنا بكامل الدقة درجات القرابة التي يعبر عنها النظام الاميركي . فان اولاد اخوات امي لا يزالون اولادها ايضاً ، مثلمـــا كان اولاد اخوة والدي لا يزالون اولاده ، وجميعهم اخوتي واخواتي . ولكن اولاد اخوة امي اصبحوا الآن ابناء وبنات اخوتها ، واولاد اخوات والدي اصبحوا ابناء وبنات اخواته ، وجميعهم اصبحوا اخوتي واخواتي من الدرجة الثانية اي ابناء وبنات اخوالي وعماتي . وبالفعل ، بينا ازواج اخوات امي لا يزالون ازواجها ، مثلما زوجـــات اخوة والدي لا يزلن زوجاته ،ــ شرعاً ان لم يكن دائماً فعلاــ ادى تنديد المجتمع بالعلاقات الجنسية بين الاخوة والاخوات من الدرجـــة الاولى الى انقسام اولاد الاخوة والاخوات الى قسمين ، مع انهم كانوا قبل ذاك يُعتبرون بلا تمييز اخوة واخوات : فان بعضهم يبقون فيما بينهم كما من قبل اخوة واخوات (حتى وان كانوا على درجـــات ابعد من القرابة) ؛ اماّ البعض الآخر ، اي اولاد الاخ من جهة ، واولاد الاخت من جهة اخرى ، **فلم يبق بوسعهم** ان يكونوا اخوة واخوات ، لم يبق بوسعهم ان يكون لهم آباء مشتركون ، لا اب مشترك ولا ام مشتركة ولا الأب والام معاً ؛ ولهذا تظهر هنا للمرة الاولى الحاجة الى فئة ابناء وبنات الاخ والاخت ، وابناء وبنات العم والخال والعمة والخالة (او الاخوة والاخوات من الدرجـــة الثانية) ، اي الى فئة لم يكن لها اي معنى في ظل النظـــام العائلي السابق . ان نظام القرابة الاميركي الذي يبدو اخرق تماماً في كل شكل للعائلة يرتكز على هذا النوع او ذاك من الزواج الاحادي ، انما يجد لنفسه تفسيراً معقولا وتعليلا طبيعياً ، بما في ذلك اقل تفاصيله ، في العائلة البونالوانية . وبقدر ما انتشر نظام القرابة هذا ، كان لا بد ، على الاقل ، ان توجد ايضاً العائلة البونالوانية او شكل ما للعائلة مماثل .

www.kassioun.org

ومن المحتمل اننا كنا حصلنـــا في عموم بولينيزيـــا على المعلومات عن شكل العائلة هذا الذي اقيم البرهان على وجوده فعلا في جزر هاواي ، لو استطاع المرسلون الاتقياء مثلهم مثل القسس الاسبانيين الطيبي الذكر في اميركا ، ان يروا في هذه العلاقـــات المناقضة للاخلاق المسيحية شيئاً غير «الرذائل» * . وعندمـــا يحكي لنا قيصر عن البريطانيين Bretons الذين كانوا في زمنه في الطور الاوسط من البربرية ويقول ان «عند كل عشرة رجال او اثني عشر رجلا زوجات مشتركات ، ناهيك بانهن في اغلب الاحوال مشتركات بين الاخوة او بين الآباء والابناء» (٣٣) ، فـــان خير تفسير لهذا الوضع انما هو وجود الزواج الجماعي . ففي مرحلة البربرية ، لم يكن لدى كل من الامهات عشرة اولاد او اثنا عشر ولداً بسن تتيح لهم اخذ زوجات مشتركات ، بينا نظام القرابـــة الاميركي الذي يناسب العائلة البونالوانية يفترض عدداً كبيراً من الاخوة لان جميع ابناء العم والخال الاقربين والابعدين لكل رجل هم اخوته . اما فيما يخص «الآباء والابناء» ، فمن الممكن ان يكون قيصر قد اخطأ . صحيح انه ليس من المستبعد اطلاقاً في ظل هذا النظام ان ينتسب الاب والابن او الام والابنة الى مجموعة زواجية واحدة ، ولكنه من المستحيل بالمقابل وجود الاب والابنة

---

* ان آثار العلاقات الجنسية غير المنظمة المسماة «بالحمل الاثيم» („Sumpfzeugung“) والتي يظن باهوفن (٣١) انه هو الذي اكتشفها ، تؤدي الى الزواج الجماعي ؛ وهذا امـــر لم يبق من الممكن الآن الشك بصحته . «واذا كان باهوفن يعتبر هذه الزواجات «البونالوانية» «غير شرعية» ، لاعتبر انسان من ذلك العصر اغلبية الزواجات في عصرنا بين ابناء وبنات الاعمام والاخوال والعمات والخالات ، الاقربين والابعدين ، زواجات زناء وسفاح كالزواجات بين الاخوة والاخوات» (ماركس) (٣٢) (راجع «ارشيف ماركس والجلس» ، الطبعة الروسية ، المجلد ٩ . ص ١٨٧) .

www.kassioun.org

او الام والابن في هذه المجموعة . كذلك بالذات يقدم هذا الشكل من الزواج الجماعي او شكل مماثل له اسهل تفسير لاخبار هيرودوتس وغيره من قدماء الكتاب عن شراكة النساء عند الشعوب المتوحشة والبربرية . وهذا ما يصح ايضاً على ما يرويه وطسن وكاي (« سكان الهند » (٣٤)) عن التيكور في أوذ (شمال نهر الغانج) :

« انهم يعيشون معا » (والمقصود بذلك العلاقات الجنسية) « بغير نظام تقريبا ، في نطاق جماعات كبيرة ، واذا كان اثنان منهم يعتبران زوجا وزوجة ، فان علاقة الزواج هذه ليست الا اسمية » .

اغلب الظن ان مؤسسة **العشيرة** قد نشأت مباشرة من العائلة البونالوانية في معظم الحالات . صحيح انه من الممكن ان يكون النظام الاوسترالي لطبقات الزواج (٣٥) قد قدم هو ايضا نقطة انطلاق لهذه المؤسسة : فعند الاوستراليين توجد عشائر ولكنه لا توجد بعد عندهم عائلة بونالوانية ، بل شكل اكثر بدائية للزواج الجماعي .

وفي جميع اشكال العائلة الجماعية ، لا تمكن معرفة والد الطفل بدقة ، ولكنه تمكن معرفة امه بدقة . واذا كانت تسمي **جميع** اولاد العائلة المشتركة اولادها ، وتتحمل حيالهم واجبات الامومة ، فانها مع ذلك تميز اولادها بالذات عن الباقين . ومن هنا يتضح انه ما دام الزواج الجماعي قائماً ، لا يمكن اثبات الاصل الا من ناحية **الام** ، ولا يمكن بالتالي الاعتراف الا **بخط الام** . وهكذا كان الحال فعلا عند جميع الشعوب المتوحشة وعند جميع الشعوب التي بلغت الدرجة الدنيا من البربرية . ومأثرة باهوفن الثانية الكبرى ، انه كان اول من اكتشف ذلك . وهو يطلق اسم حق الام على هذا الاعتراف بالاصل بموجب خط الام بوجه

www.kassioun.org

الحصر ، وعلى علاقات الارث التي نشأت من هنا وتطورت مع مرور الزمن ؛ واني احتفظ بهذا الاسم لايجازه ؛ ولكنه غير موفق ، لانه لا يمكن بعد التحدث في هذه المرحلة من تطور المجتمع عن الحق بالمعنى الحقوقي .

واذا اخذنا الآن من العائلة البونالوانية جماعة من جماعتيها النموذجيتين ، وعلى وجه الضبط جماعة الاخوات من ام واحدة او من درجات قرابة ابعد (اي متحدرات من اخوات من ام واحدة في الجيل الاول او الثاني او مـــا يليه) ــ مع اولادهن واخوتهن ــ الاخياف او من درجات قرابة ابعد من ناحية الام (الذين **ليسوا** ، حسب افتراضنـــا ، ازواجهن) لرأينـــا على وجه الضبط تلـــك الحلقة من الاشخاص الذين يبرزون فيمـــا بعـد كاعضاء العشيرة بشكلها الاولي . فان لجميعهـــم جدة واحدة مشتركـة ؛ وجميـع ذريتها النسائية في كل جيل هن اخوات فيما بينهن بحكم تحدرهن منها . ولكنه لم يبق بمستطاع ازواج هؤلاء الاخوات ان يكونوا اخوتهن ولا يمكن ان يتحدروا بالتالي من هذه الجدة ولا يمكنهـم بالتالي ان يدخلوا في قوام هذه الجماعة التي تربط بين اعضائها قرابة الدم والتي غدت فيما بعد العشيرة . ولكن اولادهم ينتمون الى هذه الجماعة لأن النسب حسب خط الام هو وحـــده الذي يضطلع بالدور الفاصل نظراً لانه هو وحده ثابت لا ريـب فيـه . ومع اقرار تحريـــم العلاقات الجنسيـــة بين الاخوة والاخوات ، وحتى بين ابعد اقرباء خط القرابة المنحرف من جهة الام ، تحولت الجماعة المعنية الى عشيرة اي انها تشكلت بوصفها حلقة ثابتـــة من اقارب بالدم حسب حبل النســـل النسائي لا يستطيعون ان يتزاوجوا فيما بينهم ؛ وهذه الحلقة اخذت مذ ذاك تتوطد اكثر فاكثر بفضل مؤسسات مشتركة اخرى ، اجتماعية ودينيـــة على السواء ، وتتميز اكثر فاكثر عن العشـــائر الاخرى من القبيلـــة

www.kassioun.org

ذاتها . وسنتحدث عن هذا بمزيد من التفصيل فيما بعد . ولكن اذا وجدنا ان العشيرة تتطور من العائلة البونالوانية ، لا بحكم الضرورة وحسب ، بل ايضاً بصورة بسيطة بديهية ، توفرت لنا الاسباب لكي نعتبر من المؤكد والثابت تقريباً وجود هذا الشكل من العائلة فيما مضى عند جميع الشعوب التي يمكن ايجاد مؤسسات العشيرة عندها اي تقريباً عند جميع الشعوب البربرية والمتمدنة .

عندما كتب مورغان كتابه ، كانت معلوماتنا عن الزواج الجماعي لا تزال محدودة جداً . كنا نعرف بعض التفاصيل عن الزواجات الجماعية عند الاوستراليين المنتظمين في طبقات ؛ ناهيك بان مورغان كان قد نشر في عام ١٨٧١ معطيات وصلت اليه عن العائلة البونالوانية الهاوايية (٣٦) . فان العائلة البونالوانية قد اعطت ، من جهة ، تفسيراً كاملا لنظام القرابة السائد عند الهنود الحمر الاميركيين والذي كان بالنسبة لمورغان نقطة انطلاق في جميع ابحاثه ؛ وكانت ، من جهة اخرى ، نقطة انطلاق جاهزة كان يمكن منها اشتقاق العشيرة المؤسسة على حق الام ؛ وكانت اخيراً درجة اعلى بكثير في سلّم التطور من الطبقات الاوسترالية . ولهذا كان من المفهوم ان يعتبرها مورغان درجة من التطور سبقت بالضرورة الزواج الثنائي وان ينسب اليها انتشاراً عاماً في الازمنة السابقة . ومذ ذاك اطلعنا على جملة كاملة من اشكال الزواج الجماعي الاخرى ، ونحن نعرف الآن ان مورغان تجاوز الحد هنا كثيراً جداً . ولكن الحظ حالفه مع ذلك ووجد في عائلته البونالوانية الشكل الاعلى ، الشكل الكلاسيكي للزواج الجماعي ، الشكل الذي يفسر بابسط نحو ، بالانطلاق منه ، الانتقال الى شكل اعلى .

اما الاغناء الجوهري في معلوماتنا عن الزواج الجماعي ، فنحن مدينون به قبل كل شيء للمرسل البريطاني لوريمير فايسون الذي

www.kassioun.org

درس خلال سنوات عديدة هذا الشكل من العائلـــة في ميدانهـــا الكلاسيكي ، اي في اوستراليا (٣٧) . فقد اكتشف درجة التطور الدنيا عند الزنوج الاوستراليين في منطقة ماونت-غامبير في اوستراليا الجنوبية . فان القبيلـة كلها هنا مقسومـــة آلى طبقتين كبيرتين ، الكروكي والكوميت . والعلاقات الجنسيـــة في داخل كل من هاتين الطبقتين ممنوعـــة منعاً باتاً . وكل رجل من احدى الطبقتين هو ، على العكس ، منذ الولادة ، زوج كل امرأة من الطبقـــة الاخرى ؛ وهذه المرأة هي زوجته منذ الولادة . فليس الافراد ، بل جماعات كاملة تتزاوج بعضها مع بعض ، طبقة مع طبقة . وتجدر الاشارة الى ان فارق العمر والقرابـــة بالدم لا يشكّلان هنا ابداً عقبة آمام العلاقات الجنسيـــة ، ولا يوجد غير القيد الناجم عن الانقسام الى طبقتين خارجيتي الزواج . ان كل امرأة من الكوميت هي بالنسبة لكل كروكي زوجته حقاً وشرعاً ؛ ولكن بمـــا ان ابنتـــه بالذات بوصفهـــا ابنة امرأة كوميت هي ايضاً من الكوميت بموجب حق الام ، فهي بحكـــم ذلك منـذ الولادة زوجـــة كل كروكي وبالتالي زوجة والدها . وعلى كل حال ، لا يقيم تنظيـم الطبقات في الصورة التي نعرفـــه بها اي عقبـة امام ذلك . اذن ، اما ان هذا التنظيم قد نشأ في حقبـة لم ير فيها بعد الناس اي امر رهيب بخاصـــة في العلاقات الجنسية بين الآباء والاولاد ، رغم كل سعيهم الغامض الى الحد من سفاح القربـــى ، ــ وفي هذه الحال ، ظهر نظام الطبقـــات مُباشرة من حالة العلاقات الجنسية غير المنظمة ، ــ واما ان العلاقات الجنسيـــة بين الآباء والاولاد **كانت** ممنوعـــة بحكم العرف والعادة عند نشوء الطبقات الزواجية ، وفي هذه الحال ، يعود الوضع الحالي الى وجود عائلـــة القربى بالدم قبل ذلك ، ويشكـــل اول خطوة للخروج منها . ان الافتراض الاخير اكثر احتمـــالا . ولا يذكرون ، حسبمـــا اعلم ، امثلـــة عن علاقات زواج بين الآبـــاء والاولاد في

www.kassioun.org

اوستراليا ، ناهيك بان الشكل اللاحق للزواج الخارجي ، اي العشيرة القائمة على الحق الامي ، تفترض كذلك ، ضمنا ، كقاعدة ، منع مثل هذه العلاقات بوصفه والعا كان قائما عند نشوئها .

وفضلا عن منطقة ماونت-غامبير في اوستراليا الجنوبية ، يقوم نظام الطبقتين ايضا الى ابعد في اتجاه الشرق ، في حوض نهر دارلينغ ، وفي الشمال الشرقي ، في كوينسلند ؛ وهو بالتالي واسع الانتشار . وهو لا ينفي غير الزواج بين الاخوة والاخوات ، بين اولاد الاخوة وبين اولاد الاخوات حسب خط الام ، لانهم ينتمون الى طبقة واحدة ؛ اما اولاد الاخت والاخ ، ففي مستطاعهم ، على العكس ، ان يتزاوجوا فيما بينهم . ونجد خطوة اخرى لاحقة لمنع سفاح القربى عند قبيلة الكاميلاروي في حوض نهر دارلينغ في ويلس الجنوبية الجديدة ، حيث انقسمت الطبقتان الاصليتان الى اربع ، وحيث كل من هذه الطبقات الاربع تتزوج بكليتها مع طبقة اخرى معينة . ان الطبقتين الاوليين هما منذ الولادة متزوجة احداهما مع الاخرى ؛ وتبعا لانتماء الام الى الطبقة الاولى او الثانية منهما ، ينتقل اولادها الى الطبقة الثالثة او الرابعة . واولاد الطبقتين الاخيرتين اللتين تربط بينهما ايضا علاقات الزواج ، يدخلون في قوام الطبقتين الاولى والثانية . وهكذا ينتمي دائما جيل واحد الى الطبقة الاولى والثانية ، وينتمي الجيل التالي الى الطبقة الثالثة والرابعة ، ثم ينتمي الجيل الثالث من جديد الى الطبقة الاولى والثانية . وتبعا لذلك ، لا يستطيع اولاد الاخ والاخت (من جهة الام) ان يكونوا زوجا وزوجة ، ولكن احفاد الاخ والاخت يستطيعون ذلك . ان هذا النظام المعقد الاصيل يزداد تعقدا بفعل اندساس العشيرة الامية (العشيرة حسب خط الام) فيه ، وان ، على كل حال ، في وقت لاحق . ولكنه لا يسعنا هنا ان نستغرق في بحث هذا الامر . وهكذا نرى ان السعي الى منع سفاح القربى

www.kassioun.org

يتجلى المرة تلو المرة ، ولكن بشكل غريزي ، عفوي ، دون اي ادراك واضح للهدف .

ان الزواج الجماعي الذي لا يزال هنا ، في اوستراليا ، زواجاً بين طبقتين ، زواجاً بالجملة بين طبقة كاملة من الرجال موزعة في كثير من الاحيان في عموم القارة وبين طبقة من النساء موزعة بالقدر نفسه ، ان هذا الزواج الجماعي لا يبدو ابداً ، حين النظر اليه عن كثب ، فظيعاً بالقدر الذي يتصوره خيال التافهين المبتذلين الذي اعتاد على ما يجري في بيوت الدعارة . فلقد مرّت ، على العكس ، سنوات وسنوات قبل ان يخطر في البال مجرد وجوده ؛ فضلا عن انهم شرعوا لأمد قريب يجادلون من جديد في وجوده . ان المراقب السطحي يرى فيه زواجاً احادياً واهي العرى ، ويرى في بعض الانحاء ، نظاماً لتعدد الزوجات ترافقه الخيانة الزوجية بين الفينة والفينة . وكان لا بدّ من تكريس سنوات كاملة ، كما فعل فايسون وهاويت ، لاجل اكتشاف القانون الذي يضبط علاقات الزواج هذه التي يميل الاوروبي العادي الى ان يرى في ممارستها شيئاً ما يشبه ما يوجد في وطنه ، ــ القانون الذي بموجبه يجد الزنجي الاوسترالي الغريب ، على بعد آلاف الكيلومترات عن موطنه الاول ، بين اناس يتكلمون لغة يجهلها ، بله احياناً كثيرة في كل مقام ، في كل قبيلة ، نساء على استعداد للاستسلام له بلا مقاومة وبلا استياء ؛ القانون الذي بموجبه يتنازل الرجل الذي عنده عدة نساء ، عن واحدة منهن لاجل ضيفه لقضاء الليل معها . وحيث يرى الاوروبي انعدام الاخلاق والقانون ، يسود بالفعل قانون صارم . ان هؤلاء النساء ينتمين الى طبقة الاجنبي الزواجية ، وهنّ بالتالي زوجاته منذ الولادة . ان القانون الاخلاقي نفسه الذي يعدّهم بعضاً لبعض ، يمنع ، تحت طائلة العقاب المخزي ، كل علاقة جنسية خارج الطبقتين الزواجيتين اللتين تخص احداهما الاخرى .

www.kassioun.org

وحتى حيث يخطفون النساء ،ـ وهذا امر يقع في كثير من الاحيان ، وهو قاعدة في كثير من الانحاء ،ـ يُطَبِّق قانون الطبقات الزواجية بكل دقة .

ومن جهة اخرى ، تتبدى في خطف النساء علائم الانتقال الى الزواج الاحادي ، بشكل الزواج الثنائي على الاقل (بين اثنين) : فعندما كان الشاب يخطف فتاة بمساعدة اصدقائه بالقوة او بالاغراء ، فانهم جميعهم يضاجعونها بالدور ، ولكنها بعد ذلك تعتبر زوجة ذلك الشاب الذي كان صاحب فكرة الخطف . وبالعكس ، اذا هربت المرأة المخطوفة من زوجها وقبض عليها رجل آخر ، فانها تصبح زوجة هذا الاخير ، ويفقد الاول حقه المفضل عليها . والى جانب وفي قلب الزواج الجماعي الذي لا يزال قائماً على العموم ، تبرز بالتالي علاقات تستبعد الآخرين ، يبرز تزاوج ، تجامع شخصين (رجل وامرأة) لفترة من الزمن قد تطول او تقصر ؛ والى جانب ذلك ، يقوم تعدد الزوجات ؛ وعليه نرى الزوآج الجماعي هنا ايضاً بسبيل الزوال ، وتنحصر المسألة كلها في معرفة من ذا الذي سيغادر الحلبة قبل غيره تحت تأثير الاوروبيين ، الزواج الجماعي ام اتباعه ، الزنوج الاوستراليون .

ان الزواج بين طبقات بكاملها بالشكل الذي يسود به في اوستراليا ، هو على كل حال شكل منخفض جداً ، بدائي من اشكال الزواج الجماعي ، بينما العائلة البونالوانية هي ، حسبما نعرف ، الدرجة العليا في تطوره . ويبدو ان الاول شكل يناسب مستوى التطور الاجتماعي الذي بلغه المتوحشون الرحل ، بينما الثاني يفترض وجود مقامات ثابتة نسبياً لمشاعات شيوعية ، ويؤدي مباشرة الى الدرجة التالية العليا من التطور . وبين هذين الشكلين ، نجد ايضاً ، بلا ريب ، بعض الدرجات الوسطية . وهذا ميدان للبحث انفتح امامنا للتو ويكاد يكون غير مطروق .

www.kassioun.org

٣ ـ العائلة الثنائية . آن شكلا معينـا من التزاوج الثنـائي ، من التجامع بين شخصين لمدة قد تطول او تقصر ، كان موجوداً في ظروف الزواج الجماعي او حتى قبل ذاك ؛ فقد كانت للرجل زوجة رئيسية (ويكاد يكون من غير الممكن القول انها الزوجة المفضلة) في عداد زوجـات كثيرات ، وكان بالنسبة لهـا الزوج الرئيسي في عداد ازواج كثيرين . وقد اسهم هذا الامر بقسط كبير في خلق التشوش في رؤوس المرسلين الذين اعتبروآ الزواج الجماعي ، تارة مشاعية للنساء لا قاعدة لها ولا ضابط ، وطوراً حرية مطلقة في انتهاك الاخلاص الزوجي . ولكن هذا الشكل للتجامع الثنائي ، بين شخصين ، الذي اصبح عادة مالوفة كان لا بدّ له ان يترسخ أكثر فاكثر بقدر ما كانت العشيرة تتطور وبقدر ما كانت تتزايد جماعات «الاخوة» و «الاخوات» التي غدا الزواج مستحيلا فيما بينها . ان الدفعة التي بثتها العشيرة في اتجاه منـع الزواج بين الاقربـاء بـالدم قد ادت الى ابعـد من ذلك . وهكـذا نجد ان الزواج عند الايروكوا وعند اغلبية الهنود الحمر الآخرين في الدرجة الدنيا من البربرية ممنوع بين **جميع** الاقرباء الذين يعددهم نظامهم ، وامثال هذا النظام بضع مئات من كل شاكلة ونوع . ونظراً لهذا التشوش المشتد في موانع الزواج ، اخذت الزواجات الجماعية تستحيل اكثر فـاكثر ، واخذت **العائلة الثنائية** تحـل محلهـا . ففي هذا الطور ، يعيش الرجل مع امرأة واحدة ، ولكن تعدد الزوجـات والخيـانة الزوجية بين الفينة والفينة لا يزالان من حق الرجل ، رغم ان تعدد الزوجات نادر الوقوع بحكم الاسباب الاقتصادية ايضا ؛ بيد ان المرأة مطالبة في اغلبية الاحوال بادق الامانة طيلة مدة آلمساكنة ، وتعاقب على خيانتها عقاباً قاسياً . ولكنه من السهل على كل من الطرفين آن يحل الرابطة الزوجية ، فيعود الاولاد الى الام فقط ، كما من قبل.

www.kassioun.org

وفي هذا الحصر الذي يضيق اكثر فاكثر ويستبعد الاقرباء بالدم من الرابطة الزوجية ، يواصل الاختيار الطبيعي فعله . وحسب مورغان ،

« كانت الزواجات بين افراد العشائر التي لا تجمع بينها قرابة الدم تؤدي الى نشوء سلالة اقوى سواء جسديا او عقليا ؛ وكانت قبيلتان بسبيل التقدم تندمجان في قبيلة واحدة ، فتاخذ جماجم وادمغة الاجيال الجديدة تتسع بصورة طبيعية الى ان تبلغ مقاييس تناسب مجموعة خصائص القبيلتين » (٣٨) .

وعليه كان لا بدّ للقبائل ذات التنظيم القائم على العشيرة ان تتغلب على القبائل المتاخرة او ان تجتذبها وراءها بمثالها .

ان تطور العائلة في العصر البدائي يتلخص اذن في استمرار تقلص تلك الحلقة التي كانت في البدء تشمل القبيلة كلها والتي كانت تسود في داخلها مشاعية علاقات الزواج بين الجنسين . وبالاستمرار على استبعاد الانسباء الاكثر قرابة بادئ ذي بدء ، ثم الانسباء الاكثر بعداً ، واخيراً ، حتى الانسباء بالمصاهرة ، اخذ كل شكل من اشكال الزواج الجماعي يستحيل عملياً ، ولم يبق في آخر المطاف الا زوج من اثنين تجمع بينهما علاقات زواج غير متينة ، لم يبق غير جزيئة يضع انشطارها حداً للزواج . ومن هذا وحده يتبين مدى ضآلة ما يجمع بين ظهور الزواج الاحادي وبين الحب الجنسي الفردي بمعناه الحالي . وهذا ما تثبته بمزيد من القوة ممارسة جميع الشعوب التي لا تزال في هذه الدرجة من التطور . فبينا لم يكن الرجال ليشعرون ابداً باي نقص الى النساء في ظل الاشكال السابقة للعائلة ، بل كان لديهم منهن بالاحرى اكثر من اللزوم ، اصبحت النساء الآن امراً نادراً يجب البحث عنه . ولهذا يبدأ خطف النساء وشراء النساء منذ ظهور الزواج الثنائي ،

www.kassioun.org

ـ وهما **علامتان** واسعتا الانتشار ، رغم انهما ليستا اكثر من علامتي تغير اشد عمقاً بكثير ؛ ومن هاتين العلامتين اللتين كانتا لا تتعلقان الا باساليب الحصول على النساء ، لفق الدعي الاسكتلندي ماك ـ لينان ، مع ذلك ، شكلين خاصين للعائلة : «الزواج بالخطف» و «الزواج بالشراء» . ومن جهة اخرى ، ليس عقد الزواج عند الهنود الحمر الاميركيين وعند شعوب اخرى (لا تزال في درجة التطور نفسها) من شأن الذين سيتزوجون والذين لا يأخذون رأيهم في غالب الاحيان ، بل من شأن امهاتهم . وهكذا لا يندر أن تتم خطبة شخصين لا يعرفان ابداً احدهما الآخر ، ناهيك بانهم لا يطلعونهما على صفقة الزواج الا متى اقترب موعد الزواج . وقبل العرس ، يقدم الخطيب هدايا الى اقارب الخطيبة في العشيرة (اي الى اقاربها من جهة الام ، لا الى الاب والاقارب من جهته) ؛ وتعتبر هذه الهدايا ثمن الفتاة التي سيعطونه اياها . ومن الممكن فسخ الزواج بناء على رغبة كل من الزوجين ؛ ولكنه تكون تدريجياً عند كثير من القبائل ، وبينها مثلا قبيلة الايروكوا ، رأي عام سلبي حيال فسخ الزواج . فحين تنشب الخلافات بين الزوجين ، يقوم اقرباء الزوجة واقرباء الزوج في العشيرة بدور الوساطة ، ولا يتم فسخ الزواج الا اذا اخفقت الوساطة ، مع العلم ان الاولاد يبقون للزوجة ، وانه يصبح من حق كل من الطرفين ان يتزوج من جديد .

ان العائلة الثنائية ، التي هي بحد ذاتها على درجة كبيرة من الضعف وعدم الاستقرار بحيث انها لا تجعل من الضروري او حتى من المرغوب فيه قيام اقتصاد بيتي خاص ، لا تقضي اطلاقاً على الاقتصاد البيتي الشيوعي الموروث من مرحلة سابقة . ولكن الاقتصاد البيتي الشيوعي يعني سيادة النساء في البيت ، كما ان الاعتراف بالام وحدها ، نظراً لاستحالة معرفة الوالد بكل ثقة ، يعني رفيع الاحترام للنساء اي للامهات . وان الرأي الزاعم ان المرأة

www.kassioun.org

كانت عبدة الرجل في بداية تطور المجتمع هو من اسخف الآراء التي تركها لنا عصر الانوار في القرن الثامن عشر . فان المراة عند جميع المتوحشين وعند جميع القبائل في الطورين الادنى والاوسط ، وجزئياً في الطور الاعلى من البربرية ، لا تتمتع بالحرية وحسب ، بل تشغل ايضا مركزاً مشرفا جداً . اما ما هو هذا المركز في ظل الزواج الثنائي ، فيمكن ان يفيدنا عنه اشير رايت الذي كان خلال سنوات عديدة مرسلا بين الايروكوا من قبيلة سينيكا . فهو يقول :

«وفيما يخص عائلاتهم ، عندما كانت لا تزال تعيش في بيوت طويلة قديمة» (وهي اقتصادات بيتية شيوعية لبضع عائلات) «... كان يهيمن دائماً فيها «كلان» clan ما» (عشيرة) «بحيث ان النساء كن يتزوجن من رجال «كلانات»» (عشائر) «اخرى» . «...وعادة كان النصف النسائي يهيمن في البيت ؛ كانت الاحتياطيات مشتركة ؛ ولكن الويل للزوج المنحوس او العشيق المنحوس الفائق الكسل او الفائق الخراقة ، فلا يسهم بقسطه في الاحتياطي المشترك . فمهما كان عدد اولاده في البيت ومهما كانت ملكيته الشخصية في البيت ، فقد كان من الممكن ان يتلقى في كل لحظة امراً بربط صرّته وبالرحيل . ولم يكن ليجرؤ حتى للقيام بمحاولة لمقاومة هذا الامر ؛ فان البيت كان يتحول بالنسبة له الى جهنم ، ولم يكن يبقى له غير العودة الى «كلانه» (عشيرتـه) السابق ، او غير عقـد زواج جديد في «كلان» آخر ـ الامر الذي كان يحدث في اغلب الاحيان . وكانت النساء قوة كبيرة في الكلانات» (العشائر) ، «وكذلك في كل مكان على العموم . وكن لا يترددن احياناً عن عزل زعيم ما وانزاله الى مرتبة محارب بسيط» (٣٩) .

ان الاقتصاد البيتي الشيوعي الذي كانت فيه جميع النساء او اغلبيتهن ينتمين الى العشيرة نفسها ، بينما الرجال ينتمون الى عشائر مختلفة ، هو الاساس الفعلي لتلك الهيمنة التي كانت تتمتع بها المرأة في الازمنة البدائية في كل مكان ، والتي يشكل اكتشافها مأثرة باهوفن الثالثة . ـ واضيف ايضاً ان اخبار الرحالة والمرسلين

www.kassioun.org

حول العمل المرهق الملقى على عاتق النساء عند المتوحشين والبرابرة لا تناقض ابداً ما قيل اعلاه . فان تقسيم العمل بين الجنسين لا يشترطه وضع المرأة في المجتمع ، بل تشترطه اسباب مختلفة تماماً . فان الشعوب التي يجب عندها ان تشتغل النساء اكثر بكثير مما يترتب عليهن حسب تصوراتنا ، تبدي في غالب الاحيان من الاحترام الحقيقي للنساء اكثر بكثير مما يبديه اوروبيونا . فان «سيدة» عصر الحضارة ، المحاطة بالتقدير والاجلال الظاهريين ، والغريبة عن كل عمل حقيقي ، تشغل وضعاً اجتماعياً ادنى الى ما لاحد له من وضع المرأة في عصر البربرية ، التي كانت تقوم بعمل مرهق والتي كانت تعتبر بنظر شعبها سيدة حقيقية (lady, frowa, Frau= سيدة) والتي كانت كذلك حقاً وفعلا بحكم وضعها .

اما فيما يتعلق بمسألة معرفة ما اذا كان الزواج الثنائي في اميركا قد حل تماماً محل الزواج الجماعي ، فينبغي ان توضحها دراسة اوسع واعمق للشعوب الشمالية الغربية ولا سيما لشعوب اميركا الجنوبية ، التي لا تزال في الطور الاعلى من الوحشية . ففي القصص عن هذه الشعوب الاخيرة ، نجد من الامثلة المتنوعة عن حرية العلاقات الجنسية ما يكاد يجعل من المستحيل هنا القول بزوال الزواج الجماعي القديم زوالا تاماً . وعلى كل حال ، لم تزل بعد جميع آثاره . فعند اربعين قبيلة في اميركا الشمالية على الاقل ، يحق للرجل الذي يتزوج الاخت الكبرى ان يتزوج ايضا جميع اخواتها ما ان يبلغن السن المقررة ، ـ وهذا اثر لمشاعية الرجال بالنسبة لمجموعة كاملة من الاخوات . ويروي بانكروفت عن سكان شبه جزيرة كاليفورنيا (الطور الاعلى من الوحشية) انهم يقيمون احتفالات تجتمع فيها عدة «قبائل» بقصد المضاجعة غير المنظمة (٤٠) . والمقصود هنا ، على الارجح ، العشائر التي كانت

www.kassioun.org

هذه الاحتفالات بالنسبة لها شكلا يحتفظ بذكريات غامضة عن ذلك الزمن الذي كان فيه جميع رجال عشيرة واحدة ازواجاً مشتركين لنساء عشيرة اخرى ، والعكس بالعكس . ومثل هذه العادة لا تزال سارية المفعول في اوستراليـــا . ويحدث عند بعض الشعوب ان يستغل الشيوخ والزعماء والكهنة السحرة في مصلحتهم مشاعيـــة النساء ويحتكروا اغلبية النساء لانفسهم ؛ ولكنه يتعين عليهم مقابل ذلك في اعيـــاد معينة وفي زمن الاجتماعات الشعبية الكبيرة ان يجيزوا من جديد مشاعية النساء التي كانت قائمة من قبل ويسمحوا لنسائهم بالترفه مع الشبان . ويورد فسترمارك في الصفحتين ٢٨ و٢٩ من كتابه جملة كاملة من الامثلة على هذه «الساتورنالات» (٤١) الدورية التي كانت تقوم فيهـــا من جديد لفترة قصيرة من الزمن العلاقات الجنسية الحرة السابقة : عند قبائل الهو والسانتال والبانجا والكوتـــار في الهند ، وعند بعض الشعوب الافريقية ، الخ .. ومن المستغرب ان فسترمارك يستخلص من هنا استنتاجـــاً مفاده ان هذه ليست من بقايا الزواج الجماعي الذي ينكر وجوده ، بل بقايا فترة الهيجان ، المشتركة بين الانسان البدائي والحيوانات الاخرى .

وهنا نصل الى الاكتشاف الرابع الكبير الذي حققه باهوفن ، وهو اكتشاف شكل واسع الانتشار للانتقال من الزواج الجماعي الى الزواج الثنائي . ان ما يصوره باهوفن بصورة تكفير عن مخالفة وصايـــا الآلهة القديمة ، ــ وهو تكفير تشتري المرأة به الحق في العفاف ، ــ ليس في الواقع غير تعبير صوفي للتكفير الذي كانت به المرأة تفدي نفسها من مشاعية الرجال القائمة في الازمنة السابقة وتكسب الحق في ان تكـون لرجل **واحد** فقط . ان هذه الفديـــة تتلخص في عادة مضاجعـــة الغير ، المحدودة باطارات معينـــة : فقد كان ينبغي على النساء البابليات ان يضاجعن الرجال مرة واحدة في السنة في هيكل ميليتا ؛ وكانت شعوب اخرى في آسيا الصغرى

www.kassioun.org

رسل بناتها لسنوات بكاملها الى هيكل انايتيس حيث كان ينبغي عليهن ممارسة الحب الحر مع محظيين من اختيارهن قبل ان ينلن الحق في الزواج . وهناك عادات مماثلة مجلببة بجلباب ديني ملازمة لجميع الشعوب الآسيوية تقريباً التي تعيش بين البحر الابيض المتوسط ونهر الغانج . ثم ان الكفارة التي تضطلع بدور الفدية تغدو اسهل فأسهل مع مر الزمن ، كما سبق ولاحظ باهوفن :

« ان الكفارة المقدمة سنويا تحل محلها الكفارة الواحدة الوحيدة ؛ وهيتيرية السيدات المتزوجات تحل محلها هيتيرية الفتيات : ومحل ممارستها الناء الزواج تحل ممارستها قبل الزواج ؛ ومحل الاستسلام للجميع دون اي تمييز ، يحل الاستسلام لاشخاص معينين » (« حق الام » ، ص ١٩) .

ولا وجود للجلباب الديني عند شعوب اخرى ؛ فعند بعضها ، ـ في الازمنة القديمة ، عند التراقيين والسلت وغيرهم ، وفي الازمنة الحاضرة ، عند كثيرين من سكان الهند الاصليين ، وعند شعوب الملايو ، وعند سكان جزر المحيط الهادي ، وعند كثيرين من الهنود الحمر الاميركيين ، ـ تتمتع الفتيات قبل الزواج بكامل الحرية في العلاقات الجنسية . وهذا الوضع منتشر على الاخص في كل مكان تقريبا من اميركا الجنوبية ، الامر الذي يمكن ان يشهد عليه كل من تغلغل ، وان قليلا ، في اعماق هذه القارة . فان الماسيس (« رحلة في البرازيل » ، بوسطن ونيويورك ، عام ١٨٨٦ ، ص ٢٦٦ (٤٢)) يروي لنا ما يلي عن عائلة غنية من اصل الهنود الحمر . فعندما تعرف على الابنة ، سأل عن والدها مفترضا انه زوج امها الذي اشترك آنذاك في الحرب ضد الباراغواي بوصفه ضابطا ؛ ولكن الام اجابت بابتسامة : nao tem pai, é filha da fortuna ـ ليس لها اب ، انها ابنة الصدفة .

www.kassioun.org

«هكذا تقول دائماً النساء من الهنود الحمر والنساء الهجائن دون حياء وخجل عن اولادهن غير الشرعيين ؛ وليس هذا استثناء ، بل العكس هو بالاحرى استثناء . ان الاولاد ... لا يعرفون في غالب الاحيان غير امهم لأنها تتحمل كل الهموم وكل المسؤولية ؛ وهم لا يعرفون شيئا عن والدهم ؛ ناهيك بانه لا يخطر ابداً في بال المرأة ، اغلب الظن ، انه يمكن ان يكون لها او لاولادها اي حق عليه» .

ان ما يبدو هنا غريباً بالنسبة لانسان متحضر ، هو القاعدة بكل بساطة بموجب الحق الامي وفي ظل الزواج الجماعي .

وعند بعض الشعوب ، يمارس اصدقاء العريس وانسباؤه او الضيوف المدعوون الى العرس ، اثناء العرس بالذات ، الحق على العروس الموروث منذ الازمنة القديمة ، مع العلم ان العريس يأتي الاخير في الدور ؛ هكذا كان الحال في الازمنة القديمة في جزر الباليار وعند الاوجليين الافريقيين ، وهكذا هو الحال في الازمنة الحاضرة عند الباريا في الحبشة . وعند شعوب اخرى يمثل شخص رسمي ــ زعيم القبيلة او العشيرة ، الكاسيك او الشامان او الكاهن او الامير ، او ايا كان لقبه ، ــ الجماعة المعنية ويمارس حق الليلة الاولى على العروس . ورغم جميع جهود الرومانطيقيين الجدد لتبييض صفحة هذا الواقع ، لا يزال هذا jus primae noctis* ساري المفعول في الوقت الحاضر ، بوصفه اثراً من آثار الزواج الجماعي ، عند اغلبية سكان الاسكا (بانكروفت ، «العروق الاصلية» ، المجلد الاول ، ص ٨١) ، وعند التاهو في المكسيك الشمالية (المرجع ذاته ، ص ٥٨٤) ، وعند شعوب اخرى ؛ وكان قائماً في جميع القرون الوسطى ، ــ على الاقل في البلدان التي كانت في البدء سلتية ، كما في اراغون مثلا ، والتي نجم فيها مباشرة من الزواج الجماعي . وبينا لم يكن الفلاحون يوماً في قشتالة اقناناً ،

---

* ــ حق الليلة الاولى . **الناشر** .

www.kassioun.org

كانت القنانة تسود بأبشع مظاهرها في اراغون حتى قرار فرديناند الكاثوليكي في عام ١٤٨٦ (٤٣) . وقد جاء في هذه الوثيقة :

«اننا نقرر ونعلن ان السادة المذكورين اعلاه» (senyors ، البارونات) «... لا يملكون كذلك الحق في قضاء الليلة الاولى مع المرأة التي يتزوجها الفلاح ، ولا الحق في القفز ، في ليلة العرس ، كدليل على سيادتهم ، فوق المرأة او فوق السرير بعد ان تضطجـــع المرأة ؛ كذلك لا يملك السادة المذكورون اعلاه الحق في استخدام ابنة الفلاح او ابنه رغماً عنهما ، سواء باجر او بدون اجر» . (النص الاصلي باللغة القطالونية وارد عند زوغنهيم ، «القنانة» ، بطرسبورغ ، عام ١٨٦١ ، ص ٣٥٥ (٤٤)) .

ويقيناً ان باهوفن على حق مرة اخرى حين يؤكد بالحاح ان الانتقال مما يسميه «الهيتيرية» او «الحمل الاثيم» الى الـــزواج الاحادي قد تحقق اساساً بفضل النساء . فبقدر ما كانت العلاقات بين الجنسين المتوارثة من قديم الزمان تفقد طابعها البدائي الساذج مع تطور ظروف الحياة الاقتصادية وبالتالي مع تفسخ وانحـــلال الشيوعية البدائية وتزايد كثافة السكان ، بقدر ما كانت هـــذه العلاقات تبدو للنساء مذلة ومرهقة ، وما كان لا بدّ لهن مـــن السعي بالحاح مشتد ابداً الى نيل الحق في العفاف او في الزواج الموقت او الدائم من رجل واحد فقط ، بوصفه سبيلا للخلاص . ولم يكن من الممكن ان يحصل هذا التقدم بفضل الرجال ، وذلـــك لاسباب عديدة ، منها انه لم يخطر لهم قط في البال ، حتى في ايامنا هذه ايضا ، التخلي عن ملذات الزواج الجماعي العملي . وبعد ان تحقق الانتقال الى الزواج الثنائي بفضل النساء ، بعد ذاك فقط استطاع الرجال ادخال نظـــام وحدة الزواج الصارم ، ــ وطبعـــاً بالنسبة للنساء فقط .

لقد ظهرت العائلة الثنائيـــــة على التخوم بين الوحشيـــــة والبربرية ، وظهرت على الاغلب في الطور الاعلى من الوحشية ، وهنا

www.kassioun.org

وهناك في الطور الادنى من البربرية . وهي شكـــــل العائلة المميز بالنسبة لعصر البربرية ، مثلما الزواج الجماعي بالنسبة للوحشية ، واحادية الزواج بالنسبة للحضارة . ولكي تواصل العائلة الثنائية تطورها حتى تبلغ احادية الزواج المتينة ، كان لا بد من اسباب غير التي فعلت فعلها حتى الآن كما سبق ورأينا . ففي المساكنة الثنائية ، جرى تقليص الجماعة حتى وحدتها الاخيرة ، حتى جزيئتها من ذرتين ، حتى رجل واحد وامرأة واحدة . وانجز الاصطفـــاء الطبيعي عمله بتقليص حلقة العلاقات الزوجية بصرامة مشتـــدة ابداً . ولم يبق له ما يفعله في هذا الاتجاه . ولو لم تدخل الحلبة بالتالي قوى محركة جديدة ، **اجتماعية** ، لما كان ثمة اي اساس لنشوء شكل جديد للعائلة من المساكنة الثنائية . ولكن مثل هذه القوى المحركة اخذت تفعل فعلها .

ونغادر الآن اميركا ، هذه التربة الكلاسيكية للعائلة الثنائية . وليس ثمة اي علائم تتيح لنا ان نخلص الى القول بانه تطور هنا شكل اعلى للعائلة ، وبانه كانت تقوم هنا في مكان ما احادية زواج متينة قبل الاكتشاف والفتح . اما الحال في العالم القديم ، فآخر .

فهنا ادى تدجين الحيوانات وتربية القطعان الى خلق مصادر للثروة لم يسمع بمثلها من قبل ، والى نشوء علاقات اجتماعية جديدة تماماً . فحتى الطور الادنى من البربرية ، كانت الثروة الدائمة لا تتألف تقريباً الا من المساكن والالبسة والحلي الخشنة والادوات للحصول على الطعام وتحضيره ، اي الزوارق والاسلحة والآنيـــة المنزلية البدائية . وكان ينبغي الحصول على الطعام من جديد ، يوماً بعد يوم . اما من الآن وصاعداً ، فان شعوب الرعاة اخذت تتقدم اكثر فاكثر : فان الآريين في البنجاب وفي وادي نهر الغانج ، وكذلك في سهـــوب حوضي نهري جيحون وسيحون التـــي كانت آنذاك اغنى بكثير بالماء ، والساميين على ضفاف نهري الفرات

www.kassioun.org

ودجلة ، قد وجدوا في قطعان الخيل والجمال والحمير والبقر والغنم والماعز والخنازير ملكية كانت لا تتطلب غير المراقبة وغير ابسط صنوف العناية لكي تتكاثر باعداد متنامية ابداً وتقدم طعاماً من الالبان واللحوم وافراً للغاية . وهكذا تراجعت الآن جميع الاساليب السابقة للحصول على الطعام الى المرتبة الثانية ؛ والصيد الذي كان من قبل ضرورة اصبح الآن بذخاً .

ولكن من ذا الذي كانت تخصه هذه الثروة الجديـــدة ؟ في البدء ، كانت ، بلا ريب ، تخص العشيرة ؛ بيد انه كان لا بدّ للملكية الخاصة للقطعان ان تتطور باكراً . ومن العسير القول ما اذا كان موسى ، مؤلف ما يسمى بالكتاب الاول ، قد اعتبر البطريـــرك ابراهيم مالكاً لقطعانه بموجب حقه الشخصي بوصفه رئيس مشاعة عائلية ، ام بموجب مركزه كرئيس يرث بالفعل عشيرة . هناك امر واحد لا ريب فيه ، هو انه ينبغي لنا الا نتصوره مالكاً بمعنى هذه الكلمة الحالي . ولا ريب ايضاً اننا نجد على عتبة التاريخ الـذي نملك عنه الوثائق ، ان القطعان كانت في كل مكان ملكاً خاصاً لرؤساء العائلات ، شأنها تماماً شأن المنتوجات الفنية في عصر البربرية والادوات المنزلية المعدنية ، ومصنوعات البذخ والزينة ، واخيراً القطيع البشري ، اي العبيد .

لانه تم الآن اختراع العبودية ايضاً . فلم يكن للعبد قيمة او نفع بالنسبة لانسان الطور الادنى من البربرية . ولهـذا كان الهنود الحمر الاميركيون يعاملون الاعداء المغلوبين بغير الطـريقة التي شرعوا يعاملونهم بها في درجة اعلى من التطور . فقد كانوا يقتلون الرجال او يأخذونهم كاخوة لهم في قبيلة المنتصريـــن . وكانوا يأخذون النساء زوجات لهم او يضمونهن كذلك بوسيلة اخرى الى قبيلتهم مع اولادهن السالمين . وفي هذه الدرجة مـــن التطور كانت قوة عمل الانسان لا تعطي بعد اي فائض ما ملحوظ

www.kassioun.org

يزيد على نفقات اعالته . ولكن الوضع تغير مع ادخال تربيـــة الماشية وشغل المعادن والحياكة ، ثم الزراعة في آخر المطاف . فقد حدث لقوة العمل ، ولا سيما بعد ان اصبحت القطعان نهائيا ملكية عائلية ، نفس ما حدث للنساء اللواتي كان الحصول عليهن من قبل سهلا للغاية واللواتي اصبحت لهن قيمة تبادل وغدون سلعة تباع وتشرى . ولم تكن العائلة تتكاثر بسرعة تكاثر القطيع . كذلك ظهرت الآن الحاجة الى مزيد من الناس لاجل مراقبة القطيع . ولهذا الغرض ، كان من الممكن استخدام العدو الاسير الذي كان بوسعه ، فضلا عن ذلك ، ان يتكاثر بسهولة مثل المواشي .

وما ان اصبحت هذه الثروات ملكية خاصة للعائلات وما ان تنامت بسرعة ، حتى سددت ضربة قوية الى المجتمع المؤسس على الزواج الثنائي والعشيرة الامية . لقد ادخل الزواج الثنائي الى العائلة عنصراً جديداً . فالى جانب الام الحقيقية ، الفعلية ، وضع الاب الحقيقي ، الفعلي ، الثابت ، الذي كان كذلك ، اغلب الظن ، اكثر ثبوتا من بعض «الآباء» الحاليين . وبموجب تقسيـــم العمـــل الساري المفعول آنذاك في العائلة ، كان على الزوج ان يستحصل على الغذاء وعلى ادوات العمل الضرورية لهذا الغرض ، وكان له بالتالي حق ملكية ادوات العمل هذه ؛ وفي حال فسخ الـــزواج ، كان يأخذها معه ، بينـــا كانت الزوجة تحتفظ بالآنية المنزلية . وبموجب العرف والعادة السائدين في المجتمع آنذاك ، كان الزوج بالتالي مالكا ايضاً لمصدر الغذاء الجديد ، اي للقطيع ، ومالكا فيما بعد لاداة العمل الجديدة ، اي العبيد . ولكن بموجب العرف والعادة السائدين في ذلك المجتمع ، لم يكن بوسع اولاده ان يرثوه . ففيما يخص الارث ، كان الوضع كما يلي :

بموجب الحق الامي ، اي طالما كان النسب لا يحسب الا تبعاً لحبل النسل النسائي ، وكذلك بموجب نظام الوراثة البدائي

www.kassioun.org

في العشيرة ، كان العضو المتوفى في العشيرة يرثـــه انسبـــاؤه في العشيرة . وكان ينبغي ان يبقى الارث في العشيرة . وبما ان الاشياء التي يتالف منها الارث كانت زهيدة ، فقد كانت ، على الارجح ، تنتقل بالفعل منذ غابر الازمان الى اقرب الانسبـــاء ، اي الى الاقرباء بالدم من ناحية الام . ولكن اولاد الرجل المتوفى كانوا لا ينتمون الى عشيرته ، بل الى عشيرة امهم ؛ فكانوا يرثون امهم بادئ ذي بدء مع سائر اقربائها بالدم ، وفيما بعد ، في المقام الاول اغلب الظن . بيد انه لم يكن بوسعهم ان يرثوا والدهم لأنهم كانوا لا ينتمون الى عشيرته ، فكان ينبغي ان يبقى ملك الاب في هذه العشيرة . ولذا بعد وفاة صاحب القطعان ، كان ينبغـــي ان تنتقل قطعانه في المقام الاول الى اخوتـــه واخواتـــه والى اولاد اخواته او حتى الى ذريات اخوات امه . اما اولاده بالـــذات ، فكانوا محرومين من ارثه .

وهكذا ، بقدر ما كانت الثروات تتنامى ، كانت من جهة تعطي الزوج في العائلة مركزاً أهم من مركز الزوجة ، وكانت من جهـــة اخرى تولد السعي الى الاستفادة من هذا المركز المترسخ لاجل تغيير نظام الوراثة التقليدي في مصلحة الاولاد . ولكنه لم يكن من الممكن ان يتحقق هذا طالما كان النسب يحسب تبعاً للحق الامي . ولهذا كان ينبغي الغاء هذا الحق ، فأُلغي . ولم يكن ذلك صعباً بالقدر الذي نتصوره الآن . فان هذه الثورة ، التي كانت من أهم الثورات التي عرفتها البشرية ، لم تكن بحاجة الى مس اي مـــن اعضاء العشيرة الاحياء . فقد كان في وسعهم جميعهم ان يبقوا كما كانوا بالامس . كان يكفي اتخاذ قرار بسيط يقضي بان تبقـــى ذرية اعضاء العشيرة الرجال في المستقبل ضمن العشيرة وبان تخرج ذرية اعضاء العشيرة النساء منها وتنتقل الى عشيرة والدهـــا . وهكذا أُلغي الانتساب حسب حبل النسل النسائي وحق الوراثـــة

www.kassioun.org

حسب خط الام ، وأُقر الانتساب حسب حبل النسل الرجالي وحق الوراثة حسب خط الوالد . ونحن لا نعرف شيئا عن كيف ومتى تحققت هذه الثورة عند الشعوب المتمدنة . فهي تعود بكليتها الى عهد ما قبل التاريخ . اما ان هذه الثورة **قد تحققت** ، فهذا ما اعطت عنه وفراً من البراهين المعلومات التي جمعهـــا باهوفن على الاخص عن آثار الحق الامي العديدة . ونحن نرى باي سهولـــة تتحقق من مثال جملة كاملة مـــن قبائل الهنود الحمر حيث لم تتحقق الا مؤخراً وحيث لا تزال تتحقق جزئياً من جراء تعاظم الثروة ومن جراء التغيرات في نمط الحياة (الانتقال من الغابات الى المروج) ، وجزئيـــاً من جراء تأثير الحضـــارة والمرسلين الاخلاقي . فان ست قبائل من اصل ثماني قبائل في حوض نهـــر ميسوري تحسب النسب وتعترف بالارث تبعاً لخط الرجل ، بينما قبيلتان تحسبان النسب وتعترفان بالارث تبعاً لخط المرأة . وعند قبائل الشاوني والميامي والديلاوار ، ترسخت عادة تسمية الاولاد باحد اسماء عشيرة والدهم لادخالهم على هذا النحـــو الى عشيرة الوالد ، لكي يصبح بامكانهم ان يرثوا والدهم . «ان تغيير الاشياء بتغيير اسمائها ، والسعي الى ايجاد وسيلة تتيح مخالفة التقاليد مع البقاء في اطار التقاليد ، حين تكون المصلحة المباشرة حافزاً كافياً هما سفسطة فطر عليها الانسان !» (ماركس) (٤٥) ومن هنا نجم تشوش مستعص كان يمكن القضاء عليه ، وقد قضي عليه جزئياً ، بالانتقال الى الحق الابوي . «ان هذا الانتقال يبدو على العموم طبيعياً للغاية» (ماركس) (٤٦) .ـ اما ما يمكن ان يقوله لنا الحقوقيون ممن يلجاون الى طريقة المقارنـــة ، عن الشكـــل الذي تحقق به هذا الانتقال عنـــد الشعوب المتمدنـــة في العالم القديم ، ـ فانـــه يقتصر كلـــه تقريبـــاً على الفرضيـــات بالطبـــع ، ـ انظر

www.kassioun.org

م . كوفاليفسكي «عرض موجز عن اصل وتطور العائلة والملكية» ، ستوكهلم ، ١٨٩٠ (٤٧) .

ان اسقاط الحق الامي كان **هزيمة تاريخية عالمية للجنس النسائي** . فقد اخذ الزوج دفة القيادة في البيت ايضاً ، وحرمت الزوجة من مركزها المشرف ، واستذلت ، وغدت عبدة رغائب زوجها ، وامست اداة بسيطة لانتاج الاولاد . ان وضع المرأة المذل هذا ، الذي يظهر ببالغ السفور عند يونانيي العصر البطولي وبسفور اشد عند يونانيي العصر الكلاسيكي قد طلي تدريجياً برياء ونفاقاً بالمساحيق ، وأُضفيت عليه احياناً اشكال اخف وارق ، ولكن لم يقض عليه اطلاقاً .

وما ان اقرت سلطة الرجال بوجه الحضر على هذا النحو ، حتى اخذ مفعولها الاول يتبدى في شكل انتقالي ظهر آنذاك ، هو شكل العائلة البطريركية (الابوية) . ان الميزة الرئيسية التي تتميز بها هذه العائلة ليست تعدد الزوجات ، الذي سيتناوله الكلام فيما بعد ، بل

«تنظيم عدد معين من الاشخاص ، الاحرار وغير الاحرار ، في عائلة تخضع للسلطة الابوية لرئيس العائلة . ففي العائلة السامية ، يعيش رئيس العائلة هذا في ظل تعدد الزوجات ، وللعبيد زوجات واولاد ، وغاية التنظيم كله رعاية القطعان في حدود رقعة معينة من الارض» (٤٨) .

ان ضم العبيد الى هذه العائلة والسلطة الابوية هما العلامتان الجوهريتان اللتان تميزان هذه العائلة . ولهذا كانت العائلة الرومانية النموذج النهائي الكامل لهذا الشكل من العائلة . ان كلمة familia لا تعني ، في الاصل ، المثال الاعلى للبرجوازي الصغير التافه المعاصر الذي يجمع في ذاته بين العاطفية والمشاجرات البيتية ، بل انها لا تعني بادئ ذي بدء عند الرومانيين الزوج والزوجة والاولاد ،

www.kassioun.org

بل تعني العبيد فقط . ان كلمة famulus تعني العبد البيتي ، وكلمة familia تعني مجموعة العبيد الذين يخصون رجلا واحداً . وحتى في زمن غايوس ، كانت familia, id est patrimonium (اي الميراث) تورث بالوصية . وقد استنبط الرومانيون هذا التعبير لاجل تعريف الهيئة الاجتماعية الجديدة التي كان رئيسها سيداً على المراة والاولاد وعدد معين من العبيد وكان يملك ، بحكم السلطة الابوية الرومانية ، حق الحياة والموت على جميع هؤلاء الاشخاص الخاضعين له .

«وعليه ، ليس هذا التعبير اقدم من النظام العائلي المصفّح الذي انبثق عند القبائل اللاتينية بعد ادخال الزراعة والعبودية الشرعية ، وبعد انفصال الايطاليين الآريين عن اليونانيين» (٤٩) .

ويضيف ماركس قائلا : «ان العائلة العصرية لا تنطوي على جنين العبودية (servitus) وحسب ، بل ايضا على جنين القنانة ، لانها مقرونة منذ بادئ بدء بفروض (خدمات) الزراعة . وهي تنطوي **بشكل مصغر** على جميع التناقضات التي تطورت فيما بعد على نطاق واسع في المجتمع وفي دولته» (٥٠) .

ان شكل العائلة هذا يعني الانتقال من الزواج الثنائي الى احادية الزواج . فلأجل ضمان امانة المرأة ، وبالتالي لأجل ضمان ابوة الاولاد ، توضع الزوجة تحت سلطة زوجها المطلقة ؛ فاذا قتلها ، فانه لا يفعل غير ان يمارس حقه .

مع ظهور العائلة البطريركية ، ندخل في ميدان التاريخ المكتوب وندخل بالتالي في ميدان يستطيع فيه علم القانون المقارن ان يقدم لنا مساعدة كبيرة . وبالفعل ، ساعدنا هذا العلم على القيام هنا بخطوة كبيرة الى امام . فنحن مدينون لمكسيم كوفاليفسكي («عرض موجز عن اصل وتطور العائلة والملكية» ، ستوكهلم ،

www.kassioun.org

عام ١٨٩٠ ، صص ٦٠ـ١٠٠) بالبرهان على ان المشاعة البهتية البطريركية التي نجدها الآن عند الصرب والبلغار باسم زادروغا Zádruga (وتعني تقريباً رابطة تعاونية) او براتستفو Bratstvo (اخوية) وفي شكل آخر عند الشعوب الشرقية قد شكلت الدرجة الانتقالية من العائلة التي انبثقت من الزواج الجماعي وقامت على الحق الامي ، الى العائلة الفردية في العالم الحالي . وهذا ، على ما يبدو ، ثابت فعلا على الاقل فيما يخص الشعوب المتمدنة في العالم القديم ، فيما يخص الآريين والساميين .

ان زادروغا سلافيي الجنوب هي خير مثال لا يزال حياً على هذا النوع من المشاعة العائلية . فهي تضم بضعة اجيال من اخلاف يتحدرون من اب واحد مع زوجاتهم ، ناهيك بانهم يعيشون معاً في بيت واحد ويحرثون حقولهم بصورة مشتركة ويأكلون ويلبسون من الاحتياطيات المشتركة ويملكون معاً الدخل الفائض . وتخضع المشاعة للادارة العليا لرب البيت (domàćin) الذي يمثلها حيال العالم الخارجي ، ويحق له ان يبيع الاشياء الصغيرة ، ويدير الصندوق ويتحمل المسؤولية عن الصندوق وعن حسن سير الاستثمارة كلها . وهو يُنتخب ، وليس من الضروري حتماً ان يكون اكبر الاعضاء سناً . والنساء يخضعن ، مع ما يقمن به من اعمال ، لقيادة ربة البيت (domàćica) التي هي عادة زوجة رب البيت . وهي ايضاً تضطلع بدور هام ، غالباً ما يكون الدور الحاسم ، عند اختيار الازواج لاجل فتيات المشاعة . ولكن السلطة العليا تنحصر في المجلس العائلي ، في اجتماع جميع اعضاء المشاعة الراشدين ، سواء منهم النساء او الرجال . وامام هذا الاجتماع يقدم رب البيت حساباً ، والاجتماع يتخذ القرارات النهائية ويحاكم اعضاء المشاعة ويقرر عمليات البيع والشراء الهامة ـ ولا سيما عندما تتعلق بالاراضي ـ والخ ..

www.kassioun.org

ومنذ نحو عشرة اعوام فقط ، اليم الدليل على ان مثل هذه المشاعات العائلية الكبيرة لا تزال قائمة في روسيا ايضا (٥١) . ومن المعترف الآن من الجميع انها تمد جذورها عميقاً في العادات الشعبية الروسية شانها شان المشاعة القروية . وهي ترد في اقدم المجموعات الروسية من القوانين ، في «حقيقة» ياروسلاف (٥٢) ، تحت الاسم نفسه(*Vervj) الذي ترد به في القوانين الدالماتية (٥٣) ، كما توجد ايضاً اشارات اليها في المصادر التاريخية البولونية والتشيكية .

وعند الجرمان كذلك ، كما يقول هويسلر («اسس الحق الجرماني» (٥٤) ، ليست الوحدة الاقتصادية ، في الاصل ، العائلة الفردية بمعناها الحالي ، بل «المشاعة البيتية» التي تتالف من عدة اجيال مع عائلاتها ، وتشمل ايضاً العبيد في احيان كثيرة . ان العائلة الرومانية تنتمي هي ايضاً الى هذا النموذج ، ولهذا كانت سلطة الاب المطلقة وحرمان سائر اعضاء العائلة من الحقوق حياله موضع جدال قوي في الآونة الاخيرة . فقد كانت توجد ، على ما يبدو ، مشاعات عائلية مماثلة عند السلت من سكان ا لنده . وفي فرنسا ، دامت هذه المشاعة في مقاطعة نيفرنيه حتى الثورة الفرنسية تحت اسم parçonneries، بينا لم تزل بعد كلياً في ايامنا في مقاطعة فرانش-كونته . وفي ناحية لووان (محافظة سون ــ اي ــ لوار) ، تقع العين على بيوت فلاحية كبيرة فيها قاعة مركزية عالية بعلو السقف نفسه تحيط بها من كل جانب غرف للنوم يصعدون اليها بسلالم من ٦ او ٨ درجات ، وتعيش فيها بضعة اجيال من العائلة ذاتها .

ولقد اشار نيارخ (٥٥) في عصر الاسكندر الكبير الى وجود مشاعة بيتية في الهند تقوم على اساس المشاركة في حرائة الارض ؛

---

* ــ فيرف . **الناشر** .

www.kassioun.org

وهذه المشاعة لا تزال موجودة الآن في المكان ذاته ، اي البنجاب وفي عموم القسم الشمالي الغربي من البلد . واستطاع كوفاليفسكي نفسه اثبات وجودها في القفقاس . وفي الجزائر لا تزال قائمة في بلاد القبائل . وهي كانت موجودة ، على ما يبدو ، حتى في اميركا ؛ ويعتقدون انها موجودة في "calpullis" بالمكسيك القديمة التي يصفها سوريتا (٥٦) . وبالعكس ، اثبت كونوف ("Ausland" ، العدد ٤٢ـ٤٤ ، عام ١٨٩٠ (٥٧)) بما يكفي من الوضوح انه كان يوجد في البيرو عند فتحها ، شيء ما يشبه نظام «المارك» (ومن المدهش حقاً ان هذه «المارك» كانت تسمى كذلك marca) ويقوم على التقسيم الدوري للاراضي المحروثة ، وبالتالي على الحراثة الفردية .

وعلى كل حال ، تكتسب الآن المشاعة البيتية البطريركية التي تقوم على الشراكة في ملكية الارض وحراثتها ، اهمية تختلف تماماً عن اهميتها السابقة . فلم يعد بوسعنا الآن ان نضع موضع الشك ذلك الدور الكبير الذي اضطلعت به عند الشعوب المتمدنة وبعض الشعوب الاخرى في العالم القديم عند الانتقال من العائلة المؤسسة على الحق الامي الى العائلة الفردية . وسنعود مرة اخرى في عرضنا الى الاستنتاج الآخر الذي خلص اليه كوفاليفسكي والقائل انها كانت كذلك درجة انتقالية نشأت منها المشاعة القروية او المشاعة ـ المارك القائمة على حراثة الارض بصورة فردية من قبل مختلف العائلات ، وعلى تقسيم الحقول والمراعي بصورة دورية اولا ثم بصورة نهائية .

وفيما يخص الحياة العائلية في داخل هذه المشاعات البيتية ، تجدر الاشارة الى انه من المعروف ان رؤساء العائلات في روسيا على الاقل يسيئون كثيراً استغلال مركزهم حيال النساء الشابات في المشاعة ، ولا سيما حيال كناتهم ، وغالباً ما يشكلون منهن

www.kassioun.org

لانفسهم حريما ؛ والاغاني الشعبية الروسية بليغة الدلالة في هذا الصدد .

وقبل الانتقال الى احادية الزواج التي تطورت بسرعة منذ سقوط الحق الامي ، نقول بضع كلمات اخرى عن تعدد الزوجات وتعدد الازواج . ان شكلي الزواج هذين لا يمكنهما ان يكونا غير استثناء ــ غير منتوجي بذخ من منتوجات التاريخ ، اذا جاز القول ، ــ اذا لم يكونا كلاهما موجودين في البلد نفسه في آن واحد ؛ وليست الحال، هكذا ، كما هو معروف . وبما انه لم يكن بالتالي في مقدور الرجال المفصولين عن شكل تعدد الزوجات ان يجدوا العزاء عند النساء اللواتي صرن زائدات بفعل شكل تعدد الازواج ، وبما ان عدد الرجال والنساء ظل حتى الآن متساوياً تقريباً ، بصرف النظر عن المؤسسات الاجتماعية ، فلم يكن من الممكن ان يتعمم هذا الشكل او ذاك من اشكال الزواج من تلقاء نفسه . وبالفعل ، كان تعدد الزوجات عند رجل واحد ، بكل تاكيد ، نتيجة للعبودية وكان مقصوراً على من يشغلون مركزاً استثنائياً . وفي العائلة البطريركية (الابوية) السامية ، كان البطريرك (الاب) وحده ، وبعض من ابنائه في افضل الاحوال ، يعيشون في حالة تعدد الزوجات ، بينا كان ينبغي للآخرين ان يكتفوا بزوجة واحدة . ولا يزال هذا الوضع قائماً في الوقت الحاضر في الشرق كله . فان تعدد الزوجات هو امتياز الاغنياء والاعيان ، ويتحقق اساساً بشراء العبدات ؛ اما سواد الشعب فيعيش في حالة احادية الزواج ؛ كذلك يشكل تعدد الازواج استثناء في الهند والتيبت ؛ ولا ريب ان مسالة اصل هذا الشكل من الزواج الذي تحدر من الزواج الجماعي لا تخلو من الطرافة ، ولا تزال تتطلب المزيد من الدراسة . ومن جهة اخرى ، يبدو تعدد الازواج ، في ممارسته العملية ، اكثر تساهلا بكثير من تنظيم الحريم عند المسلمين القائم على الغيرة . ذلك هو

www.kassioun.org

الحال ، مثلا ، عند النايير في الهند على الاقل ، رغم ان لكل ثلاثة رجال او اربعة او اكثر امرأة واحدة مشتركة ، ولكن بمقدور كل منهم ان تكون له ايضاً بالمشاركة مع ثلاثة رجال او اكثر زوجة ثانية وكذلك زوجة ثالثة ورابعة ، الخ .. ومن المدهش ان مالينان الذي وصف هذه النوادي الزواجية التي يمكن لاعضائها ان يكونوا في الوقت ذاته اعضاء في عدة نواد ، لم يكتشف الفئة الجديدة من **زواج النوادي** . ولكن عادة النوادي الزواجية هذه ليست أبداً بالفعل شكل تعدد الازواج ، بل هي ، على العكس ، كما اشار جيرو-طولون ، مجرد شكل خاص من الزواج الجماعي ؛ فالرجال يعيشون في حالة تعدد الزوجات والنساء في حالة تعدد الازواج .

٤ ـ **العائلة الاحادية** . انها تنشأ ، كما سبق وقلنا ، من العائلة الثنائية ، في المرحلة الواقعة بين الطورين الاوسط والاعلى من اطوار البربرية . وانتصارها النهائي هو احدى العلائم على بداية عصر الحضارة . ان هذه العائلة تقوم على سيادة الزوج مع الرغبة الصريحة في ولادة اولاد تكون ابوتهم ثابتة لا جدال فيها ؛ وثبوت الابوة هذا ضروري لان الاولاد سيملكون اموال والدهم ذات يوم بوصفهم ورثته المباشرين . وهي تمتاز عن الزواج الثنائي بكون عرى الزواج امتن بكثير ، وبانه لم يعد من الممكن فسخ هذه العرى كلما طاب لاحد الزوجين . فالزوج وحده على العموم ، هو الذي يسعه الآن ان يفسخ هذه العرى ويطلق امرأته . ثم ان حق الخيانة الزوجية لا يزال مضموناً له في الوقت الحاضر ايضاً ، وان يحكم العرف والعادة على الاقل ، (ان * Code Napoléon تمنح الزوج هذا الحق بكل وضوح ، شرط الا ياتي بعشيقته الى المنزل العائلي (٥٨)) ، وهذا الحق يُمارس على نطاق اوسع فاوسع بقدر ما

---

* ـ قوانين نابليون . **الناشر** .

www.kassioun.org

يستمر التطور الاجتماعي . اما اذا تذكرت الزوجة الممارسة الجنسية القديمة وارادت ان تستانفها ، فانها تتعرض لعقاب اقسى مما في اي وقت مضى .

ان شكل العائلة الجديد يظهر امامنا بكل صرامته عند الاغريق . فان دور الآلهات في الميثولوجيا ، كما لاحظ ماركس (٥٩) ، يصوّر لنا عهداً اسبق كانت فيه النساء يشغلن مركزاً اوفر حرية وتقديراً واحتراماً ؛ اما في العهد البطولي ، فاننا نجد المرأة منحطة المقام من جراء سيادة الرجل ومزاحمة العبدات . حسبنا ان نقرأ في «الاوذيسة» كيف يقاطع تيليماك امه ويجبرها على السكوت (٦٠) . وفي مؤلفات هوميروس ، تصبح النساء الشابات الاسيرات عرضة لاهواء المنتصرين الجنسية ؛ فان القادة العسكريين يختارون لانفسهم بالدور وتبعاً لمراتبهم اجمل الاسيرات ؛ وجميع احداث «الالياذة» تدور ، كما هو معروف ، حول النزاع بين آخيل واغممنون على احدى العبدات . ومع كل بطل هوميري على جانب ما من الاهمية ، يرد اسم الفتاة الاسيرة التي يشاطرها خيمته وسريره . وهؤلاء الفتيات يأخذونهن ايضاً الى الوطن والى البيت الزوجي ، كما فعل مثلا ، عند اسخيلوس ، اغممنون مع كاسندرا (٦١) . والاولاد الذين يولدون من هذه العبدات ينالون نصيباً صغيراً من ارث الوالد ويُعتبرون مواطنين احراراً . فان توكر ، مثلا ، ابن تيلامون غير الشرعي ، يحق له ان يتسمى باسم والده . والمطلوب من الزوجة الشرعية ان تتحمل كل هذا ، وان تتقيد بكل دقة بواجب العفاف وواجب الامانة الزوجية . صحيح ان المرأة اليونانية من العهد البطولي تتمتع باحترام يفوق احترام المرأة في عصر الحضارة ، الا انها في آخر المطاف ليست بالنسبة لزوجها اكثر من ام ورثته الشرعيين المولودين في ظل الزواج ، والمديرة العليا لبيته والمراقبة العليا

5*

www.kassioun.org

لعبداته اللواتي يستطيع ان يجعل منهن ، حسبما يطيب لـه ، ويجعل منهن فعلا ، عشيقات له . وان وجود العبودية الى جانب احادية الزواج ، ووجود العبدات الجميلات الفتيات الخاضعات لمطلق تصرف **الرجل** ، هو الذي اضفى على احادية الزواج منذ البدء طابعها الخاص ، اذ جعل منها احادية زواج **بالنسبة للمرأة فقط** ، لا بالنسبة للرجل . وهذا الطابع لا تزال تحتفظ به في ايامنا .

ويجدر التمييز عند اليونانيين من مرحلة لاحقة بين الدوريين والايونيين . فعند الاوائل الذين كانت اسبرطة مثالهم الكلاسيكي ، كانت علاقات الزواج في العديد من النواحي اكثر بدائية حتى من تلك العلاقات التي صورها هوميروس . وفي اسبرطة ، يسود الزواج الثنائي معدّلا حسب المفاهيم السبارطية عن الدولة ، ناهيك بانه يشبه الزواج الجماعي في كثير من الجوانب . والزواج بلا اولاد يُحل : فان الملك انكسندريداس (السنة ٥٦٠ قبل الميلاد) اتخذ لنفسه زوجة ثانية بالاضافة الى زوجته العاقر ، وأسس اقتصادين بيتيين ؛ وفي الوقت نفسه تقريباً ، اتخذ الملك اريستون ، الذي كانت عنده زوجتان عاقران ، زوجة ثالثة ، ولكنه طلق بالمقابل احدى الزوجتين الاوليين . ومن جهة اخرى ، كان من الممكن ان يكون لبضعة اخوة زوجة واحدة مشتركة . وكان بوسع الرجل الذي تعجبه زوجة صديقه ان يشاطره اياها ؛ وكانوا يعتبرون من اللائق ان يضع الرجل زوجته تحت تصرف «فحل» قوي ، كما قد يقول بيسمارك ، حتى وان لم يكن هذا «الفحل» من عداد المواطنين . وعند بلوتارك مقطع ترسل فيه اسبرطية الى زوجها محباً لها يحاول كسب حبها ؛ ومن هذا المقطع يمكن الاستنتاج ، على حد قول شومان ، انه كانت تسود في الاخلاق حرية اوسع واكبر (٦٢) . ولهذا كانت المخالفة الفعلية للامانة الزوجية ، اي خيانة الزوجة لزوجها ، عملا غريباً خارقاً . ومن

www.kassioun.org

جهة اخرى ، لم تعرف اسبرطة ، في خيرة عهودها على الاقل ، العبودية البيتية ، وكان الهيلوت الاقنان يعيشون على حدة في العقارات ، ولهذا كانت احتمالات اغراء نسائهم اقل عند الاسبرطيين (٦٣) . وبحكم جميع هذه الظروف ، كان من الطبيعي ان تحظى النساء في اسبرطة بمركز مشرف اكثر بكثير مما عند اليونانيين الآخرين . وكانت النساء الاسبرطيات وخير قسم من الهيتيرات الآثينيات النساء الوحيدات في اليونان اللواتي كان الاقدمون يتحدثون عنهن باحترام ويعتبرون اقوالهن جديرة بالاستشهاد بها .

والحال مختلف تماما عند الايونيين الذين كانت اثينا نموذجاً لهم . فقد كانت الفتيات لا يتعلمن غير الغزل والحياكة والخياطة ، وكن في افضل الاحوال يتعلمن ايضاً قليلا من القراءة والكتابة . وكن يعشن في عزلة تامة تقريباً ، ولا يعاشرن غير نساء اخريات . وكان مخدع النساء في قسم خاص منعزل من البيت ، في الطابق الاعلى او في مؤخرة البيت ؛ ولم يكن من السهل على الرجال ، ولا سيما الغرباء منهم ، التسرب الى هذا القسم ؛ والى هذا القسم كانت تنسحب النساء عندما يزور الرجال البيت . وكن لا يخرجن بدون مصاحبة العبدات . وفي البيت كن يخضعن لرقابة فعلية . ويتحدث ارستوفانس عن كلاب حراسة كانوا يستخدمونها لتخويف مخالفي الامانة الزوجية (٦٤) ؛ وفي المدن الآسيوية على الاقل ، كانوا يستخدمون لمراقبة النساء الخصيان الذين كانوا يصنعونهم في زمن هيرودوتس في جزيرة خيوس لاجل المتاجرة بهم والذين كان يشتريهم كما يقول فاكسموت ، البرابرة (٦٥) وغير البرابرة ايضاً . وينعت اوريبيدس المرأة oikurema (٦٦) ، وتعنى شيئاً لاجل تدبير شؤون البيت (والكلمة من الجنس المحايد) * ؛

---

* في اللغة اليونانية ، ثلاثة اجناس : المذكر والمؤنث والمحايد . المعرب .

www.kassioun.org

وعلاوة على انتاج الاولاد ، لم تكن بالفعل بالنسبة للاثينيين الا الخادمة الرئيسية . وكان الزوج يمارس تمارينه الرياضية ويقوم بشؤونه العامة التي كانت المرأة مقصية عنها ؛ وفضلا عن ذلك كانت عنده في كثير من الاحيان عبدات لتلبية رغائبه ، كما كان يستفيد في زمن ازدهار اثينا من بغاء واسع الانتشار وموضوع على كل حال تحت حماية الدولة . وعلى اساس هذا البغاء بالذات ، نشات وتطورت نماذج ساطعة فريدة من نساء يونانيات كن ، بذكائهن وذوقهن الفني ، اعلى من المستوى العام لنساء الازمنة القديمة ، مثلما كانت الاسبرطيات اعلى بطبعهن . وهكذا كان ينبغي للمرأة ان تصبح من الهيتيرات لكي تصبح امرأة حقيقية ؛ وهذا الواقع كان اقسى حكم على العائلة الاثينية .

ومع مرور الزمن غدت هذه العائلة الاثينية نموذجاً اخذ يقلده ، لا سائر الايونيين وحسب ، بل ايضا واكثر فاكثر ، جميع اليونانيين سواء اكان في داخل البلد ام في المستعمرات ، ويبنون بموجبه اوضاعهم البيتية . ولكن اليونانيات كن يجدن في احيان كثيرة جداً ، ورغم المراقبة والعزل ، الفرصة لخداع ازواجهن وخيانتهم ؛ وكان هؤلاء يخجلون من ابداء اي شعور من الحب لزوجاتهم ، ويتلهون بشتى المغامرات الغرامية مع الهيتيرات ؛ ولكن اذلال النساء ثار لنفسه من الرجال ، واذل الرجال انفسهم الى حد انه دفعهم الى ممارسة اللواط مع الغلمان ، والى الحط من كرامة آلهتهم وكرامتهم بالذات باسطورة غانيميد .

وهكذا نشات احادية الزواج ، بقدر ما يمكننا ان نتتبع نشوءها عند اكثر شعوب العالم القديم حضارة واكثرها تطوراً . فلم تكن ابداً ثمرة الحب الجنسي الفردي ، ولم يكن يجمع بينها وبينه اي جامع على الاطلاق ، لان الزواج ظل كما من قبل زواج انتفاع . وقد كانت اول شكل للعائلة لم يرتكز على الشروط الطبيعية ، بل

www.kassioun.org

ارتكز على الشروط الاقتصادية ، ونعني بها انتصار الملكية الخاصة على الملكية المشتركة البدائية والعفوية . سيادة الزوج في العائلة وولادة اولاد لا يمكن ان يكونوا غير اولاده من دمه وصلبه ، ولا بد لهم ان يرثوا ثروته في المستقبل ، ـ ذلك كان الهدف الوحيد من الزواج الاحادي ، كما نادى به اليونانيون بلا لبس ولا ابهام . وما عدا ذلك ، كان الزواج الاحادي عبئاً عليهم وواجباً حيال الآلهة والدولة واجدادهم بالذات ، كان ينبغي اداؤه . وفي اثينا كان القانون لا يفرض الزواج وحسب ، بل واداء الزوج الحد الادنى مما يسمى بالواجبات الزوجية * .

وعليه لا يدخل الزواج الاحادي اطلاقاً في التاريخ بوصفه اتحاداً اختيارياً بين المرأة والرجل ، ولا حتى بوصفه الشكل الاعلى لهذا الاتحاد . بل بالعكس . فهو يظهر كاستعباد جنس من قبل الآخر ، كاعلان لتناقض بين الجنسين لم يعرفه التاريخ كله من قبل . واني اجد في مخطوطة قديمة غير مطبوعة وضعتها انا وماركس في عام ١٨٤٦ ما يلي : «ان اول تقسيم للعمل كان بين الرجل والمرأة لاجل انتاج الاولاد» (٦٧) . وبوسعي الان ان اضيف الى هذا القول : ان اول تضاد بين الطبقات ظهر في التاريخ يصادف تطور التناحر بين الزوج والزوجة في ظل الزواج الاحادي ، واول اضطهاد طبقي يصادف استعباد جنس النساء من قبل جنس الرجال . لقد كان الزواج الاحادي تقدماً تاريخياً كبيراً ، ولكنه يدشن في الوقت نفسه ، الى جانب العبودية والثروة الخاصة ، تلك المرحلة التي لا تزال مستمرة حتى ايامنا ، والتي يعني فيها كل تقدم تراجعاً نسبياً ، والتي يتحقق فيها ازدهار وتطور البعض بآلام البعض الآخر وقمعه . ان الزواج الاحادي انما هو هذه الخلية من المجتمع

---

* الجملة الاخيرة اضافها انجلس الى طبعة ١٨٩١ . الناشر .

www.kassioun.org

المتمدن التي تمكننا من دراسة طبيعة التناحرات والتناقضات المتطورة تماما في قلب هذا المجتمع .

ان الحرية النسبية القديمة في العلاقات الجنسية لم تزل كلياً مع انتصار الزواج الثنائي او حتى مع انتصار الزواج الاحادي .

وان نظام الزواج القديم ، الذي حصر ضمن حدود اضيق نتيجة لاندثار الجماعات البونالوانية تدريجيا ، كان لا يزال تلك البيئة التي تطورت فيها العائلة ، وظل يعيق تطورها حتى عصر الحضارة الناشئة ... ولقد زال في آخر المطاف بتحوله الى شكل جديد للهيتيرية لا يزال يتبع الناس في عصر الحضارة ايضاً اشبه بظل اسود يخيم على العائلة» (٦٨) .

ويقصد مورغان بالهيتيرية العلاقات الجنسية خارج الزواج بين الرجال والنساء غير المتزوجات ، القائمة **الى جانب الزواج الاحادي** ، وقد كانت هذه العلاقات ، كما هو معروف ، مزدهرة باكثر الاشكال تبايناً في سياق عصر الحضارة كله واخذت تتحول اكثر فاكثر الى بغاء سافر . ان هذه الهيتيرية تنجم مباشرة من الزواج الجماعي ، من مجامعة الغرباء التي كانت النساء يشترين بها حقهن في العفاف . لقد كانت المجامعة من اجل المال عملا دينياً في البدء . وكانت تجري في معبد الهة الحب ، وكان المال يعود في البدء الى خزينة المعبد . فان الهيرودول (٦٩) ، خادمات انايتيس في أرمينيا ، وخادمات افروديت في كورنثيا ، وكذلك الراقصات الدينيات الملحقات بالمعابد في الهند ، اللواتي يسمونهن «بالبايادير» (وهذه الكلمة تشويه للكلمة البرتغالية bailadeira وتعني راقصة) كن اول الباغيات . كانت مجامعة الرجال الغرباء في البدء واجب كل امرأة ، ثم غدت من نصيب هؤلاء الكاهنات وحدهن ، كانما يقمن بها عوضاً عن جميع النساء الاخريات . وعند شعوب اخرى ، تنجم الهيتيرية من الحرية

www.kassioun.org

الجنسية الممنوحة للفتيات قبل الزواج ، وهي ايضا بالتالي بقية من الزواج الجماعي ، الا انها بقية وصلت الينا بسبيل آخر . ومع ظهور التفاوت في الملكية ، اي في الطور الاعلى من البربرية ، اخذ العمل الماجور يظهر هنا وهناك الى جانب عمل العبد ، كما اخذ احتراف البغاء من قبل النساء الحرات يظهر في الوقت نفسه الى جانب اكراه العبدة على مجامعة الرجال ، بوصفه مرافقا لازما للعمل الماجور . ولهذا كان الارث الذي تركه الزواج الجماعي للحضارة مزدوجا ، كما هو مزدوج ، وذو وجهين ، وذو حدين ومتناقض كل ما تصنعه الحضارة : فمن جهة ، احادية الزواج ، ومن جهة اخرى الهيتيرية مع شكلها المتطرف ، البغاء . ان الهيتيرية انما هي ايضا مؤسسة اجتماعية ككل مؤسسة اخرى ؛ وهي تؤمن استمرار وجود الحرية الجنسية القديمة ــ في صالح الرجال. انها تتعرض للشجب قولا ، مع انها في الواقع لا تلقى التساهل والتغاضي وحسب ، بل تمارس على نطاق واسع ولا سيما من قبل الطبقات السائدة . ولكن هذا الشجب لا يقصد اطلاقا الرجال الذين يمارسونها ، بل يقصد النساء فقط ، فيعاملونهن باحتقار وينبذونهن من المجتمع لكي ينادوا على هذا النحو مرة اخرى بسيادة الرجال المطلقة على جنس النساء قانونا اساسيا من قوانين المجتمع .

ولكن تناقضا ثانيا اخذ الى جانب هذا يتطور في قلب احادية الزواج نفسها . فالى جانب الزوج الذي يرفّه حياته بالهيتيرية ، تعيش الزوجة المتروكة . ان احد جانبي التناقض غير ممكن بدون الآخر ، كما لا يمكن ان تكون في اليد تفاحة بكاملها بعد اكل نصفها . ولكن الرجال لم يكونوا ، على ما يبدو ، يرون هذا الرأي طالما لم تحملهم زوجاتهم على ان يروه . فمع الزواج الاحادي يظهر على الدوام نموذجان اجتماعيان مميزان لا سابق

www.kassioun.org

لهما ، هما عشيق الزوجة الدائم والزوج المخدوع . لقد تغلب الرجال على النساء ، ولكن المغلوبات هن اللواتي تسامحن واخذن على عاتقهن بسخاء وكرامة وضع الاكاليل على رؤوس المنتصرين . فان الزنى ، الممنوع ، المعاقب بصرامة ، ولكن الذي يستحيل القضاء عليه ، قد اصبح ، الى جانب الزواج الاحادي والهيتيرية ، مؤسسة اجتماعية راسخة . وكما من قبل ، ظلت صحة الابوة ، صحة تحدر الاولاد من الوالد الشرعي ، ترتكز ، اكثر ما ترتكز ، على القناعة الاخلاقية ، المعنوية ؛ ولأجل حل هذا التناقض المستعصي ، نصت قوانين نابليون في المادة ٣١٢ منها على ما يلي:

„L'enfant conçu pendant le mariage a pour père le mari" «الزوج هو والد الولد الذي تحبل به امه اثناء الزواج» .

تلك هي النتيجة الاخيرة لثلاثة آلاف سنة من الزواج الاحادي.

ان العائلة الفردية ، ــ عندما تبقى امينة لمنشئها التاريخي، وعندما يكتسب التناقض بين الرجل والمرأة فيها طابعاً واضحاً بحكم سيادة الرجل المطلقة ، ــ تعطينا اذن صورة مصغرة عن تلك التناحرات والتناقضات التي يتحرك في داخلها المجتمع المنقسم الى طبقات منذ بداية عصر الحضارة ، والتي لا يستطيع هذا المجتمع لا حلها ولا التغلب عليها . وغني عن البيان اني لا اقصد هنا غير حالات الزواج الاحادي التي تطابق فيها الحياة الزوجية بالفعل الفروض النابعة من طابع هذه المؤسسة الاصلي ، الاولي ، والتي تثور فيها الزوجة مع ذلك على سيادة الزوج . اما ان الزواجات لا تجري على هذا النحو ، فليس ثمة من يعرف هذا خيراً من التافه الضيق الافق الالماني الذي يعجز عن ان يكون سيداً سواء في عائلته ام في الدولة . ولهذا تستأثر زوجته بكامل الحق بسلطة الزوج التي لا يستحقها . ولكنه بالمقابل يتصور انه اعلى بكثير

www.kassioun.org

من رفيقـــه الفرنسي في التعاســـة الذي يصطدم اكثر منـــه بكثير بمصاعب ومنغصات اشد واسوأ .

ومن جهة اخرى ، لم تتخذ العائلة الفردية اطلاقا في كل مكان وكل زمان الشكل الكلاسيكي الصارم الذي اتخذته عند اليونانيين . فعند الرومان الذين كانوا يتحلون ، بوصفهم فاتحي العالم العتيدين ، بنظرة الى الامور اكثر اتساعـــاً وان كانت اقـل دقـــة ، من نظرة اليونانيين ، كانت الزوجة تتمتـــع بمزيد من الحريـــة ومزيد مـــن الاحترام . وكان الرومانـي يعتقد ان الامانة الزوجية مؤمنة كفاية بفضل ما يملكه من حق الحياة والموت على زوجته . وفضلا عـــن ذلك ، كان بمقدور الزوجة هنا ، مثلها مثل الزوج ، ان تفسخ الزواج حين يطيب لها . ولكن اكبر تقدم تحقق في تطور الزواج الاحادي انما تحقق ، بلا ريب ، مع دخول الجرمان حلبة التاريخ ، لأن احاديـة الزواج لم تكن بعد ، على ما يبدو ، قد تطورت في ذلك الوقت من الزواج الثنائي ، وذلك بسبب فقرهم على الارجـــح . ونحن نخلص الى هذا القول استناداً الى ظروف ثلاثة ذكرهـــا تاقيطس . اولا ؛ رغم كل قداسة الزواج ، «كانوا يكتفون بزوجـة واحدة ، وكانت النساء يعشن محصنات بعفافهن» (٧٠)، ومع ذلك، كان تعدد الزوجات منتشراً عندهم بين الاعيان وزعماء القبائل ، مثلما كان الحال عند الاميركيين الذين كان يوجد عندهـم الزواج الثنائي . ثانياً ، لا بدّ ان الانتقـــال من الحق الامي الى الحق الابوي كان آنذاك حديث العهد ، لأن اخ الام ،ـ وهو اقرب نسيب لها بين الرجال في العشيرة بموجب الحق الامي ـ كان يعتبر تقريباً نسيباً اقرب اليها من والدها بالذات ، وهذا ما يطابق كذلك وجهة نظر الهنود الحمر الاميركيين الذين وجد عندهم ماركس ، كمـا قال مراراً وتكراراً ، المفتـــاح لفهم ماضينا بالذات . ثالثاً ، كانت النساء عند الجرمـــان يتمتعن بقدر كبير من الاحترام ويؤثرن تاثيراً كبيراً في الشؤون العامة ، الامر

www.kassioun.org

الذي يناقض تماماً سيادة الرجال الملازمة لاحاديـــة الزواج . وفي كل هذا تقريباً ، لا يتميز الجرمان عن السبارطيين الذين كان الزواج الثنائي عندهم لم يندثر بعد كلياً ، كما سبق ورأينا . ومـــن هذه الناحية ايضاً ، احرز اذن عنصر جديد تماماً ، مـــع الجرمـــان ، سيطرته على العالم . فان احادية الزواج الجديدة التي تطورت على انقاض العالم الروماني في سياق تخالط الشعوب ، اضفت على سلطان الرجال اشكالا اخف ، ومنحت النساء ، وان في الظاهر ، وضعاً اوفر احتراماً وحرية لم تعرفه يوماً الازمنة القديمة الكلاسيكية . وبذلك انشئت للمرة الاولى المقدمة التي استطاع على اساسها ان يتحقق، انطلاقاً من احادية الزواج ، ــ في داخلها ، او الى جانبها ، او رغماً عنها ، حسب الظروف ، ــ اعظـــم تقدم اخلاقي نحن مدينون بـه لها ، عنيت به الحب الفردي العصري بين الجنسين الذي كان العالم القديم كله يجهله .

ولكن هذا التقدم نجم على وجه الضبط من ان الجرمان كانوا لا يزالون يعيشون في مرحلة العائلة الثنائية وانهم ادخلوا على احادية الزواج ، بقدر ما كان ذلك ممكناً ، وضع المرأة الذي كان يطابق العائلة الثنائية . فان هذا التقدم لم ينجم ابداً مما نسب الى الجرمان من فطرة اسطورية عجيبة على نقاوة الاخلاق ، تقتصر ، من حيث جوهر الامر ، على كون الزواج الثنـائي يخلو بالفعـل من التناقضات الاخلاقيـــة الحادة الملازمة لاحادية الزواج . بـــل بالعكس ، فان الجرمان قد انحطوا كثيراً من الناحية الاخلاقية في سياق هجراتهم ، ولا سيما في اتجاه الجنوب الشرقي ، الى مستوى رحل سهوب ساحل البحر الاسود ، واخذوا عن هؤلاء الرحـــل ، فضلا عن فن ركوب الخيل ، عيوبهم الشنيعة المنافية للطبيعة ، الامر الذي يشهد عليه بكل وضوح اميـان فيما يتعلق بالتايفـال وبروكوبيوس فيما يتعلق بالهيرول (٧١) .

www.kassioun.org

ولكن اذا كانت احادية الزواج بين جميع الاشكال المعروفة من العائلة الشكل الوحيد الذي امكن ان ينشأ منه ويتطور الحب الجنسي الحالي ، العصري ، فان هذا لا يعني ان هذا الاخير قد تطور في قلب احادية الزواج بوجه الحصر ، او حتى بصورة رئيسية بوصفه حباً متبادلاً بين الزوج وزوجته ؛ فان طبيعة الزواج الاحادي المتين ذاتها كانت تستبعد ذلك في ظل سيادة الزوج . وعند جميع الطبقات النشيطة تاريخياً ، اي عند جميع الطبقات السائدة ، بقي عقد الزواج كما كان عليه منذ الزواج الثنائي ، اي صفقة يعقدها الآباء . وعندما ظهر الحب الجنسي للمرة الاولى في التاريخ بشكل عشق ، وبوصفه عشقاً في منال كل فرد (من الطبقات السائدة على الاقل) ، بوصفه اعلى شكل للغريزة الجنسية ،ـ الامر الذي يشكل طابعه الخاص المميز ،ـ لم يكن هذا الشكل الاول ، الحب الفروسي في القرون الوسطى ، حباً زوجياً على الاطلاق . بل بالعكس . فان الحب الفروسي بشكله الكلاسيكي ، عند البروفنساليين ، يسعى بكل اشرعته نحو انتهاك الامانة الزوجية ، وشعراؤه ينشدون هذا السعي . ان زهرة الشعر الغزلي (٧٢) البروفنسالي هي اغاني «ألبا» albas ، وبالالمانية Tagelieder (اغاني الصباح ، التصبيحات) . ان هذه التصبيحات تصور بالوان ساطعة كيف ينام الفارس في سرير حسنائه ،ـ وهي امرأة رجل آخر ،ـ بينما يقف في الخارج حارس ينبئه باولى تباشير الصباح alba لكي يتمكن من التملص دون ان يراه احد ؛ ثم يلي مشهد الوداع ، وهو ذروة الاغنية . ان سكان فرنسا الشمالية ، وكذلك الالمان البواسل تبنوا هم ايضاً هذا الضرب من الشعر مع طرائق الحب الفروسية التي تناسبه ؛ وقد ترك صاحبنا العجوز ولفرام فون ايشنباخ حول هذا الموضوع الحساس ، ثلاث اغنيات رائعة تعجبني اكثر مما تعجبني قصائده البطولية الطويلة الثلاث .

www.kassioun.org

في ايامنا يجري عقد الزواج في البيئة البرجوازية بطريقتين . ففي البلدان الكاثوليكية ، يبحث الوالدان ، كمـــا من قبل ، عن زوجة تليق بشاب ابن برجوازي ؛ وهذا مـــا يؤدي بالطبع الى تطـــور التناقض الملازم لاحاديـــة الزواج اكمل التطور ، اي الى ازدهار الهيتيرية من جانب الزوج ، والى ازدهار الخيانة الزوجية من جانب الزوجة . واذا كانت الكنيســة الكاثوليكية قد حرّمت الطلاق ، فلسبب واحد فقط ، كما ينبغي الظن ، هو انها اقتنعت بانه لا مفر منَ الخيانة الزوجية كما لا مفر من الموت . امـــا في البلدان البروتستانتيـــة ، فالامر بالعكس ؛ فان ابن البرجوازي يتمتع ، على العموم ، بحق اختيار زوجـة له من بنات طبقتـــه ، بهذا القـدر او ذاك مـن الحريـة ؛ ولهذا يمكـن ان يكون الحب ، بقدر ما ، اساساً لعقد الزواج ، ناهيك بانه ينبغي دائماً ، بحكم اللياقة ، افتراض وجوده تبعاً لروح الرياء البروتستانتي . وهنـــا يمارس الزوج الهيتيرية باقل من الحمية ، بينا خيانة الزوجة اقل حدوثا . ولكن بما ان الناس يبقون في ظل الزواج ، ايا كان شكله ، مثلما كانوا من قبله ، وبما ان البرجوازيين في البلدان البروتستانتة هم بمعظمهم تافهون ضيقو الافق ، فان احادية الزواج البروتستانتية هذه ، حتى في افضل الاحوال ، لا تؤدي مع ذلك ، الا الى مساكنة زوجية مملة لا تطاق يسمونهـا بالسعادة الزوجيـــة . وخير مرآة لهذين النوعين من الزواج هي الرواية ؛ الروايـة الفرنسيـــة لأجل الزواج الكاثوليكي والروايـــة الالمانية لأجل الزواج البروتستانتي . وفي كل من الروايتين ، «ينال الرجل نصيبه» : في الرواية الالمانية ينال الشاب الفتاة ، وفي الرواية الفرنسية ، ينال الزوج قرنين . وليس من الواضح دائمـا في هذه الحال معرفـــة اي منهما اسوأ نصيباً . ولهذا يثير ملل الرواية الالمانية في نفس البرجوازي الفرنسي من الرعب والذعر قدر ما تثيره «لااخلاقية» الرواية الفرنسية في نفس

www.kassioun.org

البرجوازي الالماني التافه الضيق الافق . ولكن في الآونة الاخيرة ، اي منذ ان «اخذت برلين تصبح عاصمة عالمية» ، طفقت الرواية الالمانية تتطرق باقل من الارتباك والوجل الى ظاهرتي الهيتيرية والخيانة الزوجية المعروفتين جيداً هناك من زمان بعيد .

ولكن الزواج في هذه الحالـــة وتلك يقوم على وضـــع الطرفين الطبقي ، ولـذا كان دائماً زواج انتفاع . وفي كلا الحالين ، ينقلب زواج الانتفاع هذا في احيان كثيرة جداً الى بغاء في منتهى القذارة والخساسة من جـانب الطرفين احياناً ، وفي احيـان اكثر بكثير من جانب الزوجـــة التي لا تختلف عـــن البغية العاديـــة الا بكونها لا تؤجر جسدهـا بالقطعـــة كما تؤجر العاملة عملها ، بل تبيعه دفعة واحدة والى الابد كالعبدة . وعلى زواج الانتفاع بجميع مظاهره واشكاله ، تصح كلمة فوريه :

«كما ان نفيين في قواعد اللغة يعنيان تأكيداً ، كذلك يعني بغاءان في قواعد الاخلاق فضيلة» (٧٣) .

ان الحب الجنسي لا يمكن ان يكون ولا يكون بالفعل قاعدة في العلاقات مع المرأة الا في بيئـــة الطبقات المظلومـــة ، اي ، في ايامنا ، في بيئة البروليتاريا ، سواء أكانت هذه العلاقات مسجلـة رسمياً ام لا . ولكن جميع اسس احادية الزواج الكلاسيكية مهدومة هي ايضاً في هذه البيئة . فهنا لا وجود لاي ملكية انشئت من اجل صيانتها وتوريثها على وجه الضبط احادية الزواج وسيادة الرجال ؛ ولذا ، لا وجود هنا لاي حافز يحفز على اقرار هذه السيادة . ناهيك بانه لا وجود هنا لاي وسيلة لأجل تحقيق هذا الغرض : فان الحق البرجوازي الذي يحمي هذه السيادة لا يوجد الا من اجل المالكين ومن اجـل خدمة علاقاتهم مـــع البروليتاريين ؛ وهو يكلف غاليـــاً ، ولذا لا يصلح ابداً في علاقات العامل مع زوجته نظراً لفقر العامل .

www.kassioun.org

هنا تضطلع بالدور الحاسم ظروف خاصة واجتماعية مختلفة تماماً . وهناك اعتبار آخر . فمنذ ان انتزعت الصناعة الكبيرة المرأة من البيت ، وارسلتها الى سوق العمل والى المعمل وحولتها في كثير من الاحيان الى معيلة للعائلة ، زالت في المسكن البروليتاري كل تربة لآخر بقايا سيادة الرجل ، اللهم الا بعض الفظاظة في معاملة الزوجة متوارث منذ ظهور احادية الزواج . وهكذا لم تبق عائلة البروليتاري احادية الزواج بمعنى الكلمة الصرف ، حتى وان سادها احرّ الحب وأمتن الاخلاص من كلا الطرفين ، ورغم جميع البركات الدينية والدنيوية من كل شاكلة وطراز . ولهذا يضطلع هنا مرافقا احادية الزواج الدائمان ، الهيتيرية والخيانة الزوجية ، بدور ضئيل للغاية ؛ وقد استعادت الزوجة لنفسها عملياً الحق في فسخ الزواج ، وحين لا يبقى بوسع الطرفين ان يعيشا معاً ، فانهما يفضلان الانفصال . وخلاصة القول ان الزواج البروليتاري زواج احادي بمعنى الكلمة الاصلي لا بمعناها التاريخي .

بيد ان حقوقيينا يعتبرون ان تقدم التشريع ينتزع اكثر فاكثر من النساء كل مبرر للشكوى . ان قوانين البلدان المتمدنة العصرية تعترف اكثر فاكثر ، اولا ، بانه ينبغي للزواج ، لكي يكون صحيحاً ، ان يكون عبارة عن عقد يعقده الطرفان بملء اختيارهما ، وثانياً ، بانه ينبغي ان يكون للطرفين خلال مدة الزواج كلها نفس الحقوق والواجبات حيال احدهما الآخر . فاذا ما تحقق هذان الشرطان بدأب وانسجام ، لحصلت النساء على كل ما بوسعهن ان يرغبن فيه .

ان هذه المحاكمة الحقوقية الصرف تطابق تماماً المحاكمة التي يلجأ اليها الجمهوري البرجوازي الراديكالي الذي يدعو البروليتاري بين الفينة والفينة الى التزام جانب النظام . ان عقد العمل يُعَدّ معقوداً بملء رضى الطرفين . ولكنه يُعَدّ معقوداً بملء رضى

www.kassioun.org

الطرفين لأن القانون يقرر على الورق المساواة بين الطرفين . اما السلطة التي يخولها اختلاف الوضع الطبقي لأحد الطرفين ، والضغط الذي يمارسه هذا الطرف بفضل ذلك على الطرف الآخر ، اي وضع الطرفين الاقتصادي الفعلي ، فان القانون لا يذكرهما باي كلمة . واثناء مدة عقد العمل ، يظل الطرفان متمتعين ، حسب القانون ، بالمساواة فيما بينهما طالما ان احدهما لم يتنازل صراحة عن حقوقه . اما ان الوضع الاقتصادي يجبر العامل على التنازل حتى عن آخر مظهر من مظاهر المساواة في الحقوق ، فلا شان ايضاً للقانون بذلك .

وفيما يخص الزواج ، يشعر القانون باكمل الارتياح ، حتى وان كان اكثر القوانين تقدماً ، اذا اعرب الطرفان المعنيان ، حسب الاصول ، عن موافقتهما طوعاً واختياراً على الزواج . اما ما يجري ما وراء كواليس القانون حيث تجري الحياة الفعلية ، وكيف تتحقق هذه الموافقة الحرة ، فان القانون ورجل القانون لا يأبهان لذلك . ومع ذلك ، لا بدّ لأبسط مقارنة بين قوانين مختلف البلدان من ان تبين للحقوقي ما تعنيه بالفعل هذه الموافقة الحرة . ففي البلدان التي يكفل فيها القانون للاولاد نصيباً الزامياً من تركة والديهم ، والتي لا يمكن فيها بالتالي حرمانهم من التركة ، ـ في المانيا وفي البلدان التي تتبنى القانون الفرنسي ، وفي بعض البلدان الاخرى ، ـ ينبغي على الاولاد ان يحصلوا على موافقة الوالدين لأجل عقد الزواج . اما في البلدان التي تتبنى القانون الانجليزي ، والتي لا يفرض فيها القانون موافقة الوالدين لأجل عقد الزواج ، فان الوالدين يتمتعان بكامل الحرية عند التوصية بتركتهما ، وبوسعهما ، كما يطيب لهما ، ان يحرما اولادهما من التركة . ولكنه واضح ان حرية عقد الزواج في انجلترا واميركا ليست ابداً بالفعل ، رغم هذا ، وحتى بسبب هذا على

www.kassioun.org

وجه الضبط ، عند الطبقات التي يوجد لديهـــا ما تورثه ، اكبر مما هي عليه في فرنسا والمانيا .

وليست الحال افضـل فيمـا يخص المسـاواة القانونية بين الرجـل والمرأة في الزواج . ان التفاوت في الحقوق بين الطرفين ، الذي ورثنـاه من العلاقـات الاجتماعيـة السابقـة ، ليس سبب اضطهاد المرأة في المضمار الاقتصادي ، بل نتيجته . ففي الاقتصاد البيتي الشيوعي القديم الذي كان يشمـل عدداً كبيراً من الازواج مع اولادها ، كانت ادارة هذا الاقتصاد المعهود بها الى النسـاء ضرباً من النشاط الاجتماعي الضروري للمجتمـع ، شانهـا شان حصول الرجال على وسائل العيش . ولكن الوضع تغير منذ ظهور العائلة البطريركية ، وبالاحرى منذ ظهور العائلة الفردية الاحادية الزواج . فقد فقدت ادارة الاقتصاد البيتي طابعهـا الاجتماعي . ولم تعد لها علاقة بالمجتمـع . واصبحت **خدمة خاصة** ؛ وصارت الزوجة الخادمـة الرئيسيـة ، واقصيت عن الاشتراك في الانتاج الاجتماعي . ان الصناعـة الكبيرة في ايامنـا هي التي فتحت امام المرأة ـ المرأة البروليتارية فقط ـ السبيل الى الانتاج الاجتماعي ؛ ولكنها ، اذا ما قامت بواجباتها الخاصة في خدمة العائلة ، بقيت خارج الانتـاج الاجتماعي وعجزت عن تحصيل اي اجر مستقل ؛ واذا ما شاءت ان تشترك في العمل الاجتماعي وان تحصل على اجر مستقل ، عجزت عن اداء واجباتها العائلية . ان حال المرأة واحد في هذا الصدد ، سواء في المصنع ام في جميع ميادين النشاط الاخرى، بما فيها ميدانا الطب والمحاماة . ان العائلة الفردية الحالية ترتكز على عبودية النساء السافرة او المقنعة ؛ والمجتمع الحالي انما هو كتلة تتالف بوجه الحصر من عائلات فردية هي بمثابة جزيئاتها . وفي الوقت الحاضر ، يتعين على الزوج في اغلبية الاحوال ان يكون سند العائلة ومعيلها ، على الاقل في بيئة الطبقات المالكة ، وهذا ما

www.kassioun.org

يضمن له سيادة لا تحتاج الى اي امتيازات قانونية خاصة . فالرجل في العائلة هو البرجوازي بينما المرأة تمثل البروليتاريا . ولكن ميزة الاضطهاد الاقتصادي الذي ينيخ بكلكله على البروليتاريا في ميدان الصناعة لا تبرز بكل حدتها الا بعد القضاء على جميع الامتيازات الخاصـــة التي يعترف بها القانون لطبقة الرأسماليين وبعد اقرار المساواة التامة في الحقوق بين الطبقتين من الناحية القانونية . ان الجمهورية الديموقراطية لا تزيل التضاد بين الطبقتين ؛ وهي ، على العكس ، لا تفعل غير ان تمهد التربة التي يحتدم عليها الصراع من اجل حل هذا التضـــاد . كذلك ميزة سيادة الزوج على الزوجـة في العائلة الحالية وضرورة وطريقة اقرار المساواة الاجتماعية الفعلية بينهما لن تتجلى بكل سطوع الا متى اصبح الزوج والزوجـــة ، من الناحية القانونية ، متساويين تماما في الحقوق . وآنذاك يتبين ان الشرط الاول لتحرر المرأة هو عودة جنس النساء بكليته الى الانتاج الاجتماعي ، الامر الذي يتطلب بدوره زوال العائلة الفردية بوصفها وحدة اقتصادية في المجتمع .

* * *

هناك اذن ثلاثة اشكال رئيسيـــة للزواج تناسب بالاجمال المراحل الرئيسية الثلاث من تطور البشرية . فالوحشية يناسبها الزواج الجماعي ؛ والبربرية يناسبهـــا الزواج الثنائي ؛ والحضارة تناسبها احادية الزواج المقرون بالخيانة الزوجية والبغاء . وبين الزواج الثنائي واحادية الزواج ، تتسرب في الطور الاعلى من البربرية سيادة الرجال على العبدات وتعدد الزوجات .

ان اصالة التقدم الذي يتجلى في تعاقب الاشكال هذا تقوم ، كمـا يتبين من كل عرضنـــا السابق ، في حرمان النســـاء ، اكثر فاكثر ، لا الرجال ، من الحرية الجنسية الملازمة للزواج الجماعي .

www.kassioun.org

وبالفعل ، لا يزال الـــزواج الجماعي في الواقع قائماً في صالـــح الرجال في الوقت الحاضر ايضاً . وما هو جريمة من جانب المرأة ويستتبعَ عواقب وخيمة ، قانونية واجتماعية ، انما هو بالنسبة للرجل امر مشرف او ، في اسوأ الاحوال ، لطخة اخلاقية طفيفة يحملها بسرور . ولكن بقدر ما تتغير الهيتيرية القديمة في ايامنـا تحت تأثير الانتاج البضاعي الرأسمالي وتتكيف له ، وبقدر ما تتحول الى بغاء سافر ، بقدر ما يشتد تأثيرها المفسد . وهي تفسد اخلاق الرجال اكثر بكثير مما تفسد اخلاق النساء . وبين النساء ، لا يفسد البغاء غير التعيسات اللواتي يصبحن ضحاياه ، ولكنه يفسدهن اقل بكثير مما يُعتقد عادة . بيد انه بالمقابل يذل طبع جنس الرجال كله . فان استطالة زمن العزوبة ، مثلا ، هو في تسع حالات من اصل عشر ، مدرسة اعدادية حقيقية للخيانة الزوجية .

ولكننا نسير الآن نحو انقلاب احتماعي ستزول فيه حتمـاً الاسس الاقتصاديـــة القائمة حتى الآن لأحادية الزواج شأنها شان اسس مرافقهـا ، البغاء . فقد نشأت احاديـــة الزواج من تمركز ثروات كبيرة في يد واحدة ــ هي يد الرجل ــ ومن الرغبة في نقـل هذه الثروات بالميراث الى اولاد هذا الرجل بالذات ، لا الى اولاد رجل آخر ما . ولهذا الغرض ، كانت تنبغي احادية زواج المرأة ، لا احادية زواج الرجل ، وهكذا لم تكن احادية زواج المرأة لتعيق ابداً تعدد زوجات الرجـــل ، الظاهر والمستـــتر . ولكن الانقلاب الاجتماعي العتيد الذي سيحول على الاقل القسم الاعظم من الثروات الدائمة التي يمكن توريثها ، اي وسائل الانتاج ــ الى ملكية عامة ، اجتماعية ، سيقلل الى الحد الادنى من جميع هذه الهموم المتعلقة بمعرفة الورثاء وكيفية نقل الارث . ولكن هل تزول احادية الزواج التي نشأت من الاسباب الاقتصادية اذا زالت هذه الاسباب ؟

www.kassioun.org

قد يمكن الجواب ، وليس دون مبرر ، بانها لن تزول ، وليس هذا وحسب ، بل انها ، على العكس ، لن تتحقق تماماً الا آنذاك . لأنه مع تحويل وسائل الانتاج الى ملكية عامة ، اجتماعية ، يزول كذلك العمل الماجور وتزول البروليتاريا ، وتزول بالتالي الضرورة التي تقضي على عدد يمكن احصاؤه من النساء ببيع اجسادهن لقاء المال . ان البغاء سيزول ؛ اما احادية الزواج ، فلن تزول ، بل تصبح في آخر المطاف واقعاً بالنسبة للرجال ايضاً .

وهكذا سيتغير وضع الرجال ، على كل حال ، تغيراً عميقاً . ولكن وضع النساء ، **جميع** النساء ، سيطرأ عليه هو ايضاً تغير كبير . فمع تحول وسائل الانتاج الى ملكية عامة ، اجتماعية ، لا تبقى العائلة الفردية وحدة المجتمع الاقتصادية . فان الاقتصاد البيتي الخاص يصبح فرعاً من فروع النشاط الاجتماعي . وتغدو العناية بالاطفال وتربيتهم من شؤون المجتمع : فان المجتمع سيعنى بالقدر ذاته بجميع الاطفال ، سواء أكانوا شرعيين ام غير شرعيين . وبفضل هذا ، يزول هم «العواقب» الذي يشكل في الوقت الحاضر اكبر سبب اجتماعي ، اخلاقي واقتصادي ، يمنع الفتاة من الاستسلام بلا تحفظ للرجل الذي تحبه . ألن يكون هذا سبباً كافياً لكي يقوم تدريجياً مزيد من الحرية في العلاقات الجنسية ، ولكي يتكون بالتالي راي عام اكثر تساهلا حيال شرف العذارى وحشمة النساء ؟ او لم نر ، اخيراً ، ان احادية الزواج والبغاء هما في العالم الحالي متضادان حقاً وفعلا ، ولكنهما متضادان لا ينفصل احدهما عن الآخر ، وقطبا وضع اجتماعي واحد ؟ وهل يمكن ان يزول البغاء دون ان يجر معه احادية الزواج الى الهاوية ؟

www.kassioun.org

هنا يدخل الحلبـــة عنصر جديد لم يكن موجوداً في افضل الاحوال الا بصورة جنين ، نواة ، في عهد نشوء احادية الزواج ؛ وهذا العنصر هو الحب الجنسي الفردي .

قبل القرون الوسطى ، لم يكن من الممكن حتى الكلام عـــن الحب الجنسي الفردي . وغني عن البيان ان الجمال البدني ، والعلاقات الودية ، والميول المتماثلة ، الخ .، قد ايقظت على الدوام عند افراد الجنسين المختلفين الرغبة في الاتصال الجنسي ، وان الرجال والنساء على السواء لم يكونوا ابدا غير مبالين في معرفة اولئك الذين سيقيمون معهم هذه الاتصالات الحميمة . ولكن الشقة بين هذا وبين الحب الجنسي الحالي كبيرة الى ما لا حد له . ففي سياق الازمنة القديمة كلها ، كان الآباء هم الذين يعقدون زواج المعنيين بالامر ، وكان هؤلاء يتكيفون للامر بكل هدوء . وذلك النصيب الطفيف من الحب بين الزوجين الذي عرفته الازمنة القديمة ، ليس ميلا ذاتياً ، بل واجب موضوعي ، ليس اساس الزواج ، بل تابع له . ان علاقات الحب بمعناها الحالي لا تقوم في الازمنة القديمة الا خارج المجتمع الرسمي . فان الرعاة الذين ينشد لنا ثيوكريتوس وموسخوس وكذلك دفنيس وكلويا عند لونغ (٧٤) مسرات وآلام حبهم ، انما هم بوجه الحصر عبيد لا يشتركون في تصريف شؤون الدولة الذي هو المجال الحيوي للمواطن الحر . ولكن ، الى جانب العلاقات الغرامية بين العبيد ، لا نجد هذه العلاقات الا كنتاج لتفسخ العالم القديم المحتضر ، ناهيك بان هذه العلاقات تقام مع نســـاء يعشن هن ايضاً خارج المجتمع الرسمي ، ـ اي مع الهيتيرات ، اي مع اجنبيات او مع معتقات ، في آثينا عشية سقوطها ، وفي روما في عهد الامبراطورية . واذا كانت قد قامت بالفعل علاقات غرامية بين مواطنين احرار ومواطنات حرات ، فـــان ذلك لم يكن الا من باب الخيانة الزوجية . بل ان العجوز اناكريونت ، الشاعر الغزلي

www.kassioun.org

الكلاسيكي في الازمنة القديمة ، كان لا يبالي بالحب الجنسي حسبما نفهمه الآن بقدر ما كان لا يبالي حتى بجنس الكائن المحبوب .

ان الحب الجنسي الحالي يختلف اختلافاً جوهرياً عن مجرد الرغبة الجنسية ، عن «ايروس» eros الاقدمين . فهو ، اولا ، يفترض عند الكائن المحبوب حباً متبادلا ؛ والمرأة في هذا الصدد مساوية للرجل ، في حين ان موافقتها لم تكن دائماً مطلوبة في «ايروس» eros القديم . ثانياً ، يبلغ الحب الجنسي قوة ومدة تجعلان الطرفين يتصوران الانفصال واستحالة الوصال بلية كبيرة ان لم تكن افدح البلايا ؛ فيقدمان على مجازفة ضخمة ، بل انهما يعرضان حياتهما للخطر لمجرد ان يملك احدهما الآخر ، الامر الذي لم يكن يحدث في الازمنة القديمة الا في حال الخيانة الزوجية . واخيراً ، يظهر معيار اخلاقي جديد لأجل شجب او تبرير العلاقة الجنسية ؛ فلا يسألون فقط ما اذا كانت قائمة على الزواج او خارج الزواج ، بل يسألون ايضاً ما اذا كان الحب متبادلا ام لا . ومفهوم ان هذا المعيار لا يلقى من الاحترام في الممارسة الاقطاعية والبرجوازية اكثر مما تلقاه جميع المعايير الاخلاقية الاخرى ؛ فهو لا يؤخذ بالحسبان . ولكنه لا يُعامل اسوأ مما تُعامل المعايير الاخرى : فهو معترف به مثله مثل غيره ــ نظرياً ، على الورق . والآن لا تمكن المطالبة اكثر من ذلك .

ولقد انطلقت القرون الوسطى من النقطة التي توقف عندها العالم القديم مع بوادره في مضمار الحب الجنسي ، اي من الزنى . وقد وصفنا آنفاً الحب الفروسي الذي خلق اغنية الصباح . وبين هذا الحب الساعي الى هدم الزواج وبين الحب الذي يجب ان يصبح اساس الزواج ، لا تزال تقع طريق طويلة ينبغي قطعها ، ولكن عصر الفروسية لم يقطعها قط الى النهاية . وحتى

www.kassioun.org

عندما ننتقل من اللاتين المستهترين الى الالمان الفاضلين ، نجد في «اغنيـــة نيبيلونغ» ان كريمهيلدا التي تحب زيغفريد سراً بقدر ما يحبها زيغفريد ، تجيب غونتر بكل بساطـــة عندمـــا يخبرها انه خطبها لفارس لا يذكر اسمه :

«لا داعي لك ان ترجوني ؛ كما تامرني، كذلك ساعمل على الدوام . ومن تعطني اياه زوجاً ، يا سيدي ، اكن خطيبته بكل سرور» (٧٥) .

بل انه لا يخطر في بـــال كريمهيلدا انه يمكن هنـــا على العموم اخذ حبها بعين الاعتبـــار . ان غونتر يخطب برونهيلدا ، وايتسل يخطب كريمهيلدا ، مع انهما لم يريهمـــا قط ؛ كذلك في «غودرون» Gudrun (٧٦) ، يخطب الارلنـــدي زيغيبانت النروجية اوتا ، ويخطب هيتل من هيغلنغن الارلنديـــة هيلدا ، واخيراً يحـــاول كل من زيغفريد من مورلنـــد وهارتموت من اورمان وهرفيغ من زيلنـــده ان يخطب غودرون . وفي هـــذه الحالة الاخيرة وحدها ، تقرر غودرون ، بكل حريـــة في صالح هرفيـــغ . ان والدي الامير الشاب همـــا ، على العموم ، اللذان يختاران خطيبة ابنهما ، اذا كانا لا يزالان حيين ، والا اختـــار بنفسه خطيبته بعد استشارة كبار اتباعه الذين لرأيهم دائمـــاً وزن كبير في الموضوع . ناهيك بانه لم يكن من الممكن ان يكون الحال آخر . فان الخطبة هي بالنسبـــة للفارس او البـــارون ، وكذلك بالنسبة للأمير نفسه ، عمل سياسي ، وفرصـــة لزيادة بأســـه بمساعدة حلفـــاء جدد . ان مصالح **البيت** ، لا الرغائب الشخصية ، هي التي يجب ان تكون لها الكلمـــة الفاصلـــة في الموضوع . فكيف يمكن في مثل هذه الاحوال ان تكون الكلمـــة الاخيرة للحب عند عقد الزواج ؟

www.kassioun.org

وكان الحال نفســـه عند برجوازي الحرف في مدن القرون الوسطى . فان الامتيازات التي كانت تحميه ، والانظمة الداخلية الحرفية التي كانت تفرض شتى القيود ، والحدود المصطنعة التي كانت تفصله قانوناً ، هنا عن الحرف الاخرى ، وهناك عن رفاقه بالذات في الحرفة ، وهناك ايضاً عن صناعه واجرائه ، كانت تقلص بصورة ملحوظة الحلقة التي كان بوسعه ان يبحث ضمنها عن زوجة مناسبة له . وفي هذا النظام المشوش ، كانت مصالح العائلة ، لا رغائبه الشخصية ، هي التي تقرر اي خطيبة تناسبـــه اكثر من غيرها .

وعليـــه بقي عقد الزواج في عدد لا يحصى من الاحوال ، حتى نهاية القرون الوسطى بالذات ، ما كان عليـــه في البدايـــة بالذات ، اي قضية لا يحلهـــا العازمون على الزواج انفسهـــم . ففي البداية ، كان الناس يولدون متزوجين ، متزوجين من جماعة كاملة من افراد الجنس الآخر . وفي آخر اشكال الزواج الجماعي ، بقي الوضع نفسه ، اغلب الظن ، ولكن الجماعـــة اخذت تتقلص اكثر فاكثر . وفي ظل الزواج الثنائـــي ، تتفق الامهـــات ، على العموم ، بصدد زواجات اولادهن ؛ وهنا ايضاً يعود الدور الفاصل الى اعتبارات بشأن علاقات النسب الجديدة ينبغي لها ان تضمن للزوج والزوجة الشابين مركزاً اثبت واقوى في العشيرة والقبيلة . وعندما بدأ عهد سيادة الحق الابوي واحادية الزواج مع انتصار الملكية الخاصة على الملكية العامة ومع ظهور المصلحـــة في نقل الملكية بالوراثة ، اصبح عقد الزواج آنذاك رهناً بكليته باعتبارات اقتصادية . ان **شكل** الزواج بالشراء يزول ، ولكن هذا الزواج يجري ، من حيث جوهـــر الامر ، على نطاق اوســـع فاوســـع ، بحيث انه صار للرجل ايضـــاً ، علاوة على المرأة ، سعر يحدد حسب ثروته لا حسب صفاته الشخصية . ان تغلب ميل الطرفين

www.kassioun.org

المتبادل على جميـــع الاعتبارات الاخرى عند عقد الزواج كان منذ البداية بالذات امراً لا سابق له في ممارسة الطبقات السائدة . ولم يكن يحدث شيء من هذا القبيل الا في عـالم الروايـات او في اوساط الطبقـات المظلومة التـي لم يكـن يحسـب لهـا اي حساب .

ذلك كان الحال الذي وجده الانتاج الرأسمالي عندما اخذ يستعد ، بعد الاكتشافات الجغرافية ، للسيطرة على العالم بفضل تطوير التجارة العالمية والمانيفاكتورة . كان يمكن الظن ان هذا الاسلوب لعقد الزواج سيكون أنسب اسلوب لـــه ، وهكذا كان بالفعل . ولكن ــ وسخرية التاريخ العالمي لا ينضب لها معين ــ الانتاج الرأسمالي بالذات هو الذي كان مكتوباً له ان يشق هنا الثغرة الحاسمة . فبتحويله كل شيء الى بضاعـــة ، قضى على جميع العلاقات القديمة ، التقليدية ، واقام الشراء والبيع والعقد «الحر» مقام العادات المتوارثة والحق التاريخي . وهـــا هو ذا الحقوقي البريطاني ه . س . ماين يظن انه حقق اكتشافاً في غاية الاهمية حين قال ان كل تقدمنا بالنسبة للعصور السابقة يتلخص في الانتقـــال from status to contract* ، اي مـــن الشروط المتوارثة الى الشروط المقررة بموجب عقد حر (٧٧) ؛ الامر الذي قيـــل في «البيـــان الشيوعي» (٧٨) بقـدر مـــا هـــو صحيـــح على العموم .

ولكنه ينبغي لاجراء العقد انـــاس بمقدورهم ان يتصرفوا بحرية باشخاصهم واعمالهم واملاكهم ، ومتساوون في الحقوق بعضهم حيال بعض . ولقد كان صنع هؤلاء النـــاس «الاحرار» و«المتساوين» شأناً من اكبر شؤون الانتاج الرأسمالي . صحيح

---

* ــ من الامر الواقع الى العقد . **الناشر** .

www.kassioun.org

ان ذلك لم يحدث في البدء الا بصورة نصف واعيـــة وتجلبب خارجياً بجلباب ديني ، ولكنـــه منذ الاصلاح اللوتري والكلفيني ثبت المبدأ القائل ان الانسان لا يتحمل كامل المسؤوليـــة عن اعماله الا اذا قام بها وهو متمتع بكامل حريـــة التقرير ، وان مقاومة كل اكراه على القيـــام بمسعى غير اخلاقي هي واجب اخلاقي . ولكن كيف كان يمكن ان يتوافق هذا المبدأ مع الممارسة السابقـــة لعقد الزواج ؟ لقد كان الزواج ، حسب المفهـــوم البرجوازي ، عقداً ، صفقة قانونية ، بله أهم الصفقات لانها كانت تقرر مصير جسد وروح شخصين مدة حياتهما بكاملها . من حيث الشكل ، كانت هذه الصفقة تعقد آنذاك ، والحق يقال ، طوعـــاً واختياراً ؛ فلم تكن تتم بدون موافقة الطرفين . ولكنه كان معلوماً جيداً جداً كيف كان يتم الحصول على هذه الموافقـــة ومن كان يعقد الزواج في الواقع . وفضلا عن ذلك ، اذا كانت تنبغي حرية التقرير الفعلية لاجراء العقود الاخرى ، فلمـــاذا لا تنبغي هذه الحرية في هذه الحالة ، لاجراء عقد الزواج ؟ ترى ، ألم يكن للشاب والشابة اللذين كان ينبغي الجمع بينها الحق في التصرف بحرية بشخصيهما ، بجسدهما واعضائه ؟ ترى ، ألم يصبح الحب الجنسي موضة بفضل الفروسية ، ترى ، ألم يكن الحب الزوجي حيال الحب الفروسي المقترن بالزنى ، شكله البرجوازي الحقيقي ؟ ولكن اذا كان واجب الزوجين ان يحب احدهما الآخر ، ترى ، ألم يكن بالقدر نفسه واجب المحبين ان يتزوج احدهما من الآخر لا من اي ثالث ؟ ترى ، ألم يكن حق المحبين هذا يعلو على حق الوالدين والاقارب وسماسرة ووسطـــاء الزواج العاديين الآخرين ؟ واذا كان حق الاختيار الشخصي الحر يقتحم بلا تكلف ولا انزعاج ميدان الكنيسة والدين ، فهل كان بوسعه ان يتوقف امام ادعاءات الجيل الاكبر

www.kassioun.org

سناً التي لا تطاق بالتصرف بجسد الجيل الاصغر سناً وروحه وماله وسعادته وبؤسه ؟

وهذه الاسئلة كان لا بد ان تثار في زمن ضعفت فيه جميع عرى المجتمع القديمة وتزعزعت فيه جميع التصورات الموروثة عن الماضي . وقد كبر العالم دفعة واحدة زهاء عشر مرات ؛ فعوضاً عن ربع نصف واحد من الكرة الارضية ، ظهرت الآن الكرة الارضية كلها ، امام انظار الاوروبيين الغربيين ، فأسرعوا يستولون على الارباع السبعة الباقية . ومع الحواجز القديمة التي كانت تحصر الفرد ضمن حدود وطنه ، انهارت العوائق التي كانت تعيق اسلوب التفكير التقليدي في القرون الوسطى منذ آلاف السنين . وامام عين الانسان وبصيرته ، انفتح افق اوسع بما لا حد له . فاي اهمية كان يمكن ان تتسم بها السمعة بالاستقامة والامتيازاتِ الحرفية المشرّفة المتوارثة من جيل الى جيل بالنسبة لشاب كانت تجتذبه وتسحره ثروات الهند ومناجم الذهب والفضة في المكسيك وبوتوسي ؟ كان ذلك ، بالنسبة للبرجوازية ، عهد الفرسان التائهين . ولقد كانت للبرجوازية ايضا رومانطيقيتها واحلامها وتأوهاتها الغرامية ، ولكن على الطريقة البرجوازية وباهداف برجوازية في آخر المطاف .

وهكذا اخذت البرجوازية الصاعدة – ولا سيما في البلدان البروتستانتية حيث تزعزع النظام القائم اكثر مما في البلدان الاخرى – تعترف اكثر فاكثر ، بحرية اجراء العقد فيما يتعلق بالزواج ايضاً ، وتمارس هذه الحرية بالطريقة الموصوفة اعلاه . لقد ظل الزواج زواجاً طبقياً ، ولكن الطرفين المعنيين نالا في حدود طبقتهما حرية معينة في الاختيار . وعلى الورق ، في الاخلاق النظرية وفي الوصف الشعري ، لم يقرر اي مبدأ بنحو أثبت وأرسخ من

www.kassioun.org

المبدأ القائـل بلاأخلاقيـة كـل زواج لا يقـوم على الحب الجنسي المتبادل وعلى موافقة الزوجين الحرة حقاً وفعلا . وبكلمة ، نودي بزواج الحب من حق الانسـان ، وليس فقط من droit de l'homme* ، بـل ايضاً وعلى سبيـل الاستثنـاء من droit de la femme** .

ولكن حق الانسـان هذا كان يختلف من ناحيـة عن جميع الحقوق الاخرى المسماة بحقوق الانسان . وبما ان هذه الحقوق لم تشمل في الواقع غير الطبقة السائدة ، ـ الطبقة البرجوازية ، ـ ولم تطبق مباشرة او بصورة غير مباشرة بالنسبة للطبقة المظلومة ، ـ البروليتاريا ، ـ فان سخرية التاريخ تبرز هنا من جديد . فان الطبقة السائدة لا تزال خاضعة لسلطان مؤثرات اقتصادية معينة ، ولهذا لا تقـع في بيئتها زواجـات معقودة فعلا بحريـة الا بصورة استثنائية ، بينا هذه الزواجات ، كما رأينا ، هي القاعدة في بيئة الطبقة المظلومة .

وعليه ، لا يمكن للحرية التامة في عقد الزواج ان تتحقق بصورة تامة وعامة الا بعد ان يقضي الغـاء الانتاج الرأسمـالي وعلاقات الملكيـة التي خلقها الانتاج الرأسمـالي ، على جميع الاعتبارات الثانوية ، الاقتصادية ، التي لا تزال تؤثر الآن تأثيراً كبيراً في اختيـار الزوج والزوجة . وآنذاك لن يبقى اي دافـع غير دافع الميل المتبادل .

وبما ان الحب الجنسي هو بطبيعته حب فردي صرف لا منازع فيه ، ـ مع انه لا يراعيه الآن بطبيعته هذه غير المرأة ، ـ فان

---

* بالفرنسية في النص الاصلي . وهنـا ، لعب على الكلام . فان تعبير droit de l'homme يعني «حق الانسان» وكذلك «حق الرجل» . **الناشر** .

** حق المراة . **الناشر** .

www.kassioun.org

الزواج القائم على الحب الجنسي هو اذن ، بطبيعته ، زواج احادي . ولقد رأينا كم كان باهوفن على حق حينما اعتبر الانتقال من الزواج الجماعي الى الزواج الاحادي خطوة تقدمية قامت بها النساء اساساً . الا ان الخطوة التالية من الزواج الثنائي الى احادية الزواج كانت هي وحدها من صنع الرجال . ومن حيث جوهر الامر ، ادت هذه الخطوة تاريخياً الى تردى وضع المرأة والى تسهيل الخيانة الزوجية من جانب الرجال . ولذا ، ما ان تزول الاعتبارات الاقتصادية التي كانت النساء يحتملن بسببها هذه الخيانة العادية الأليفة من جانب الرجال (الاهتمام بمعيشتهن بالذات ولا سيما بمستقبل اولادهن) ، حتى تؤدي مساواة المرأة في الحقوق ، المحققة بفضل ذلك ، الى الامر التالي ، اذا اخذنا بالحسبان كل الخبرة السابقة ، وهو انها ستيسر حقاً وفعلا احادية الزواج عند الرجال اكثر الى ما لا حد له مما تيسر تعدد الازواج عند النساء .

ولكنه في هذه الحال ستزول بكل تاكيد من احادية الزواج تلك السمات المميزة التي طبعها بها نشوؤها من علاقات الملكية ؛ وهذه السمات هي ، اولا ، سيادة الرجل ، وثانياً ، استحالة فسخ الزواج . ان سيادة الرجل في الزواج هي مجـــرد نتيجة لسيادتـه الاقتصادية ، وستزول من تلقـــاء ذاتها مع هذه الاخيرة . امـــا استحالة فسخ الزواج ، فهي جزئياً عاقبة للظروف الاقتصادية التي نشأت في ظلها احادية الزواج ، وجزئياً تقليد من ذلك الزمن الذي لم تكن قد فهمت فيه بعد الصلة بين هذه الظروف الاقتصادية واحادية الزواج فهماً صحيحاً والذي كان فيـــه الدين يفسر هذه الصلة تفسيراً مشوهاً . الا ان استحالة فسخ الزواج الاستحالة الظاهرية تُنتهك في الوقت الحاضر في آلاف الاحوال . واذا كان الزواج القائم على الحب هو وحده الزواج الاخلاقي ، فانه وحده يبقى كذلك ما دام الحب قائماً . ولكن مدة شعور الحب الجنسي

www.kassioun.org

الفردي تختلف كثيراً باختلاف الافراد ، ولا سيما عند الرجال ، وحين يستنفد كلياً او يحل محلـــه حب متأجج جديد ، يغدو الطلاق عمل خير سواء بالنسبة للطرفين ام بالنسبة للمجتمع . ولكنه ينبغي فقط تجنيب الناس ضرورة الغوص في وحل دعوى الطلاق .

ولذا ، ان ما يمكننا ان نفترضه الآن فيمـــا يتعلق باشكال العلاقات بين الجنسين بعد القضاء العتيد على الانتاج الرأسمالي ، يتسم على الاغلب بطابع سلبي ، ويقتصر في اكثرية الاحوال على ما سيزول . ولكن اي عناصر ستحل محل العناصر الزائلة ؟ ان هذا سيتقرر عندما ينمو الجيل الجديد ، اي جيل من رجال لن يتأتى لهم ابداً في الحياة ان يشتروا المرأة بالمـــال او بوسائل اجتماعية اخرى من وسائل السلطة ، وجيل من نساء لن يتأتى لهن ابداً في الحياة ان يستسلمن لرجل بدوافع غير دافع الحب الحقيقي ، او ان يمتنعن عن معاشرة الرجل المحبوب ، خوفـــاً من العواقب الاقتصادية . وحين يظهر هؤلاء الناس ، فانهم لن يأبهوا ابداً لما ينبغي عليهم ان يفعلوا حسب الاعتبارات الحالية ؛ فانهم سيعرفون بانفسهم ما ينبغي عليهم ان يفعلوه ، وسيرسمون وفقاً لذلك رأيهم العام في سلوك كل فرد بمفرده ، وهذا كل ما في الامر .

ولكن لنعد الى مورغان الذي ابتعدنا عنه كثيراً . ان دراسة المؤسسات الاجتماعية التي تطورت في مرحلة الحضارة دراسة تاريخية تتجاوز نطاق كتابه . ولهذا لا يتناول الا بايجاز مصير احادية الزواج في سياق هذه المرحلة . وهو يرى كذلك في تطور العائلة الاحادية الزواج تقدماً ، خطوة نحو المساواة التامـــة في الحقوق بين الجنسين ، بيد انه لا يعتبر انه تم بلوغ هذا الهدف . ولكن ، كما يقول ، ـ

www.kassioun.org

«اذا اعترفنا بان العائلة قد مرت على التوالي باربعة اشكال وبانها الآن تمر بالشكل الخامس ، واجهنا السؤال التالي : هل يمكن لهذا الشكل ان يدوم زمناً طويلا في المستقبل ؟ الجواب الممكن واحد وحيد ، وهو انه لا بدّ لهذا الشكل ان يتطور بقدر ما يتطور المجتمع ، ويتغير بقدر ما يتغير المجتمع ، مثلما كان الحال فيما مضى . وبما انه نتاج نظام اجتماعي معين ، فانه سيعكس حالة تطوره . وبما ان العائلة الاحادية الزواج قد ترقت منذ بداية عصر الحضارة ولا سيما في العصر الحديث ، ففي الوسع الافتراض ، على الاقل ، ان بمقدورها ان تترقى مستقبلا ، الى ان تتحقق المساواة بين الجنسين . اما اذا تبين في مستقبل بعيد ان العائلة الاحادية الزواج غير قادرة على تلبية حاجات المجتمع ، فمن المستحيل التنبؤ سلفاً بطابع العائلة التي ستليها» (٧٩) .

٣

عشيرة الايروكوا

ننتقل الآن الى اكتشاف آخر لمورغان يتسم على الاقل بنفس القدر من الاهمية الذي يتسم به بعث الشكل البدائي للعائلة على اساس انظمة القرابة . فقد أثبت مورغان ان جماعات الاقرباء بالدم ، المسماة باسماء الحيوانات ، في داخل قبيلة من الهنود الحمر الاميركيين ، مماثلة من حيث الجوهر ا genea اليونانيين وا gentes الرومانيين ؛ وان الشكل الاميركي هو الشكل الاولي ، وان الشكل اليوناني الروماني هو الشكل اللاحق ، المشتق ؛ وان لتنظيم اليونانيين والرومانيين الاجتماعي كله في الازمنة البدائية في عشيرة و«فراترية» phratria وقبيلة ، مقابلا دقيقاً في تنظيم الهنود الحمر الاميركيين ؛ وان العشيرة هي (بقدر ما تسمح لنا مصادرنا الحالية بالحكم عليها) مؤسسة مشتركة بين

www.kassioun.org

جميع الشعوب حتى دخولها في عهد الحضارة بلـــه في مرحلـــة لاحقة . ان هذا البرهان قد اوضح على الفور اصعب اقسام التاريخ اليوناني والروماني واعطانا في الوقت نفسه تفسيراً غير متوقـــع للسمات الاساسية للنظام الاجتماعي في الازمنة البدائية ، قبل نشوء **الدولة** . ومهما بدا هذا الاكتشاف بسيطـــاً بعد الاطلاع عليه ومعرفته ، فان مورغان لم يكتشفه مع ذلك الا في الآونة الاخيرة ؛ ففي كتابه السابق الذي صدر في عام ١٨٧١ (٨٠) ، لم يكن قد تسرب بعد الى هذا السر الذي اجبر اكتشافه مذ ذاك الخبراء الانجليز في التاريخ البدائي ، الواثقين عادة فائق الثقـــة بانفسهم ، على لزوم الصمت فترة من الوقت .

ان الكلمة اللاتينيـــة gens («جنس») التي يستعملهـــا مورغان في كل مكان ليعني بها هذه الجماعة العشيرية ، تتحدر ، مثلها مثل الكلمة اليونانية المناسبة genos ، من الاصل الآري الواحد gan (بالالمانية kan ، اذ أن الحرف الآري g يتحول حسب القاعدة العامة في الالمانية الى k) الذي يعني «ولد» ، «نسل» . ان gens ، genos ، و dschanas السنسكريتية و kuni الغوطيـــة (بموجب القاعدة المذكورة آنفاً) ، و kyn السكانديناقية القديمة والانجلوسكسونية ، و kin الانجليزية ، و künne بالالمانيـــة العليا الوسطى ، تعني جميعها «نسب» ، «اصل» . ولكن gens اللاتينية و genos اليونانية تستعملان خصيصاً لتسمية جماعـــة عشيرية تعتز باصلها المشترك (وهنا ، من جد واحد مشترك) وتشكل بحكم مؤسسات اجتماعية ودينية معينة ، جماعة خاصة متميزة لا يزال اصلها وطبيعتها مع ذلك غير واضحين حتى الآن بالنسبة لجميع مؤرخينا .

وقد سبق ورأينا ، عند دراسة العائلة البونالوانيـــة ، تركيب العشيرة بشكلها الاولي ، البدائي ؛ فهي تتألف من جميع

www.kassioun.org

الاشخاص الذين يشكلون ، عن طريق الزواج البونالواني وبموجب التصورات السائدة حتماً في ظل هذا الزواج ، الذرية المعترف بها لجدة واحدة معينة ، هي مؤسسة العشيرة . وبما انه لا تمكن في ظل هذا الشكل للعائلة معرفة الاب بدقة وثبوت ، فلا يؤخذ بالحسبان الا خط المرأة ، حبل النسل النسائي . وبما انه لا يحق للاخوة ان يتزوجوا اخواتهم ، وبما انه لا يحق لهم ان يتزوجوا الا من نساء من اصل آخر ، من خط آخر ، فان الاولاد الذين تلدهم هؤلاء النساء الغريبات عنهم يكونون ، بحكم الحق الامي ، خارج العشيرة المعنية . ولذا لا يبقى داخل الجماعة العشيرية غير اخلاف **بنات** كل جيل ؛ اما اخلاف الابناء فانهم ينتقلون الى عشائر امهاتهم . وماذا يحدث لهذه الجماعة من اقرباء الدم بعد ان تتشكل في جماعة خاصة ، متميزة ، بالنسبة للجماعات المماثلة الاخرى في داخل القبيلة ؟

ويأخذ مورغان العشيرة عند الايروكوا ، وعلى الاخص عند قبيلة «سينيكا» كشكل كلاسيكي لهذه العشيرة البدائية . ففي هذه القبيلة توجد ثماني عشائر مسماة باسماء حيوانات : ١ ـ الذئب ؛ ٢ ـ الدب ؛ ٣ ـ السلحفاة ؛ ٤ ـ القندس ؛ ٥ ـ الايل ؛ ٦ ـ دجاجة الارض ؛ ٧ ـ مالك الحزين ؛ ٨ ـ الصقر . ولكل عشيرة العادات التالية :

١ ـ تنتخب العشيرة «ساخماً» sachem (شيخاً في زمن السلم) وزعيماً (قائداً عسكرياً) . وكان ينبغي انتخاب «الساخم» من قوام العشيرة بالذات ؛ وكانت وظيفته تنتقل بالوراثة داخل العشيرة ، لانه كان ينبغي ، في حال فراغها ، املاؤها من جديد على الفور . وكان يمكن انتخاب القائد العسكري من غير اعضاء العشيرة ايضاً ، وكان يمكن احياناً الاستغناء عنه تماماً . وكان ابن «الساخم» السابق لا يُنتخب ابداً «ساخماً» ، لان الحق

www.kassioun.org

الامي كان السائد عند الايروكوا ، ولان الابن كان بالتالي ينتسب الى عشيرة اخرى ؛ ولكن اخ «الساخم» السابق او ابن اخته هو الذي كان يُنتخب في احيان كثيرة . وكان الجميع ، رجالا ونساء ، يشتركون في الانتخابات . ولكن الاختيار كان يخضع لمصادقة العشائر السبع الاخرى ، وبعد هذا فقط كان المختار يُنَصَّب باحتفال في وظيفته من قبل المجلس المشترك لاتحاد الايروكوا العام . وفيما يلي من البحث ، ستتضح اهمية هذا الواقع . فقد كانت سلطة «الساخم» داخل العشيرة سلطة ابوية ، ذات طابع معنوي صرف ؛ ولم تكن لديه اي وسائل للاكراه . وفضلا عن ذلك كان بحكم وظيفته عضواً في مجلس قبيلة «سينيكا» وعضواً في المجلس المشترك لاتحاد الايروكوا العام . ولم يكن بوسع الزعيم العسكري ان يصدر الاوامر الا في زمن الحملات الحربية .

٢ ــ تقيل العشيرة بملء ارادتها «الساخم» والزعيم العسكري . وهذا الامر ايضاً يقرره الرجال والنساء معاً . وبعد الاقالة ، يصبح المقالون محاربين عاديين ، افراداً عاديين ، مثلهم مثل الآخرين . ومن جهة اخرى ، يستطيع مجلس القبيلة ايضاً ان يقيل «الساخم» حتى رغم ارادة العشيرة .

٣ ــ لا يحق لاي من اعضاء العشيرة ان يتزوج في داخل العشيرة . وهذه هي القاعدة الاساسية في العشيرة ، والعروة التي تشد لحمتها ؛ وهي تعبير سلبي عن تلك القرابة بالدم المحددة تماماً والتي هي وحدها تجعل من الافراد الذين تشملهم عشيرة . وباكتشاف هذا الواقع البسيط ، اكتشف مورغان للمرة الاولى جوهر العشيرة . اما ما اقل ما كانوا يفهمون قبل ذاك هذا الجوهر ، فتبينه القصص السابقة عن المتوحشين والبرابرة حيث المجموعات التي تشكل عناصر العشيرة تختلط بدون تفهم وتمييز تحت اسماء : قبيلة و«كلان» و«توم» thum ، الخ . ،

www.kassioun.org

وحيث يقال احياناً كثيرة ان الزواج ممنوع داخل هذه او تلك من هذه المجموعات . وهذا ما خلق ذلك التشوش المستعصي الذي استطاع السيد ماك‌ـلينان ان يقوم فيه بدور نابليون لكي يبسط النظام بحكم مبرم : جميع القبائل تنقسم الى قبائل الزواج ممنوع في داخلها (القبائل الخارجية الزواج) والى قبائل الزواج مسموح في داخلها (القبائل الداخلية الزواج) . وبعد تشويش المسألة على هذا النحو ، انصرف الى ابحاث في منتهى العمق ليعرف ايا من هاتين المقولتين السخيفتين اقدم عهداً ، مقولة الزواج الخارجي ام مقولة الزواج الداخلي . وقد تبددت هذه السخافة من تلقاء ذاتها عند اكتشاف العشيرة القائمة على قرابة الدم وعند اكتشاف استحالة الزواج بين اعضاء العشيرة بسبب هذه القرابة ــ وبديهي ان تحريم الزواج داخل العشيرة في الطور الذي نجد فيه الايروكوا لا يزال ساري المفعول بكل صرامة .

٤ ــ كانت اموال الموتى تنتقل الى اعضاء العشيرة الباقين ، وكان ينبغي ان تبقى داخل العشيرة . وبما ان الاشياء التي كان يمكن ان يخلفها الايروكي بعد موته زهيدة جداً ، فــان اقرب اقربائه كانوا يتقاسمونها فيما بينهم ؛ فاذا توفي رجل ، تقاسم التركة اخوته واخواته من امه وخاله ؛ واذا توفيت امرأة ، تقاسم التركة اولادها واخواتها من امها ، دون اخوتها . وللسبب نفسه ، لم يكن بامكان الزوج والزوجة ان يرث احدهمــا الآخر ؛ وكذلك لم يكن بامكان الاولاد ان يرثوا اباهم .

٥ ــ كان اعضاء العشيرة ملزمين بعضهم حيال بعض بتقديم المساعدة والحماية ولا سيما بالمساهمة في اخذ الثأر عن اذى الحقه الغير . وكان كل فرد يتكل على حمايــة العشيرة فيمــا يتعلق بضمان امنه وسلامته ، وكان بوسعه الاعتماد عليها ؛ فان من كان يؤذيه انما كان يؤذي بالتالي العشيرة بأسرها . ومن هنــا ، من

www.kassioun.org

روابط الدم في العشيرة ، نشأ واجب اخذ الثأر ، الذي كان يعترف به الايروكوا بلا قيد ولا شرط . فـــاذا قتل عضو من العشيرة شخصاً من عشيرة اخرى ، فان كل عشيرة القتيل كانت ملزمـــة بأخذ الثأر . في البدء كانت تجري محاولة للصلح . فان مجلس عشيرة القاتل كان يجتمع ويعرض على مجلس عشيرة القتيل انهاء المشكلة حبياً ، معرباً في معظم الاحيان عن اسفه ومقدماً هديـــة كبيرة . فاذا قبل العرض ، اعتبر الخلاف مفضوضاً ، والا ، فان العشيرة المتضررة كانت تعين شخصاً او عدة اشخاص من اجل الانتقام ، وكان هؤلاء ملزمين بان يتتبعوا القاتل ويقتلوه . واذا تم ذلك ، فلم يكن يحق لعشيرة هذا الاخير ان تتشكى وتطالب ؛ وكان الخلاف يعتبر مفضوضاً .

٦ ــ تملك العشيرة اسماء معينة او مجموعات من الاسماء لا يحق لغيرها في القبيلة كلها ان يستعملها ؛ وهكذا كان اسم كل فرد بمفرده يبين كذلك العشيرة التي ينتســـب اليهـــا . وكان كل اسم مقروتـــاً بالضرورة بحقوق العشيرة التي يخصهـــا هذا الاسم .

٧ ــ بوسع العشيرة ان تتبنى اغراباً ، وان تقبلهم بالتالي كاعضاء في القبيلة بأسرها . وعليـــه كان اسرى الحـــرب الذين لا يقتلونهم يصبحون ، بحكم تبنيهم في عشيرة ما ، اعضـــاء في قبيلة سينيكا وينالون بالتالي جميع حقوق العشيرة والقبيلـــة . وكان التبني يجري باقتراح من مختلف اعضاء العشيرة ؛ باقتراح من الرجال الذين يأخذون الغريب كأخ او اخت ، او باقتراح من النساء اللواتي يأخذن الغريب كابن ؛ وللمصادقـــة على التبني ، كان ينبغي اقامة احتفال خاص بالقبول في العشيرة . وفي كثير من الاحيان ، كانت بعض العشائر المستضعفة لاسباب قاهرة تقوى على هذا النحو عدداً بتبني اعضاء عشيرة اخرى بالجملة ، بموافقة

www.kassioun.org

عنده العشيرة الاخيرة . وعند الايروكوا ، كان القبول الاحتفالي في العشيرة يجري اثناء جلسة علنية لمجلس القبيلة ، الامر الذي كان يحوّل عملياً هذا الاجراء الى احتفال ديني .

٨ ــ من العسير تقديم البرهان على وجود احتفالات دينيـــة خاصة عند عشائر الهنود الحمر ؛ ولكن احتفالات الهنود الحمر الدينيـــة ترتبط الى هذا الحد او ذاك بالعشيرة . وفي اعيـــاد الايروكوا الدينية السنوية الستة ، كان «الساخمات» والقـــادة العسكريون في كل عشيرة يعتبرون ، بحكم وظائفهم ، من عداد «حراس الايمان» ويقومون بوظائف الكهان .

٩ ــ تملك العشيرة مدفناً مشتركاً . وقد زال هذا المدفن الآن عند الايروكوا بولاية نيويورك الذين يضيق عليهم البيض من جميع الجهات ؛ ولكنه كان موجوداً من قبل . وهو لا يزال موجوداً عند الهنود الحمر الآخرين ، ومنهم مثلا اقرباء الايروكوا ، التوسكارورا ؛ فعند هؤلاء في المدفن ، رغم انهـــم مسيحيون ، صف خاص بكل عشيرة ، بحيث انهـــم يدفنون الام ، لا الاب ، قـرب الاولاد في صف واحـــد . ناهيك بـــان كل عشيرة المتوفى عند الايروكوا تشترك في الدفن وتعنى بالمدفن وكلمـــات التابين ، الخ . .

١٠ ــ للعشيرة مجلس هو عبارة عن جمعية ديموقراطيـــة لجميع اعضاء العشيرة الراشدين ، رجالا ونساء ؛ ولجميعهم الحق نفسه في التصويت . كان هذا المجلس ينتخب ويقيل «الساخمات» والقادة العسكريين ، وكذلك «حراس الايمان» الآخرين . وكان المجلس يتخذ القرارات بشأن فديـــة (vergeld ، ثمن الدم) او اخذ ثار القتلى من اعضـــاء العشيرة ؛ وكان يقبل الاغراب في قوام العشيرة . وبكلمة ، كان المجلس السلطة العليا في العشيرة .

www.kassioun.org

هذه هي وظائف العشيرة النموذجية من الهنود الحمر .

«جميع اعضائها اناس احرار وملزمون بحماية حرية بعضهم بعضا ، ومتساوون في الحقوق الشخصية ـ فلا «الساخمـــات» ولا القادة العسكريون يدعون باي افضليات . وهم يشكلون اخوية تشد لحمتها روابط الدم . ان الحرية والمساواة والاخوة كانت المبادئ الاساسية في العشيرة ، رغم انها لم تتبلور يوماً في صيغة معينة ، وكانت العشيرة بدورها وحدة نظـام اجتماعي كامل واساس مجتمع الهنود الحمر المنظم . وهذا ما يفسر الشعور الثابـت الذي لا يلين بالاستقلال وبالكرامة الشخصية ، ذلك الشعور الذي يعترف به كل امرئ للهنود الحمر» (٨١) .

في عهد اكتشاف اميركا ، كان الهنود الحمر في عمـوم اميركا الشمالية منظمين في عشائر حسب الحق الامي . الا في بعض القبائل ، كقبيلة داكوتا ، مثلا ، كانت العشائر قد زالت ، وكانت عند بعضها الآخر ، كما عند قبيلتي اودجيبفه واوماها ، منظمة حسب الحق الابوي .

وعند عدد كبير جداً من قبائل الهنود الحمر التي تضم كـل منها خمس او ست عشائر ، نجد ثلاث او اربع عشائر او اكثر متجمعة في جماعة خاصة يسميها مورغان فراترية phratria (اخوية fraternité) ، مترجماً اسمها الهندي بكل امانة الى مقابله اليوناني . فعند قبيلـة سينيـــكا ، مثلا ، فراتريتان (اخويتان) ؛ الفراترية الاولى تضم العشائر ١ ــ ٤ والفراتريـــة الثانيـــة تضم العشائر ٥ ــ ٨ . وقد بين المزيد من البحث والدراسة ان هاتين الفراتريتين تمثلان في معظم الحالات العشائر الاولية التي انقسمـت اليها القبيلة للمرة الاولى . لانه كان ينبغي بالضرورة على كل قبيلة ان تشمل عشيرتين على الاقل لكي تتمكن من العيش بصورة مستقلة، لان الزواج كان ممنوعاً داخـل العشيرة . وبقدر ما كانت القبيلـــة تنمو ، كانت كل عشيرة تنقسم بدورها الى عشيرتين او اكثر كانت

www.kassioun.org

كل منها تظهر بانها عشيرة مستقلة ، بينا العشيرة الاولية التي تشمل جميع العشائر البنات تظل قائمة بوصفها فراترية . وعند قبيلة سينيكا واغلبية الهنود الحمر الاخرين ، تعتبر عشائر فراترية واحدة عشائر شقيقة ، بينا عشائر الفراترية الاخرى تعتبر بالنسبة لها عشائر شقيقة من الدرجة الثانية ، ـ وهذه تعابير لها في نظام القرابة الاميركي ، كما سبق ورأينا ، معنى فعلياً جداً وواسع الدلالة. ففي البدء ، لم يكن بوسع اي عضو من قبيلة سينيكا ان يتزوج في داخل فراتريته ، ولكن هذه العادة زالت من زمان بعيد ، ولا يسري مفعولها الا ضمن العشيرة . وتقول اساطير قبيلة سينيكا ان عشيرتي «الدب» و «الايل» كانتا العشيرتين الاوليين اللتين تحدرت منهما العشائر الاخرى . وما ان رسخ هذا التنظيم الجديد ، حتى اخذ يتغير حسب الحاجة ؛ فاذا اندثرت عشائر فراترية من الفراتريات ، كانت عشائر بكاملها تنتقل اليها ، على سبيل التعويض ، في كثير من الاحيان ، من فراتريات اخرى . ولهذا نرى عند مختلف القبائل عشائر بالاسماء نفسها ، متجمعة بصور مختلفة في فراتريات .

ان وظائف الفراتريات عند الايروكوا هي اجتماعية جزئياً ودينية جزئياً . ـ ١ ـ تلعب الفراتريات في الكرة احداها ضد الاخرى . وكل فراترية تنتدب خيرة لاعبيها ، بينا الباقون يشاهدون اللعب ، كل فراترية في مكان خاص بها ، ويراهنون بعضهم بعضاً على انتصار لاعبيهم . ـ ٢ ـ في مجلس القبيلة ، يجلس ساخمات كل فراترية وقادتها العسكريون معاً ، جماعة مقابل جماعة ، وكل خطيب يخاطب ممثلي كل فراترية كانما يخاطب فئة خاصة ، متميزة . ـ ٣ ـ اذا وقعت في القبيلة جريمة قتل ، واذا كان القاتل والقتيل لا ينتسبان الى الفراترية ذاتها ، فان العشيرة المنكوبة كانت في كثير من الاحيان تستنجد بالعشائر

www.kassioun.org

الشقيقة ؛ وآنذاك كانت تعقد مجلس الفراترية وتطلب من الفراترية الاخرى ككل ان تعقد هذه الاخيرة بدورها مجلسها لاجل تسوية القضية . وهكذا تظهر الفراترية هنا من جديد بوصفها العشيرة الاولية ، البدائية ، ـ وعلى هذا النحو كانت احتمالات النجاح تتوفر للفراترية اكثر مما للعشيرة المنفردة ، الضعيفة ، المتحدرة منها . ـ ٤ ـ في حال وفاة الاشخاص البارزين ، كانت الفراترية المقابلة تاخذ على عاتقها امر الاهتمام بالدفن ومراسم الجنازة ، بينا كان اعضاء فراترية المتوفى يشتركون في الدفن بوصفهم اقارب الراحل . واذا توفي «الساخم» ، كانت الفراترية المقابلة تنبىء مجلس الايروكوا الاتحادي بفراغ المنصب . ـ ٥ ـ وعند انتخاب «الساخم» كان مجلس الفراترية يدخل الحلبة ايضا . فقد كانت مصادقة العشائر الشقيقة على الانتخاب تعتبر بمثابة امر بديهي ، ولكنه كان بوسع عشائر الفراترية الاخرى تقديم اعتراض . وفي هذه الحالة ، كان مجلس هذه الفراترية ينعقد . فاذا اعتبر الاعتراض صحيحا ، فان الانتخاب يصبح باطلا لا مفعول له . ـ ٦ ـ من قبل ، كان عند الايروكوا اسرار دينية خاصة سماها البيض médicine-lodges*. وهذه الاسرار الدينية كانت تحتفل بها عند قبيلة سينيكا اخويتان دينيتان تتبعان قواعد خاصة لاشراك الاعضاء الجدد في معرفة هذه الاسرار . وكان لكل فراترية من الاثنتين اخوية واحدة . ـ ٧ ـ واذا كانت الـ lineages (الاسباط) الاربعة التي كانت تسكن احياء تلاسخالا الاربعة في زمن الفتح (٨٢) اربع فراتريات ، ـ وهذا امر لا ريب فيه تقريبا ، ـ فان هذا يثبت ان الفراتريات كانت في الوقت نفسه وحدات عسكرية ، شانها شان الفراتريات عند اليونانيين وشان جماعات عشيرية مماثلة عند

---

* ـ المحافل السحرية . الناشر .

www.kassioun.org

الجرمان . وهذه الـ lineages الاربعة كانت تدخل المعركة كل منها كفصيلة خاصة متميزة لها لباسها الخاص ورايتها الخاصة ، وتحت امرة زعيمها الخاص .

وكما ان بضع عشائر تؤلف فراترية ، كذلك تؤلف بضع فراتريات قبيلة ، اذا اخذنا بالحسبان الشكل الكلاسيكي . وفي بعض الحالات ، لا توجد عند القبائل المستضعفة جداً الحلقة الوسطية ، اي الفراترية . فما الذي يميز اذن قبيلة الهنود الحمر في اميركا ؟

١ ـ الارض الخاصة والاسم الخاص . فكل قبيلة كانت تملك ، عدا مكان اقامتها الفصلي ، منطقة كبيرة من الارض لاجل الصيد البري والمائي . وفيما وراء حدود هذه المنطقة كان يقع قطاع حيادي شاسع يمتد حتى حدود ارض اقرب قبيلة ؛ وكان هذا القطاع اضيق بين القبائل التي تتكلم بلغات متقاربة ، واوسع بين القبائل التي تتكلم بلغات مختلفة . ان هذا القطاع هو مثل الغابة ـ الحد عند الجرمان ، والربع الخالي الذي كان suèves (سويف) القيصر ينشئونه حول ارضهم ، و îsarnholt (بالدانماركية jarnved, limes Danicus) بين الدانماركيين والجرمان ، والغاب الساكسوني و branibor (بالسلافية : «الغابة الحامية») ـ التي جاء منها اسم براندنبورغ ـ بين الجرمان والسلاف . وكانت المنطقة المحددة على هذا النحو بحدود غير واضحة تشكل بلد القبيلة العام المشترك ، وكانت القبائل المجاورة تعترف بها بهذه الصفة ، وكانت القبيلة المعنية تحميها من الاعتداءات . وفي معظم الاحيان ، لم يكن عدم وضوح الحدود يمسي في الواقع امراً مزعجاً الا عندما كان عدد السكان ينمو كثيراً جداً . ـ ويبدو ان اسماء القبائل كانت تنشأ في معظم الاحيان بفعل الصدفة اكثر مما كانت

www.kassioun.org

نتيجة اختيار مقصود . ومع مرور الزمن ، كان يحدث احياناً كثيرة ان تطلق القبائل المجاورة على القبيلة اسماً يختلف عن الاسم الذي اختارته هي لنفسها ، مثلما اطلق السلت على الالمان اسمهم المشترك الاول في التاريخ ، وهو اسم «الجرمان» .

٢ ـ **لهجة** dialecte خاصة تتميز بها هذه القبيلة وحدها . وفي الواقع تتطابق القبيلة واللهجة من حيث جوهر الامر . ان التشكل الجديد للقبائل واللهجات من جراء الانقسامات كان لا يزال يجري لامد قريب في اميركا ، ومن المؤكد انه لم يتوقف بعد كلياً الآن . وحيث كانت تندمج قبيلتان ضعفتا عددياً في قبيلة واحدة ، كان يحدث بصورة استثنائية ان يتكلموا في القبيلة نفسها بلهجتين متقاربتين جداً . ان متوسط عدد افراد كل من القبائل الاميركية اقل من ٢٠٠٠ شخص ؛ ولكن افراد قبيلة تشيروكي ٢٦٠٠٠ ، وهذا اكبر عدد من الهنود الحمر في اميركا يتكلمون بلهجة واحدة .

٣ ـ الحق في الاحتفال بتنصيب «الساخمات» والقادة العسكريين الذين انتخبتهم العشائر .

٤ ـ الحق في اقالتهم ، حتى رغم ارادة عشيرتهم . وبما ان هؤلاء الساخمات والقادة العسكريين هم اعضاء في مجلس القبيلة ، فان حقوق القبيلة هذه حيالهم تفسر نفسها بنفسها . وحيث كان يتشكل اتحاد من قبائل وحيث كانت جميع القبائل الداخلة فيه تتمثل في مجلس اتحادي ، كانت هذه الحقوق تتنقل الى هذا المجلس .

٥ ـ تصورات دينية مشتركة (ميثولوجيا) وطقوس دينية مشتركة .

«كان الهنود الحمر ، على طريقتهم البربرية ، شعباً دينياً» (٨٣) .

www.kassioun.org

ان ميثولوجيـــا الهنود الحمر لم تكن ابداً حتى الان موضع دراسة انتقاديـــة ؛ فقد كانوا يضفون على اغراض تصوراتهـــم الدينية ـ الارواح من كل شاكلة وطراز ـ سيماء بشرية ، ولكن الطور الادنى من البربريـــــة الذي كانوا قد بلغوه لا يعرف بعـــد التشخيصات الواضحة ، الملموسة ، المسماة بالاصنام . كانت تلك عبادة الطبيعة وعناصر تتطور نحو تعدد الآلهة . وكانت لمختلف القبائل اعياد منتظمـة مرفقـــة باشكال معينة من الطقوس ، هي الرقصات والالعاب . وكانت الرقصات على الاخص جزءاً جوهرياً لا يتجزأ من جميع الاحتفالات الدينية . وكانت كل قبيلة تحتفل باعيادها بمفردها .

٦ ـ مجلس القبيلة لبحث الشؤون المشتركـــة ، العامـــة . وكان يتألف من جميع الساخمات وجميع القادة العسكريين لمختلف العشائر ، اي من ممثليها الحقيقيين ، لانه كان يمكن دائماً اقالتهم . كان المجلس يعقد جلساته علناً ، محاطاً بسائر اعضاء القبيلـة ؛ وكان لهؤلاء الحق في الاشتراك في المناقشـــة وفي عرض آرائهـم . وكان المجلس هو الذي يقرر . وعلى العمـــوم ، كان في وســـع كل حاضر ان يعرب عن رأيـــه ، اذا ما رغب في ذلك . كمـــا كان في وسع النساء ايضـــاً عرض اعتباراتهن بواسطـــة الخطيب الذي ينتخبنه . وعند الايروكوا ، كان الاجمـاع ضرورياً لاتخـاذ القرار النهائي ، كما كان الحال في الماركات ـ المشاعات الالمانية لأجل حل بعض القضايا . وكانت صلاحيات مجلس القبيلة تشمل مثلا تسوية العلاقات مع القبائل الاخرى . وكان مجلس القبيلة يستقبل السفراء ويرســـل السفراء ، ويعلن الحرب ويعقد الصلح . واذا نشبـــت الحرب ، فقد كان المتطوعون هم الذين يخوضون غمارها على العموم. ومن حيث المبدأ ، كانت كل قبيلـــة تعتبر في حالة حرب مع كل قبيلة اخرى لم تعقد معها معاهدة صلح حسب الاصول . وفي معظم

www.kassioun.org

الاحوال ، كان المحاربون البارزون ينظمون بصورة فردية الحملات الحربية ضد الاعداء من هذا النوع ؛ فكانوا ينظمون الرقص الحربي، وكل من يشترك في هذا الرقص كان يصرح بالتالي بانضمامه الى الحملة وعلى الفور كانت الفصيلة تنتظم وتبدأ العمل . كذلك الدفاع عن الارض التي تخص القبيلة انما كان يتامن في معظم الاحوال بتعبئة المتطوعين . ودائماً كان ذهاب هذه الفصائل وعودتها من القتال مناسبة لاحتفالات عامة . ولم تكن ثمة حاجة الى موافقة مجلس القبيلة على مثل هذه الحملات ، ولم تكن هذه الموافقة موضع سؤال وعطاء . وهذا ما يشبه تماماً الحملات الحربية الخاصة التي كانت تقوم بها العصائب الجرمانية ، كما وصفها لنا تاقيطس (٨٤)؛ الا ان هذه العصائب اكتسبت عند الجرمان طابعاً اكثر دواماً ، وهي تشكل نواة ثابتة تنتظم في زمن السلم ويلتف حولها في زمن الحرب المتطوعون الآخرون . ونادراً ما كانت هذه الفصائل الحربية تضم عدداً كبيراً من الافراد ؛ فان اكبر حملات الهنود الحمر الحربية ، حتى على مسافات كبيرة ، كانت تقوم بها قوات حربية ضئيلة . واذا اتحد بعض من هذه الفصائل للقيام بمشروع كبير الى هذا الحد او ذاك ، فان كلا منها كانت لا تخضع الا لزعيمها بالذات ؛ اما وحدة خطة الحملة ، فقد كان يؤمنها ، بهذه الدرجة اوتلك ، مجلس هؤلاء الزعماء . وبهذه الطريقة ايضاً ، كان الالمان في اعالي الرين يخوضون غمار الحرب في القرن الرابع ، حسبما جاء في وصف اميان مرسيللان .

٧ ـ عند بعض القبائل ، نجد زعيماً اعلى ، صلاحياته مع ذلك ضئيلة جداً . وهو واحد من «الساخمات» ينبغي عليه ، في الاحوال التي تقتضي العمل الفوري ، ان يتخذ اجراءات موقتة الى ان يتمكن المجلس من الانعقاد ويتخذ القرار النهائي . وهنا نجد نموذجاً مسبقاً لموظف يتمتع بالسلطة التنفيذية ؛ ولكنه نموذج

www.kassioun.org

لا يزال في اوائل عهده ولم يتطور فيما بعد في معظم الاحوال . الا ان هذا ، كما سنرى فيما بعد ، قد ظهر في معظم الاحوال ، ان لم يكن دائماً ، نتيجة لتطور سلطة القائد العسكري الاعلى .

ان الاغلبية الساحقة من الهنود الحمر الاميركيين لم يتجاوزوا درجة الاتحاد في قبيلة . وكانت قبائلهم القليلة ، التي تفصلها بعضها عن بعض رقع عريضة جدا من الاراضى ، والتي اضعفتها الحروب الدائمة ، تشغل ، بعدد قليل من الناس ، ارحاباً شاسعة . وهنا وهناك كانت القبائل التي تجمع بينها صلات القربى تعقد الاتحادات بحكم ضرورة موقتة ؛ وكانت هذه الاتحادات تزول بزوال هذه الضرورة . ولكن القبائل التي كانت تجمع بينها اولا صلات القربى ، والتي تفرقت فيما بعد ، تجمعت من جديد في بعض المناطق في اتحادات دائمة ، وبذلك خطت الخطوة الاولى نحو تشكل الامم . وفي الولايات المتحدة نجد عند الايروكوا الشكل الاكثر تطوراً لاتحاد من هذا النوع . فان الايروكوا قد نزحوا من مكان اقامتهم في غربي نهر الميسيسيبي حيث كانوا يؤلفون ، حسب كل احتمال ، فرعاً من جماعة الداكوتا الكبيرة ، واقاموا بعد ترحلات طويلة في ولاية نيويورك الحالية ، وانقسموا الى خمس قبائل : سينيكا ، كايوغا ، اونونداغا ، اونيدا ، موهاوك . وكانوا يعيشون من صيد السمك والصيد البري والبستنة البدائية . وكانوا يسكنون في قرى تحميها الاسيجة الوتدية في معظم الاحوال . ولم يبلغ عددهم ابداً اكثر من ٢٠٠٠٠ شخص ؛ وكانت في جميع قبائلهم الخمس بعض عشائر مشتركة ؛ وكانوا يتكلمون بلهجات متقاربة جداً من لغة واحدة ، ويسكنون في رقعة متصلة من الارض جرى تقاسمها بين القبائل الخمس . وبما انهم كانوا قد استولوا على هذه الارض من زمن غير بعيد ، فان الاعمال المشتركة بين هذه القبائل الظافرة ضد القبائل المطرودة اصبحت ظاهرة طبيعية ومن

www.kassioun.org

حكم العادة . وعلى هذا النحو ، تكون في مستهل القرن الخامس عشر على ابعد حد ، «اتحاد ابدي» ــ اتحاد تعاهدي confédération ، احسّ بقواه الجديدة ، فاكتسب على الفور طابعاً هجومياً ، واستولى في اوج باسه ، حوالى عام ١٦٧٥ ، على رقعة كبيرة من الاراضي المحيطة به ، طارداً السكان من بعضها وفارضاً الجزية على سكان بعضها الآخر . ان اتحاد الايروكوا التعاهدي هو ارقى تنظيم اجتماعي توصل اليه الهنود الحمر قبل ان يتجاوزوا الدرجة الدنيا من البربرية (ما عدا ، بالتالي ، سكان المكسيك والمكسيك الجديدة (٨٥) والبيرو) . وفيما يلي سمات الاتحاد الاساسية :

١ ــ الاتحاد الابدي بين القبائل الخمس التي تجمع بينها قرابة الدم ، على اساس المساواة التامة والاستقلال في جميع الشؤون الداخلية للقبيلة . ان قرابة الدم هذه كانت تشكل الاساس الحقيقي للاتحاد . وكانت ثلاث من القبائل الخمس تسمى بالقبائل الابوية ، وكانت شقيقة فيما بينها . وكانت القبيلتان الباقيتان تسميان بالقبيلتين البنتين ، وكانتا شقيقتين فيما بينهما . وكانت ثلاث عشائر ــ هي اقدمها ــ لا تزال تتمثل باشخاص احياء في جميع القبائل الخمس ؛ وثلاث عشائر اخرى في ثلاث قبائل . وكان اعضاء كل من هذه العشائر جميعهم اخوة فيما بينهم في جميع القبائل الخمس . وكانت اللغة المشتركة ، التي لا تنطوي الا على فوارق في اللهجات ، تعبيراً عن الاصل المشترك وبرهاناً عليه .

٢ ــ كان المجلس الاتحادي ، المؤلف من ٥٠ «ساخماً» متساوين في المنزلة والسلطة ، هو هيئة الاتحاد . وكان هذا المجلس يتخذ القرارات النهائية في جميع شؤون الاتحاد .

٣ ــ عند تأليف الاتحاد ، جرى توزيع مناصب هؤلاء «الساخمات» الـ ٥٠ بين القبائل والعشائر ، بوصفهم قائمين بوظائف

www.kassioun.org

جديدة انشئت خصيصا لاغراض الاتحاد . وفي حال شغور المنصب ، كانت العشيرة المعنية تملأه من جلايد عن طريق الانتخاب . كذلك كان بوسع العشيرة ان تقيل « ساخمها » في اي وقت كان . ولكن تقليد المنصب كان من حق المجلس الاتحادي .

٤ ــ كان هؤلاء « الساخمات » الاتحاديون « ساخمات » ايضا في قبائلهم وكان يحق لهم الاشتراك والتصويت في مجلس القبيلة .

٥ ــ جميع قرارات المجلس الاتحادي كان ينبغي اتخاذها بالاجماع .

٦ ــ كان التصويت يجري في كل قبيلة بمفردها بحيث انه كان ينبغي على كل قبيلة وعلى جميع اعضاء المجلس في كل قبيلة ان يصوتوا بالاجماع لكي يعتبر القرار نافذ المفعول .

٧ ــ كان بوسع كل من مجالس القبائل الخمس دعوة المجلس الاتحادي الى الانعقاد ؛ ولكنه لم يكن بوسع المجلس الاتحادي ان ينعقد من تلقاء ذاته .

٨ ــ كانت الجلسات تجري بحضور الشعب المجتمع . وكان بوسع كل ايروكي ان يأخذ الكلام . ولكن المجلس وحده هو الذي كان يتخذ القرارات .

٩ ــ لم يكن للاتحاد اي رئيس ، لم يكن فيه اي شخص يرأس السلطة التنفيذية .

١٠ ــ ولكنه كان له زعيمان عسكريان اعليان يتمتعان بصلاحيات متساوية وسلطة متساوية (ملكان » عند السبرطيين ، قنصلان في روما) .

هذا هو النظام الاجتماعي الذي عاش الايروكوا في ظله اكثر من اربعمئة سنة ولا يزالون يعيشون في ظله حتى الآن . ولقد وصفت هذا النظام بالتفصيل ، حسبما وصفه مورغان لانه تسنح لنا الفرصة هنا لدراسة تنظيم مجتمع لم يعرف بعد **الدولة** . فان

www.kassioun.org

الدولة تفترض سلطة عامة خاصة منفصلة عن مجموع الافراد الذين تتالف منهم . وان موريز ، الذي يرى ، بدافع الغريزة الصادقة ، ان نظام «المارك» الالماني هو مؤسسة اجتماعية صرف تختلف اختلافاً جوهرياً عن الدولة ، رغم انها كانت بمعظمها فيما بعد اساساً للدولة ــ ان موريز يدرس في جميع مؤلفاته نشوء السلطة العامة تدريجياً من النظام البدائي «للمارك» والقرية والعائلة والمدينة ، والى جانبه (٨٦) . ومن مثال الهنود الحمر في اميركا الشمالية نرى كيف ان قبيلة واحدة موحدة في البدء تنتشر تدريجياً في قارة شاسعة ؛ وكيف ان القبائل تنقسم اقساماً وتتحول الى شعوب ، الى مجموعات كاملة من قبائل ؛ وكيف تتغير اللغات فلا تبقى مفهومة فيما بينها ، وليس هذا وحسب ، بل تفقد ايضاً كل اثر تقريباً لوحدتها الاولية ؛ وكيف ينقسم بعض العشائر داخل القبيلة الى عدة عشائر ، وكيف تبقى العشائر الامية القديمة بصورة «فراتريات» مع العلم ان اسماء هذه العشائر الاولية تبقى مع ذلك هي هي عند قبائل بعيدة بعضها عن بعض من حيث المكان ومنفصلة بعضها عن بعض من زمان بعيد ، ــ ان «الذئب» و «الدب» لا يزالان اسمين عشيريين عند اغلبية جميع قبائل الهنود الحمر . وجميع هذه القبائل يلازمها على العموم النظام الموصوف اعلاه ، مع فارق وحيد ، هو ان عدداً كبيراً منها لم يصل الى مرحلة الاتحاد بين القبائل التي تجمع بينها صلات القربى .

ولكننا نرى ايضاً ان نظام العشائر والفراتريات والقبائل كله يتطور بضرورة محتمة لا مناص منها تقريباً ، ــ لانها ضرورة طبيعية تماماً ــ من هذه الخلية الاجتماعية الاساسية التي هي العشيرة . فان هذه المجموعات الثلاث كلها ــ العشائر والفراتريات والقبائل ــ هي درجات مختلفة من قرابة الدم ، مع العلم ان كلا

www.kassioun.org

منها منطوية على نفسها وتصرف شؤونها بنفسها ، ولكنها كذلك بمثابة مكملة للاخرى . وان حلقة الشؤون التابعة لها تشمل مجمل شؤون الانسان العامة ، الاجتماعية ، في الطور الادنى من البربرية . ولهذا عندما نجد عند شعب من الشعوب العشيرة بوصفها الخلية الاجتماعية الاساسية ، ينبغي علينا ان نفتش عنده عن تنظيم قبلي يشبه التنظيم الموصوف هنا ؛ وحيث يتوفر ما يكفي من المصادر ، كما عند اليونانيين والرومانيين ، لا نجده وحسب ، بل نقتنع ايضاً بان المقارنة مع النظام الاجتماعي الاميركي ، حتى وان كانت المصادر لا تكفي ، تساعدنا في تفهم اصعب الشكوك والالغاز .

واي تنظيم عجيب هذا النظام العشائري مع كل سذاجته وبساطته ! فبدون جنود ودرك وشرطة ، بدون نبلاء وملوك وحكام ومدراء وقضاة ، بدون سجون ، بدون محاكمات ، يسير كل شيء حسب النظام المقرر . وجميع المنازعات والمخاصمات يحلها معاً اولئك الذين تمسهم ـ تحلها العشيرة او القبيلة ، او بعض العشائر فيما بينها ؛ ولا يظهر التهديد بالثار الا بوصفه الوسيلة الاخيرة ، الوسيلة التي نادراً ما تطبق ؛ وان عقوبة الاعدام عندنا ليست غير شكلها المتمدن الذي تلازمه جوانب المدنية ، الايجابية منها والسلبية على السواء . صحيح ان الشؤون العامة كانت اكثر بكثير مما هي عليه اليوم ـ فان الاقتصاد البيتي تديره مجموعة من العائلات بصورة مشتركة وعلى الاسس الشيوعية ، والارض ملك للقبيلة باسرها ، ما عدا قطع صغيرة توضع موقتاً تحت تصرف مختلف البيوت ـ الا اننا لا نجد اثراً لجهازنا الاداري المضخم والمعقد . وجميع الشؤون يحلها ذوو العلاقة بانفسهم ؛ وفي معظم الاحوال ، سوّت العادة المزمنة كل شيء سلفاً . ولا يمكن ان يكون ثمة فقراء ومعوزون ، لان الاقتصاد الشيوعي

www.kassioun.org

والعشيرة يعرفان واجباتهما حيال الشيوخ والمرضى ومشوهي الحرب . الجميع متساوون واحرار ، بمن فيهم النساء . ولا وجود بعد للعبيد ، ولا وجود بعد ، على العموم ، لاستعباد القبائل الغريبة . وعندما تغلب الايروكوا حوالى عام ١٦٥١ على قبيلة يري وعلى «الامة المحايدة» (٨٧) ، عرضوا عليهما الانضمام الى اتحادهم بحقوق متساوية . وعندما رفض المغلوبون هذا العرض ، عند ذاك فقط ، طردوهم من ارضهم . اما اي رجال ونساء يلدهم مثل هذا المجتمع ، فهذا ما يبرهنه جميع البيض الذين عرفوا هنوداً حمراً غير مفسودين باعجابهم بما يتصف به هؤلاء البرابرة من شعور بالكرامة الشخصية ، واستقامة ، وقوة طبع ، وبسالة وجرأة .

ومنذ وقت غير بعيد رأينا امثلة على هذه البسالة في افريقيا . فان الكفر-الزولو ، منذ بضعة اعوام ، مثلهم مثل النوبيين ، منذ بضعة اشهر — وهم قبيلتان لم تندثر بعد عندهما المؤسسات العشائرية — قد فعلوا ما لا يستطيع فعله اي جيش اوروبي (٨٨) . كانوا مسلحين بالرماح والمزاريق فقط ، ولا يملكون اي سلاح ناري ، ومع ذلك كانوا ، تحت وابل من رصاص البنادق السريعة الطلقات لدى المشاة البريطانيين — الذين يعتبرهم الجميع الاوائل في العالم في القتال صفوفاً — يسيرون الى امام حتى حراب المشاة البريطانيين ، ويزعزعون صفوفهم اكثر من مرة ، بل كانوا يدحرونهم ، رغم التفاوت الهائل في الاسلحة ، ورغم انهم يجهلون الخدمة العسكرية ولا يعرفون ما هو التدريب العسكري . اما ما يستطيعون احتماله واداءه ، فيشهد عليه الانجليز انفسهم حين يتذمرون من ان الكفر-الزولو يقطع في يوم واحد اكثر مما يقطعه الحصان ، وبصورة أسرع . ان اصغر عضلاته قوي كالفولاذ ، ويبرز مثل سير مجدول ، كما قال رسام انجليزي .

www.kassioun.org

هكذا كان الناس والمجتمع البشري قبل ان يحدث الانقسام الى طبقات مختلفة . واذا اجرينا مقارنة بين وضعهم ووضع الاغلبية الهائلة من الناس المتمدنين المعاصرين ، فان الفرق بين البروليتاري الحالي او الفلاح الصغير وبين عضو العشيرة الحر السابق يبدو هائلاً .

هذا جانب من المسألة . ولكن لا ننس ان هذا التنظيم كان مكتوباً له الزوال . فانه لم يتخط نطاق القبيلة . ان تشكيل اتحاد القبائل كان يعني بداية تفسخ هذا التنظيم ، كما سنرى فيما بعد ، وكما رأينا في محاولات الايروكوا لاستعباد القبائل الاخرى . فكل ما كان خارج القبيلة كان خارج القانون . وحيث لم تكن معاهدة صلح معقودة حسب الاصول ، كانت الحرب تسود بين القبائل ، وكانت هذه الحرب تخاض بالقساوة التي تميز الانسان عن الحيوانات الاخرى والتي لم تخف حدتها الا فيما بعد بتأثير المصالح المادية . ان النظام العشائري في اوجه ، كما رأيناه في اميركا ، كان يفترض انتاجاً بدائياً جداً ، وبالتالي ، سكاناً قليلين جداً مبعثرين في رقعة شاسعة من الارض ، ومن هنا خضوع الانسان خضوعاً تاماً تقريباً للطبيعة المحيطة به التي تقابله بالعداء والتي لا يفهمها ، الامر الذي ينعكس في تصوراته الدينية الساذجة الطفولية . وقد بقيت القبيلة بالنسبة للانسان حداً سواء حيال ابن القبيلة اخرى ، او حيال نفسه بالذات : كانت العشيرة والقبيلة ومؤسساتهما مقدسة ومنيعة لا يجوز المساس بها ، وكانت سلطة عليا منحتها الطبيعة وظل الفرد بمفرده خاضعاً لها بلا قيد ولا شرط في مشاعره وافكاره وتصرفاته . ومهما بدا الناس ذلك الزمن مهيبين في عيوننا ، فانه لا يمكن تمييز بعضهم عن بعض ، ولم ينفصلوا بعد ، على حد قول ماركس ، عن حبل المشاعة البدائية السّري . كان ينبغي تحطيم سلطة هذه المشاعة البدائية ، فحُطمت .

www.kassioun.org

ولكنها حُطّمت بتأثيرات تبدو لنا من الوهلة الاولى ، بمثابة انحطاط ، بمثابة خطيئة اصلية بالمقارنة مع المستوى الاخلاقي العالي الذي بلغه المجتمع العشائري القديم . ان احط الدوافع — الجشع الخشن ، الولع الفظ باللذائذ ، البخل القذر ، السعي الاناني الى نهب الملك المشترك — هي التي تدشن المجتمع الجديد المتمدن ، المجتمع الطبقي ؛ وان اخس الوسائل — السرقة ، العنف ، الغدر ، الخيانة — هي التي تقوض المجتمع العشائري اللاطبقي القديم وتؤدي الى هلاكه . اما المجتمع الجديد نفسه ، فانه لم يكن خلال الالفين والخمسمئة سنة كلها من وجوده غير لوحةٍ عن تطور الاقلية الضئيلة على حساب الاغلبية الهائلة من المستثمرين والمظلومين ، وهو لا يزال الآن كذلك ولكن بقدر اكبر مما في اي وقت مضى .

العشيرة اليونانية

منذ الازمنة ما قبل التاريخ ، كان اليونانيون ، شأنهم شأن البلاسج وغيرهم من الشعوب القريبة منهم ، قد تشكلوا حسب السلسلة العضوية كما عند الاميركيين : العشيرة ، الفراترية ، القبيلة ، اتحاد القبائل . الا انه كان من الممكن ان تنقص الفراترية ، كما عند الدوريين ؛ كما ان اتحاد القبائل لم يتشكل في كل مكان ؛ على كل حال ، كانت العشيرة الخلية الاساسية . وعندما ظهر اليونانيون في مسرح التاريخ ، كانوا قد بلغوا عتبة الحضارة ؛ وكانت تمتد بينهم وبين القبائل الاميركية التي تناولها الكلام آنفاً مرحلتان كبيرتان كاملتان تقريباً من التطور سبق بهما يونانيو العهد البطولي الايروكوا . ولهذا لم تكن العشيرة اليونانية

www.kassioun.org

ابدأ عشيرة الايروكوا القديمة ، ناهيك بان طابع الزواج الجماعي * اخذ يمحي بصورة ملحوظـــة . واخلى الحق الامي المكان للحـــق الابوي . وبذلك احدثت الثروة الخاصة الناشئة اول شق في التنظيم العشائري . وجاء الشق الثاني نتيجة طبيعية للشق الاول : فبما ان ملك مورثة غنية كان ينبغي ، بعد تطبيق الحق الابوي ، ان يعود بحكم الزواج الى زوجها ، وبالتالي الى عشيرة اخرى ، فقد حطموا اساس كل حق عشائري ، ولم يسمحوا وحسب ، بل جعلوا **من الواجب** في هذه الحال ان تتزوج الفتاة داخل عشيرتها لكي تحتفظ بملكها .

ان العشيرة الاثينية ، مثلا ، كانت ترتكز ، حسب غروت (تاريخ اليونان) (٨٩) ، على الاسس التالية :

١ ــ طقوس دينية مشتركة ، وحق الكهنة بوجه الحصر في ممارسة الشعائر المقدسة تكريما لاله معين من المعتقد انـــه جـــد العشيرة المشترك ، ويطلق عليه ، بحكم هذه الصفة ، لقب خاص .

٢ ــ مكان مشترك للدفـــن (راجـــع « اوبوليـــدس » لديموستينس (٩٠) .

٣ ــ حق الوراثة المتبادلة .

٤ ــ الواجب المتبادل في تقديم العون والحماية والمساندة ضد اعمال العنف .

٥ ــ الحق والواجب المتبادلان في بعض الاحوال في الزواج داخل العشيرة ولا سيما عندما يتعلق الامر بيتيمات او بوريثات .

---

* في طبعة عام ١٨٨٤ ورد تعبير «العائلة البونالوانية» بدلا من تعبير «الزواج الجماعي» . **الناشر** .

www.kassioun.org

٦ ــ امتلاك اموال مشتركة ، في بعض الاحوال على الاقل ، يشرف عليها «ارخونت» (زعيم) وخازن خاصان .

وفضلا عن ذلك ، كانت بضع عشائر تتحد وتترابـــط في فراترية ، ولكن بعرى اقل وثوقا ؛ ولكننا نرى هنا ايضاً حقوقاً وواجبات متبادلة كالتي في العشيرة ، ولا سيما منها المشاركة في ممارسة بعض الشعائر الدينية وحق الملاحقة في حال قتل عضو من الفراترية . ثم ان مجمل الفراتريات من قبيلة واحدة كانت لها بدورها اعيـاد مقدسة مشتركـة تتكرر بانتظـام ، ويرأسهـا «فيلوبازيلوس» («زعيم قبيلة» phylobasileus) ينتخب من بين النبلاء («الاوباتريد» eupatrides) .

هذا ما يقوله غروت ، والى هذا يضيف ماركس : «ولكن عبر العشيرة اليونانيـة ، كان يتراءى المتوحش بوضوح (مثلا ، الايروكي)» (٩١) . وسيبدو بمزيد من الوضوح اذا ما واصلنا الدراسة بعض الشيء .

وبالفعـــل ، تتميز العشيرة اليونانية بالسمات التاليـــة ايضاً :

٧ ــ حساب الاصل وفقاً للحق الابوي .

٨ ــ منـــع الزواج داخـل العشيرة ، باستثنـــاء الزواج من الوريثات . ان هذا الاستثناء واضفاء صفة القانون عليه يؤكدان ان القاعدة القديمة كانت ما تزال سارية المفعول . وهذا ينبـع ايضاً من قاعدة الزامية عامة تقضي بان تمتنع المرأة بعد زواجها من المشاركة في طقوس عشيرتها الدينية ، وتتبنى طقوس زوجها في فراترية زوجها التي كانت هي مسجلة فيها من قبل . وبموجب هذا ، وكذلك وفقاً لمقطـع معروف من ديكيـارخ (٩٢) ، كان الزواج خارج العشيرة هو القاعدة ؛ بل ان بيكر يعتبر صراحة في

www.kassioun.org

كتابه «خاريكلس» انه لم يكن يحق لاحد ان يتزوج داخل عشيرته (٩٣) .

٩ ــ حق العشيرة في التبني . وكان هذا الحق يطبق بالتبني في احدى العائلات ، ولكن شرط مراعاة الشكليات العامة ، وعلى سبيل الاستثناء فقط .

١٠ ــ الحق في انتخاب الزعماء وعزلهم . ونحن نعلم انه كان لكل عشيرة «ارخونت» . ولم يرد في اي مكان ان هذه الوظيفة كانت تنتقل بالوراثة في عائلات معينة . وحتى نهاية عهد البربرية ، يجب الظن دائماً انه لم تكن توجد وراثة صارمة للوظيفة لا تتفق اطلاقاً مع النظام الذي كان في ظله يتمتع الاغنياء والفقراء داخل العشيرة بالمساواة التامة في الحقوق .

وليس غروت وحسب ، بل ايضاً نيبور ومومزن وجميع المؤرخين الآخرين الذين درسوا الازمنة القديمة الكلاسيكية ، استعصت عليهم مسالة العشيرة حتى الان . فرغم انهم رسموا بشكل صحيح كثيراً من علائمها ، رأوا دائماً فيها **مجموعة عائلات** ، ومن جراء ذلك لم يستطيعوا ان يفهموا طبيعة العشيرة واصلها . ففي ظل النظام العشائري ، لم تكن العائلة ابداً ولم يكن بوسعها ان تكون خلية النظام الاجتماعي ، لان الزوج والزوجة كانا ينتميان بالضرورة الى عشيرتين مختلفتين . كانت العشيرة تنتمي بكليتها الى الفراترية ، والفراترية الى القبيلة ؛ اما العائلة ، فكانت تنتمي بنصفها الى عشيرة الزوج وبنصفها الثاني الى عشيرة الزوجة . كذلك لا تعترف الدولة بالعائلة في ميدان الحق العام ؛ ولا تقوم العائلة حتى الآن الا في ميدان الحق الخاص . ومع ذلك ، ينطلق كل علم التاريخ حتى الآن من فرضية سخيفة خرقاء اصبحت ثابتة لا تتزعزع ، ولا سيما في القرن الثامن عشر ، ومفادها ان العائلة الفردية الاحادية الزواج ، التي من المشكوك في ان تكون اقدم من

www.kassioun.org

عهد الحضارة ، كانت النواة التي تبلور المجتمع والدولة حولها تدريجيا .

وهنا يضيف ماركس : «يجدر بالسيد غروت ان يشير ايضاً الى ما يلي : رغم ان اليونانيين كانوا يشتقون عشائرهم من الميثولوجيا ، كانت هذه العشائر اقدم من الميثولوجيا التي خلقتها بنفسها ، مع آلهتها وانصاف آلهتها» (٩٤) .

ويفضل مورغان الاستشهاد بغروت لان غروت شاهد له وزنه ومكانته وموثوق به تماماً . فان غروت يروي ايضاً ان كل عشيرة اثينية كانت تحمل اسماً انتقل اليها من مؤسسها المفترض ، وان اعضاء عشيرة (gennêtes) المتوفى كانوا يرثون امواله قبل سولون على كل حال ، وبعد سولون اذا لم تكن هناك وصية ، وان ملاحقة المجرم امام المحكمة اذا ما وقعت جريمة قتل ، كانت في المقام الاول ، من حق وواجب اقرباء القتيل ، ثم اعضاء عشيرة القتيل واخيراً اعضاء فراترية القتيل .

«كل ما نعرفه عن اقدم القوانين الاثينية يرتكز على الانقسام الى عشائر وفراتريات» (٩٥) .

ان تحدر العشائر من جدود مشتركين قد تسبب «للعلماء التافهين الضيقي الافق» (ماركس) (٩٦) بالمزعجات والمنغصات . فبما انهم ، بالطبع ، يتصورون هؤلاء الجدود كائنات ميثولوجية صرف ، فانه لا تبقى لديهم اي امكانية لكي يفسروا لانفسهم نشوء العشيرة من عائلات منفردة تعيش بعضها في جوار بعض ، ولم تكن تجمع بينها في البدء رابطة القرابة ؛ ومع ذلك ينبغي عليهم ان يفعلوا ذلك لكي يفسروا على الاقل وجود «العشيرة» . وهكذا يجدون انفسهم في حلقة مفرغة ، ويصبون سيولا من الكلام الفارغ ،

www.kassioun.org

دون ان يتجاوزوا الزعم بان شجرة النسب هي ، بالطبع ، خرافة ، بينما العشيرة موجودة في الواقع ؛ وفي آخر المطاف ، نجد عند غروت ما يلي (الكلمات بين هلالين لماركس) :

« نحن لا نسمع عن شجرة النسب هذه الا نادراً ، لانه لا يشار اليها امام الملأ الا في احوال معينة ، احتفالية جداً . ولكن العشائر الاقل شأناً كان لها طقوسها الدينية المشتركة » (ما اغرب ذلك ، ايها السيد غروت!) ، « وكذلك جد مشترك ــ سوبرمان وشجرة نسب مشتركة ، مثلها تماما مثل العشائر الاكبر شأنا » (ما اغرب هذا ، ايها السيد غروت ، عند العشائر **الاقل شأنا !**) « ان التصميم الرئيسي والاساس المثالي » (لا المثالي ideal ، يا سيدي العزيز ، بل اللحمي carnal ، او بلغتنا الالمانية ، **الجسدي !**) « كانا مشتركين عند جميع العشائر » (٩٧) .

ويوجز ماركس جواب مورغان عن هذا السؤال بما يلي : « ان نظام قرابة الدم ، المناسب للعشيرة في شكلها الاولي ــ وعند اليونانيين قام هذا الشكل فيما مضى كما قام عند جميع البشر ــ كان يضمن معرفة علاقات القربى بين جميع اعضاء العشائر . وكانوا منذ سني الطفولة يستوعبون بالفعل هذه المعلومات الخارقة الاهمية بالنسبة لهم . ومع نشوء العائلة الاحادية الزواج ، لف النسيان ذلك . وقد خلق الاسم العشيري شجرة نسب ظهرت ازاءها شجرة نسب العائلة الفردية تافهة لا وزن لها . ان هذا الاسم العشيري هو الذي كان ينبغي له من الآن وصاعداً ان يقدم البرهان على ان حامليه يتحدرون من اصل مشترك . ولكن شجرة نسب العشيرة كانت تمد جذورها في اعماق الزمن الى حد انه لم يبق بوسع اعضائها ان يثبتوا القرابة القائمة فعلا بينهم ، باستثناء حالات قليلة جداً كانوا يعرفون فيها اسلافا مشتركين اقرب عهداً . وكان الاسم نفسه دليلا على الاصل المشترك ودليلا لا جدال فيه ، ما عدا حالات التبني . ان انكار القرابة بين اعضاء العشيرة انكاراً تاما ،

www.kassioun.org

فعلياً ، كما يفعل غروت * ونيبور ، اللذان جعلا من العشيرة نتاج اختلاق صرف وابداع شعري ، جدير «بالمثاليين» وحدهم ، اي بعلماء البرج العاجي . فلأن الصلة بين الاجيال ، وخاصة منذ ظهور احادية الزواج ، تبتعد في اعماق الزمن ولأن الواقع الماضي ينعكس في الشخصيات الخيالية الميثولوجية ، خلص التافهون الضيقو الافق الحسنو النيـــة ولا يزالون يخلصون الى القول ان شجرة النســـب الخيالية خلقت العشائر الفعلية» (٩٨) .

وكما عند الاميركيين ، كانت **الفراترية** عشيرة أمّاً مقسمـــة الى بضـــع عشائر بنات وتجمع بينهـــا ، وتشير احياناً كثيرة الى تحدرها جميعها من جد مشترك . وعليه ، حسب غروت :

«كان جميع الاتراب ، الاعضاء في فراترية «هيكانية» يعتبرون ان لهم الهاً واحداً هو جدهم المشترك من الدرجة السادسة عشرة» (٩٩) .

ولهذا كانت جميـــع عشائر هذه الفراتريـــة عشائر شقيقة بمعنى الكلمة الحرفي . واننا لنجد الفراترية عند هوميروس بوصفها وحدة عسكرية ، وذلك في المقطع المشهور الذي ينصح فيه نسطور اغممنون قائلا : صف الرجال حسب القبائل والفراتريات بحيث تساعد الفراترية الفراترية والقبيلة القبيلة (١٠٠) . — وفضلا عن ذلك ، كان من حق الفراترية وواجبها ان تثأر لاغتيال عضو من اعضائها ؛ ولذا كان يقع على عاتقها ، في الازمنة السابقة ، واجب ثأر الدم . وفضلا عن ذلك ، كانت لها مقدسات واعياد مشتركة ؛ بل ان تكوّن الميثولوجيا الاغريقية **كلها** من عبادة الطبيعة التقليدية ، الموروثة من قدماء الآريين ، كان مشروطـــاً من حيث الجوهر بالعشائـــر

---

* في مخطوطة ماركس ، ورد عوضاً عن اسم غروت ، اسم العـــالم الاغريقي مـــن القرن الثاني الميلادي بولوكس الذي يستشهـد بـــه غروت احياناً كثيرة . **الناشر**

www.kassioun.org

والفراتريات ، وجرى في داخلها . وفضلا عن ذلك ، كان للفراترية زعيم (phratriarchos) وكانت ، حسبما يقول دي كولانج ، تعقد جمعيات عامة ، وتتخذ قرارات الزامية ، وتملك سلطة قضائيـة وادارية (١٠١) . بل ان الدولة التي ظهرت فيما بعد ، والتي كانت تجهل العشيرة ، تركت للفراترية بعض الوظائف العامة ذات الطابع الاداري .

تتالف القبيلة من بضع فراتريات تجمع بينها صلات القربى . وفي مقاطعـــة الاتيك ، كانت توجد اربع قبائل ، كل منها تتألف من ثلاث فراتريات ، وكل فراترية من ٣٠ عشيرة . ان تحديد الجماعات بمثل هذه الدقة يفترض تدخلا واعياً ومنهاجياً في وضع الامور الذي تكوّن بصورة عفوية . اما كيف حدث هذا التدخل ومتى ولماذا ، فان التاريخ اليونـــاني يلزم الصمت حوله ، ناهيك بـــان اليونانيين انفسهم لم يتذكروا ماضيهم الا ابتداء من العصر البطولي .

وعند اليونانيين المزدحمين في رقعـــة من الارض غير كبيرة نسبيا ، تطورت فوارق اللهجات اقل مما في الغابات الاميركيـــة الشاسعة . ولكننا نرى هنا ايضاً ان القبائل التي تملك لغة اساسية واحدة هي وحدها التي تتجمع في كل اكبر بل اننا نجد في مقاطعة الاتيك الصغيرة لهجة خاصـــة اصبحت فيما بعد اللهجـة السائدة بوصفها لغة مشتركة لعموم النثر اليوناني .

وفي قصائد هوميروس ، نجد القبائـل اليونانيـــة متحدة في اغلبيـــة الاحوال في اقوام صغيرة تحتفظ في داخلهـــا العشائـــر والفراتريات والقبائل مع ذلك باستقلالها كاملا . كانت هذه الاقوام تعيش آنذاك في مدن محميـــة بالاسوار . وكان عدد السكان ينمـو مع نمو القطعان ومع انتشار الزراعة وبداية الحرف . وفي الوقت نفسه كانت تتعاظم الفوارق في الملكيـــة ، ويتعاظم معهـا العنصر الاريستقراطي داخل الديموقراطية القديمة ، البدائيـــة . وكانت

www.kassioun.org

مختلف الاقوام الصغيرة تخوض غمار حروب متواصلـــة من اجل امتلاك خيرة الاراضي ، وكذلك ، بالطبع ، من اجل الظفر بالغنائم الحربية . وآنذاك كان استعباد اسرى الحرب قد اصبح مؤسسـة معترفاً بها .

وفيمـا يلي تنظيم الادارة عند هذه القبائـــل وهذه الاقوام الصغيرة :

١ ــ كان **المجلس** ، bulê ، الهيئة الدائمة للسلطة ؛ في البدء ، كان يتألف ، على الارجح ، من زعماء العشائر ، وفيما بعد ، عندما ازداد عددهم كثيراً ، من الذين يختارونهم ، الامر الذي اتاح الفرصة لتطوير وتعزيز العنصر الاريستقراطي ؛ هكذا بالضبط يروي لنا ديونيسيوس ان المجلس في العهـــد البطولي كان يتألف من النبلاء (الاريستقراطيين kratistoi) (١٠٢) . وفي القضايا الهامة ، كان المجلس يتخذ القرارات النهائية . فعند اسخيلوس ، مثلا ، يتخذ مجلس مدينـة ثيبة قراراً حاسماً في الوضـــع الناشئ يقضي بدفن ايتيوكل بكل مراسم الفخار ، وبرمي جثة بولينيـــك الى الكلاب (١٠٣) لتنهشها . وفيما بعد ، عندما تأسست الدولة ، اصبح هذا المجلس «السينات» sénat (مجلس الشيوخ) .

٢ ــ **الجمعية الشعبية** (agora) . لقد رأينا عند الايروكوا ان الشعب ، رجالا ونساء ، يحيط باجتماع المجلس وانه يشترك حسب الاصول المقررة في المناقشـــة ، ويؤثر بالتالي في قرارات المجلس . وعند اليونانيين في زمن هوميروس ، كان هذا «المحيط» (Umstand) ، اذا استعملنا هذا التعبير الحقوقي من اللغة الالمانية القديمة ، قد تطور وغدا جمعية شعبية حقيقية ، كما جرى ايضاً عند الجرمان القدامى . وكانت هذه الجمعية تنعقد بدعوة من المجلس لحل القضايا الهامة . وكان بوسع كل رجل ان يتكلم . وكان القرار يتخذ برفع الايدي (في «المترجيات» لاسخيلوس) او بالهتاف .

www.kassioun.org

وكانت الجمعية تملك السلطة العليا بوصفها المرجع الاخير ، لأنه ، كما يقول شومان («الازمنة القديمة اليونانية») ،

«عندما يدور الكلام حول قضية يتطلب تنفيذها معونة الشعب ، لا يبين لنا هوميروس اي وسيلة يمكن بها ارغام الشعب ارغاما على تقديم معونته» (١٠٤) .

ففي ذلك الوقت حينّ كان كل رجل راشد في القبيلة محارباً ، لم تكن توجد بعد سلطة عامة منفصلة عن الشعب من الممكن معارضته بها . كانت الديموقراطية البدائية لا تزال بعد في اوج ازدهارها ، ومن هنا ينبغي لنا ان ننطلق عند البحث في سلطة ومركز المجلس والباسيليوس على السواء .

٣ ــ **الرئيس العسكري** (basileus) . اليكم ما يلاحظه ماركس في هذا الصدد : «ان العلماء الاوروبيين ، الذين فطروا بمعظمهم على خدمة الملوك والامراء ، يجعلون من الباسيليوس ملكاً بمعنى الكلمة الحديث . وضد هذا يحتج الجمهوري اليانكي مورغان ويقول ببالغ السخرية ، ولكن بكامل الحق والصواب ، عن المعسول غلادستون وكتابه «شباب العالم» (١٠٥) .

«ان السيد غلادستون يقدم لنا الزعماء اليونانيين من العهد البطولي بصورة ملوك وامراء ، جاعلا منهم فوق ذلك جنتلمانات . ولكنه يترتب عليه ان يعترف هو نفسه باننا نجد عندهم ، على العموم ، عادة او قانون البكورية محددة بصورة كافية ، ولكن بدون افراط في الدقة» (١٠٦) .

ينبغي الظن ان حق البكورية المرفق بمثل هذه التحفظات سيبدو للسيد غلادستون نفسه باطلا لا قيمة له اطلاقا ، حتى وان لم يكن مفرطاً من حيث حدة التعبير .

ولقد سبق ورأينا ما كانت عليه وراثة وظائف الشيوخ عند الايروكوا وعند الهنود الحمر الآخرين . كانت جميع الوظائف

www.kassioun.org

انتخابية في اغلبية الاحوال داخل العشيرة ولذا كانت وراثية ضمن حدود العشيرة . وعند املاء الوظائف الشاغرة ، اخذوا تدريجياً يفضلون النسيب الاقرب ـ اي الاخ او ابن الاخت ، اذا لم يكن ثمة سبب لاستبعاده . ولهذا ، اذا كانت وظيفة الباسيليوس عند اليونانيين تنتقل عادة ، في ظل سيادة الحق الابوي ، الى الابن او الى احد الابناء ، فان هذا يثبت فقط انه كان في وسع الابناء هنا ان يأملوا بالوراثة عن طريق الانتخاب الشعبي ، ولكنه لا يدل ابداً على الاعتراف بالوراثة شرعاً وقانوناً بدون الانتخاب الشعبي. وفي هذه الحال ، لا نجد عند الايروكوا واليونانيين غير الجنين الاولي للعائلات النبيلة الخاصة داخل العشيرة فقط ولا نجد ايضاً عند اليونانيين بالاضافة غير الجنين الاولي لسلالة مقبلة من الزعماء الوراثيين ، اي الجنين الاولي للملكية . ولهذا ينبغي الظن انه كان يجب للباسيليوس عند اليونانيين اما ان ينتخبه الشعب واما ان تصادق عليه هيئات الشعب الرسمية ـ المجلس او الاغورا ـ كما كان يجري ذلك ايضاً بالنسبة «للملك» (rex) الروماني .

وفي «الالياذة» ، لا يظهر اغممنون ، «سيد الرجال» بصفته ملكاً اعلى لليونانيين ، بل بصفته آمراً اعلى لقوات متحالفة امام مدينة محاصرة . وعندما نشب الشقاق بين اليونانيين ، اشار اوذيس الى هذه الصفة بالذات في المقطع الشهير : لا جدوى من تعدد الآمرين ؛ فليأمر واحد فقط ، الخ . (ثم يرد البيت المشهور الذي يذكر الصولجان ، ولكن هذا البيت اضيف فيما بعد) (١٠٧) . «ان اوذيس لا يلقي هنا محاضرة حول شكل الحكم ، بل يطالب بالخضوع للآمر الاعلى في الحرب . وبالنسبة لليونانيين الذين لم يظهروا امام طروادة الا بوصفهم جيشاً محارباً ، يسلك الاغورا (المجلس) بما يكفي من الديموقراطية : فان آخيل ، حين يتكلم عن الهدايا ، اي عن تقاسم الغنائم ، يذكر دائماً ان هذا ليس

www.kassioun.org

من شأن اغممنون او اي باسيليوس آخر ، بل من شأن «ابناء الآخيين» ، اي من شأن الشعب . ان النعوت : «وليد زفس» ، «ربيب زفس» ، لا تثبت شيئاً ، لان كل عشيرة تتحدر من اله من الآلهة ، وعشيرة رئيس القبيلة تتحدر من اله «أميز» ،ـ وفي هذه الحال ، من زفس . بل ان الذين لا يتمتعون بالحرية الشخصية ، كراعي الخنازير ايفميه وغيره ، مثلا ،هم «آلهيون» dioi و theioi وهذا في «الاوذيســـة» ، وبالتـــالي في زمن اقرب الينـــا بكثير من زمن «الالياذة» ؛ وفي «الاوذيسة» ايضاً يرفق اسم «البطل» باسم الرسول موليوس وكذلك باسم المغني الاعمى ديمودوكس * . وبايجاز نقول ان كلمة basileia التي يستعملها الكتاب اليونانيون للاشارة الى السلطة الهوميرية المسماة بالسلطة الملكية (لان قيادة الجيوش هي علامتها المميزة الرئيسية) ، والقائمة الى جانب مجلس الزعماء والجمعية الشعبية ، لا تعني غير الديموقراطية الحربية» (ماركس) (١٠٨) .

وعلاوة على الصلاحيـــات العسكريـــة ، كان للبـاسيليـوس صلاحيات اخرى ، كهنوتية وقضائية . ولم تكن الصلاحيـــات الاخيرة محددة بدقة ، وكان يتمتع بالاولى بوصفه الممثل الاعلى للقبيلة او لاتحاد القبائل . اما الصلاحيات المدنية ، الادارية ، فلم ترد يوماً ، ولكن الباسيليوس كان ، اغلب الظن ، بحكـم وظيفتـه ، عضواً في المجلس . وعليه ، من الصحيح تماماً من الناحية اللغوية ترجمة كلمة basileus (بـاسيليوس) بـالكلمة الالمـــانيـــة König

---

* ثم ترد في مخطوطة ماركس الجملة التالية التي اغفلهـا انجلس : «ان كلمـة «كويرانوس» التي يستعملهـــا اوذيس بصـدد اغممنون ، الى جانب كلمـــة «الباسيليـوس» (basileus) ، لا تعني هي ايضـــاً غير «آمر الجيوش في الحرب» . **الناشر** .

www.kassioun.org

(كونيغ) لان كلمة (Kuning) König مشتقة من كلمة Kuni (كوني) ، Künne (كونـه) وتعني زعيم العشيرة . ولكن المعنى الحالي لكلمة König (ملك) لا يناسب اطلاقاً معنى كلمة basileus في اليونان القديمـــة . فان ثوقيديدس يصف basileia القديمة بكل صراحة بانها patrikê (بطريكـه) اي متحدرة من العشائر ، ويقول انها كانت مخولة صلاحيـات معينة ، ثـابتة اي محدودة (١٠٩) . كذلـك يشير ارسطـو الى ان basileia العصر البطولي كانت قيـادة لرجـال احرار وان الباسيليوس basileus كان قـائداً عسكريـاً وقاضيـاً ورئيس كهنـة (١١٠) . ولذا لم يكن يتمتـع بسلطة الحكم بمعنى الكلمة اللاحق * .

وهكـذا نرى في النظام اليونـاني من العصر البطولي التنظيـم العشـائري القديم لا يزال زاخراً بكـل قواه ، ولكننـا نرى ايضـاً بداية انحلاله : فان الحق الابوي مع توريث الملكية للاولاد ييسر تراكم الثروات في العائلة ويجعل من العائلة قوة في وجه العشيرة ؛ والفوارق في الملكية تؤثر بدورها في تنظيـم الادارة بخلقهـا اولى اجنة الاريستقراطية الوراثية والسلطة الملكية ؛ والعبودية ، التي كانت لا تشمل في البدء غير اسرى الحرب ، تفتـح السبيـل امـام

---

* كمـــا صوروا الباسيليوس اليوناني بصورة امير عصري ، كذلك صوروا القائد العسكري الازتيكي . وللمرة الاولى ، ينتقد مورغـان ، على ضوء التاريـــخ ، قصص الاسبانيين التي كانت في البـــدء حافلـــه بالازدراء والمبالغـــات ، وامست فيما بعد بيّنـــة الكذب ؛ ويثبت ان المكسيكيين كانوا قد بلغوا الطور الاوسط من البربرية ، ولكنهم كانوا قد سبقوا بعض الشيء في تطورهم الهنود الحمر البويبلو في المكسيك الجديدة ، وان نظامهم ، بقدر ما يمكن الاستنتاج من المعلومات المشوهة ، كان يتميـز بالسمـات التالية : اتحاد من ثلاث قبائل اجبر بضع قبائل اخرى على دفع جزية له ؛ هذا الاتحـــاد يديره مجلس اتحادي وقائد عسكري اتحادي ؛ وقـد صور الاسبانيون هذا القائد العسكري بصورة «امبراطور» .

www.kassioun.org

المستعبد لاستعباد اعضاء قبيلته بالذات وحتى اعضاء عشيرته ؛ والحرب القديمة بين القبائل تتحول مذ ذاك الى عملية نهب وسلب في البر والبحر لاجل الاستيلاء على الماشية والعبيد والكنوز ، وتتحول بالتالي الى مصدر عادي للكسب ، الى حرفة ؛ وبكلمة ، تغدو الثروة موضع اطراء وتبجيل وتقدير بوصفها الخير الاعظم ، وتمسي القواعد العشائرية القديمة موضع تحقير لاجل تبرير نهب الثروات بالعنف والقسر . ولم يكن ينقص غير امر واحد ، ونعني به مؤسسة من شأنها ، لا ان تحمي الثروات التي اكتسبها الافراد حديثاً من تقاليد النظام العشائري الشيوعية وحسب ، ولا ان تكرس الملكية الخاصة التي كانت محتقرة بالغ الاحتقار وحسب ، ولا ان تعلن هذا التكريس الهدف الاسمى لكل جماعة بشرية وحسب ، بل ان تختم ايضاً بخاتم الاعتراف العام من قبل المجتمع على العموم الاشكال الجديدة لتحصيل الملكية ، المتطورة الواحد تلو الآخر ، اي لتكديس الثروات بوتيرة متسارعة باستمرار ؛ مؤسسة من شأنها لا ان تثبّت وتخلّد الانقسام البادئ في المجتمع الى طبقات وحسب ، وبل حق الطبقة المالكة في استثمار الطبقة غير المالكة وسيادة الاولى على الثانية .

وهذه المؤسسة ظهرت . فقد تم اختراع **الدولة** .

٥

ولادة الدولة الاثينية

اننا لا نستطيع ان نتتبع في اي مكان خيراً مما في اثينا القديمة كيف تطورت الدولة ، على الاقل في مرحلتها الاولى ، بتحويل هيئات التنظيم العشائري احياناً وبزحزحتها احياناً اخرى عن طريق انشاء هيئات جديدة وبالاستعاضة عنها كلياً في آخر المطاف بهيئات حقيقية

www.kassioun.org

لسلطة الدولـــة ؛ وكيف اخذت «سلطة عامة» مسلحـــة ، تخضع لهيئات الدولة هذه ويمكن بالتالي استعمالها ضد الشعب ايضاً ، تحل محل «الشعب المسلح» الحقيقي الذي يدافع عن نفسه بنفسه في عشائره وفراتریاته وقبائلـــه . وقد وصف مورغان تعاقب الاشكال من حيث الاساس ؛ اما تحليل المضمون الاقتصادي الذي نشأ منه تعاقب الاشكال ، فانه يتعين عليّ ان اضيفه بمعظمه .

في العهد البطولي ، كانت قبائل الاثينيين الاربع لا تزال تشغل في الاتّيك قطاعات متميزة ؛ بل ان الفراتريات الاثنتي عشرة التي كانت تتالف منها هذه القبائل كانت لا تزال تملك ، على ما يبدو ، مقامات متميزة بصورة المدن الاثنتي عشرة في كيكروب . وكان تنظيم الادارة يطابق ما كان عليه في العصر البطولي : الجمعيـــة الشعبيـــة ، المجلس الشعبي ، الباسيليوس . وفي العهد الذي يبدأ منه التاريـــخ المكتوب ، كانت الاراضي مقسمة ،وكانت قد انتقلت الى الملكيـــة الخاصة ، الامر الذي يتلاءم مع الانتاج البضاعي الذي كان قد تطور نسبيـــاً في اواخر الطور الاعلى من البربريـــة ومع تجارة البضائـــع المناسبة له . وفضلا عن الحبوب ، كانوا ينتجون الخمور والزيت النباتي ؛ وطفق زمام التجارة البحريـــة على بحر ايجه يفلت اكثر فاكثر من ايدي الفينيقيين ويقع بمعظمـــه في ايدي سكان الاتّيك . وبفضل شراء وبيع الملكية العقارية ، وبفضل تطور تقسيم العمل بين الزراعة والحرفة ، بين التجارة والملاحة ، كان لا بدّ لاعضاء العشائر والفراتريات والقبائـــل ان يتخالطوا خلال وقت قصير جداً ؛ واذا بقطاعات الفراتريات والقبائل يستوطنها سكان لا ينتسبون الى هذه الجماعات رغم انهم مواطنون لها ، وكانوا بالتالي غربـــاء في مكان اقامتهـــم بالذات . ذلك ان كل فراتريـــة وكل قبيلـــة كانت تدير شؤونها بنفسها في زمن السلم ، دون اللجوء الى المجلس الشعبي او الى الباسيليوس في اثينا . ولكن من كانوا يعيشون في ارض الفراترية

www.kassioun.org

او القبيلة دون ان يكونوا منتسبين اليها لم يكن بوسعهم طبعاً ان يشتركوا في هذه الادارة .

كل هذا شوّش العمل العادي لهيئات النظام العشائري الى حد ان الامر اقتضى في العهد البطولي اتخاذ التدابير لازالة التشوش . فجرى تطبيق تنظيم ينسب الى تيزوس . وكان التغيير يقوم قبل كل شيء في تأسيس ادارة مركزية في اثينا ، اي ان قسماً من الشؤون التي كانت القبائل تديرها من قبل بصورة مستقلة قد أُعلن من الشؤون العامة واحيل الى المجلس المشترك الذي كان مقره في اثينا . وبفضل هذا التنظيم الجديد ، سار الاثينيون في تطورهم اكثر مما سار اي من الشعوب الاصلية في اميركا : فعوضاً عن مجرد اتحاد بين قبائل تعيش متجاورة ، جرى اندماج القبائل في شعب واحد . وهكذا نشأ الحق الشعبي الاثيني العام الذي كان اعلى من العادات الشرعية لمختلف القبائل والعشائر ونال المواطن الاثيني ، بصفته هذه ،حقوقاً معينة وحماية قانونية جديدة حتى في الارض التي كان فيها غريباً عن القبيلة . ولكن ذلك كان في الوقت نفسه بمثابة الخطوة الاولى نحو تدمير النظام العشائري لانه كان الخطوة الاولى نحو السماح لاحقاً حتى لاولئك الذين كانوا غرباء عن القبائل في عموم الاتيك وكانوا وظلوا كلياً خارج التنظيم العشائري الاثيني بالانضمام الى عداد المواطنين . والمؤسسة الثانية المنسوبة الى تيزوس كانت تتلخص في تقسيم الشعب بأسره ، بصرف النظر عن العشيرة والفراترية والقبيلة ، الى ثلاث طبقات : eupatrides (الاوباتريد) او النبلاء ، géomores (الجيومور) او الزراع ، démiurges (ديمييورج) او الحرفيين وفي منح النبلاء بوجه الحصر الحق في ممارسة الوظائف العامة . ولكن هذا التقسيم لم يسفر عن اي نتيجة ، باستثناء ممارسة النبلاء للوظائف العامة ، لانه لم يخلق اي فوارق اخرى في الحقوق بين الطبقات . الا انه يتسم باهمية كبيرة ، لأنه يكشف امامنا العناصر الاجتماعية

www.kassioun.org

الجديدة التي تطورت بصورة غير ملحوظة . وهو يثبت ان عادة ايلاء الوظائف العشيرية الى اعضاء بعض العائلات قد تحولت الى حق لهذه العائلات في ممارسة الوظائف العامة قلما يتعرض للجدال والانكار ، وان هذه العائلات ، فضلا عن القوة التي تتمتع بها بفضل ثرواتها ، شرعت تتكون خارج عشائرها في طبقة خاصة مميزة ، وان الدولة الناشئة للتو قد كرست ادعاءاتها هذه . وهو يثبت ايضاً ان تقسيم العمل بين الفلاحين والحرفيين قد اتضح ورسخ الى حد انه اخذ يزحزح الى المرتبة الثانية الاهمية الاجتماعية للتقسيم السابق الى عشائر وقبائل . وهو يعلن اخيراً التناقض المستعصي بين المجتمع العشائري والدولة ؛ فان اول محاولة لتشكيل الدولة تقوم في تحطيم الصلات العشائرية بتقسيم اعضاء كل عشيرة الى مميزين وغير مميزين وبتقسيم الاخيرين بدورهم الى طبقتين تبعاً لنوع عملهم ، الامر الذي كان يدفع بعضهم الى معارضة بعضهم الآخر .

ان تاريخ اثينا السياسي اللاحق حتى سولون ليس معروفاً بصورة كافية . ان وظيفة الباسيليوس فقدت شأنها ؛ واخذ يرأس الدولة ارخونت منتخبون من عداد النبلاء . وتعاظمت سيادة النبلاء اكثر فاكثر الى ان امست عبئاً لا يطاق نحو سنة ٦٠٠ قبل الميلاد. وكان المال والربا الوسيلة الاساسية لاجل قمع حرية الشعب . وكان محل اقامة النبلاء الرئيسي في اثينا وضواحيها ، حيث كانت التجارة البحرية ، ومعها القرصنة البحرية التي كانت تمارس كلما سنحت الفرصة ، تغنيان هؤلاء النبلاء وتركزان في ايديهم الثروات النقدية . ومن هنا تغلغل الاقتصاد النقدي ، خلال تطوره ، في المشاعات الريفية مؤثراً مثل حامض يتأكل نمط حياتها التقليدي القائم على الاقتصاد الطبيعي . ان التنظيم العشائري لا يتوافق اطلاقاً مع الاقتصاد النقدي . وقد صادف خراب الفلاحين الصغار في الاتيك اشتداد ضعف روابطهم العشيرية القديمة التي كانت تحميهم . وكان سند الدين

9

www.kassioun.org

والرهن العقاري (لان الاثينيين كانوا قد اخترعوا الرهن العقاري ايضا) لا يحترمان العشيرة ولا الفراتريـة . والحال ، كان النظام العشائري القديم لا يعرف النقود ولا القروض ولا الديون النقدية . ولهذا ادت ايضاً سيطرة النبلاء النقدية المنتشرة اوسع فاوسع الى اقرار حق جديد يرتكز على العرف والعادة لاجل حماية الدائن من المدين ، لاجل تكريس استثمار الفلاحين الصغار من جانب مالكي النقود . وفي جميع حقول الاتيك كانت تنتصب مسلات حجرية رهنية سجل عليها ان القطعة المعنية مرهونة لفلان لقاء مبلغ كذا من النقود . اما الحقول التي لم تكن معلّمة بهذه العلائم ، فكانت قد بيعت بمعظمها بسبب العجز عن تسديد قيمة الرهن العقاري او عن دفع الفوائد المئوية في الموعد المحدد ، وانتقلت الى ملكية الاريستقراطي المرابي . وكان الفلاح يعتبر نفسه سعيداً اذا ما سمحوا له بالبقاء في قطعة الارض بصفة مستاجر وبالعيش من **سدس** منتوج كدحه ، اذ يتعين عليه ان يقدم **الخمسة اسداس** الباقية الى المالك الجديد كبدل ايجار . وفضلا عن ذلك ، اذا كان المبلغ الذي تباع به قطعة الارض المرهونة لا يغطي الدين ، او اذا كان الدين لم يؤمن برهن ، كان يتعين على المدين ان يبيع اولاده عبيداً في بلدان اخرى لكي يسدد للدائن دينه . بيع الوالد ابناءه ـ تلك كانت الثمرة الاولى للحق الابوي واحادية الزواج ! واذا لم يرتو مصاص الدماء ، فقد كان بمقدوره ان يبيع المدين نفسه ايضاً كعبد . هكذا كان فجر الحضارة المشرق عند الشعب الاثيني .

من قبل ، عندما كانت ظروف حياة الشعب لا تزال تتوافق مع النظام العشائري ، كان هذا الانقلاب مستحيلا ؛ اما الآن ، فقد تحقق ، ولكن احداً لا يعرف كيف تحقق . لنعد لحظة الى اصحابنا الايروكوا . لقد كان من المستحيل عندهم قيام وضع كالوضع المفروض الآن على الاثينيين ، بدون اشتراكهم ، اذا جاز القول ،

www.kassioun.org

ومن المؤكد خلافاً لارادتهم . وهناك ، عند الايروكوا ، لم يكن ابداً بوسع اسلوب انتاج وسائل العيش ، الذي بقي هو هو سنة بعد سنة ، ان يؤدي الى نشوب مثل هذه النزاعات المفروضة كانما من الخارج ، والى ظهور مثل هذا التناقض بين الاغنياء والفقراء ، بين المستثمرين والمستثمرين . كان الايروكوا لا يزالون بعيدين جداً عن السيادة على الطبيعة ، ولكنهم كانوا ضمن بعض الحدود الطبيعية ، الواضحة بالنسبة لهم ، اسياد اسلوب انتاجهم . واذا طرحنا جانباً سوء المحاصيل في بساتينهم الصغيرة ، ونفاد موارد بحيراتهم وانهرهم من السمك ، وشدة انخفاض عدد الطرائد في غاباتهم ، فانهم كانوا يعرفون مسبقاً ما يمكنهم الإعتماد عليه في ظل اسلوبهم لتحصيل وسائل العيش . كان ينبغي لهذا الاسلوب ان يؤمن وسائل العيش ، سواء كانت ضئيلة او وفيرة ؛ ولكنه لم يكن بوسعه في حال من الاحوال ان يؤدي الى انقلابات اجتماعية غير متوقعة ، الى فصم عرى العشيرة ، الى انقسام اعضاء العشيرة والقبيلة الى طبقات متضادة تحارب بعضها بعضاً . كان الانتاج يتحرك ضمن اضيق الأطر ، ولكن المنتوج كان بكليته في حوزة المنتجين . وتلك كانت افضلية الانتاج الهائلة في عصر البربرية ؛ الا ان هذه الافضلية ضاعت عند حلول عصر الحضارة . ان مهمة الاجيال اللاحقة ستتلخص في استعادة هذه الافضلية ، ولكن على اساس السيادة القوية التي ظفر بها الانسان الآن على الطبيعة ، وعلى اساس الترابط الحر الذي اصبح الآن ممكناً .

وكان الحال مختلفاً عند اليونانيين . فان ظهور الملكية الخاصة للقطيع وسلع البذخ افضى الى التبادل بين الافراد ، والى تحول المنتوجات الى **بضائع** . وهنا يكمن جنين الانقلاب اللاحق كله . فما ان كف المنتجون عن استهلاك منتوجهم بانفسهم بصورة مباشرة ، وشرعوا يتخلون عنه بواسطة التبادل حتى فقدوا سلطانهم

www.kassioun.org

عليه . وما عادوا يعرفون ما يحدث له . وغدا من الممكن استعمال المنتوج ضد المنتج ، من اجل استثماره واضطهاده . ولهذا لا يستطيع اي مجتمع ان يحتفظ زمناً طويلا بسلطانه على انتاجه بالذات وبالرقابة على العواقب الاجتماعية لعملية انتاجه ، اذا لم يقض على التبادل بين الافراد .

ان الاثينيين هم الذين عرفوا بتجربتهم الخاصة باي سرعة يفرض المنتوج سلطانه على المنتج بعد ظهور التبادل بين الافراد وتحول المنتوج الى بضاعة . ومع الانتاج البضاعي ظهرت حراثة الارض من قبل الافراد بقواهم الخاصة ، وبعدها بفترة وجيزة ظهرت ملكية الافراد للارض . ثم ظهرت النقود ، اي البضاعة العامة التي كان يمكن بها مبادلة جميع البضائع الاخرى . ولكن الناس ، حين اخترعوا النقد ، لم يخطر في بالهم انهم خلقوا في الوقت نفسه قوة اجتماعية جديدة ، القوة الوحيدة الشاملة التي سيترتب على المجتمع بأسره ان ينحني امامها . وهذه القوة الجديدة التي انبثقت فجأة بدون علم وارادة صانعيها بالذات ، هي التي اجبرت الاثينيين ، بكل فظاظة فتوتها ، على الشعور بسيطرتها .

فماذا كان ينبغي عمله ؟ ان النظام العشائري القديم لم يقدم الدليل على عجزه حيال زحف النقود المظفر وحسب ، بل كان ايضاً عاجزاً اطلاقاً عن ان يجد في داخله اي مكان لاجل اشياء مثل النقود والدائنين والمدينين وتحصيل الدين بالقسر . ولكن القوة الاجتماعية الجديدة كانت قائمة ، ولم تستطع التمنيات البريئة والرغبة الشديدة في عودة الزمن القديم الطيب ان تطرد النقود والمرابين من العالم . وعلاوة على ذلك ، تم شق عدد من الثغرات الثانوية الاخرى في النظام العشائري . ومن جيل الى جيل ، اخذ اعضاء مختلف العشائر والفراتريات يتخالطون اكثر فاكثر في عموم اراضي الاتّيك ولا سيما في مدينة اثينا نفسها ، رغم انه

www.kassioun.org

كان لا يزال آنذاك بمقدور الاثيني ان يبيع ممن ليسوا اعضاء في عشيرته قطعاً من الارض فقط ، ولكن لم يكن بمقدوره ان يبيع مسكنه . ومع تطور الصناعة والتبادل ، تطور اكثر فاكثر تقسيم العمل بين مختلف فروع الانتاج : الزراعة ، الحرفة ، وفي داخل الحرفة ، بين انواعها التي لا عدّ لها ، والتجارة ، والملاحة ، الخ . ؛ وانقسم الناس الآن حسب اعمالهم الى جماعات ثابتة نسبياً ، لكل منها جملة من المصالح المشتركة الجديدة التي لم يكن لها مكان داخل العشيرة او داخل الفراترية ، والتي ظهرت بالتالي من اجل تأمينها الحاجة الى وظائف جديدة . ونما عدد العبيد نمواً ملحوظاً ، ومن الارجح انه زاد كثيراً في ذلك الوقت على عدد الاثينيين الاحرار . ان النظام العشائري لم يعرف ابداً في البدء العبودية ، ولم يعرف بالتالي الوسائل التي يمكن بها السيطرة على هذه الجمهرة من الناس غير الاحرار . واخيراً اجتذبت التجارة الى اثينا عدداً كبيراً من الاجانب فكانوا يستقرون فيها نظراً لسهولة الكسب ؛ ولكنهم ، بحكم النظم القديمة ، ظلوا كذلك بلا حقوق ولا حماية ، وظلوا ، رغم التساهل التقليدي ، عنصراً مزعجاً وغريباً في الشعب .

وقصارى القول ان النظام العشائري كان يقترب من نهايته . فان المجتمع كان يتخطى نطاقه يوماً بعد يوم ؛ ولم يستطع ان يحد ولا ان يزيل حتى شر الشرور التي كانت قد ظهرت امام انظار الجميع . ولكن الدولة كانت قد تطورت في هذه الاثناء بصورة غير ملحوظة . فان الجماعات الجديدة ، التي تشكلت بفضل تقسيم العمل اولا بين المدينة والريف ، ثم بين مختلف فروع العمل المدينية ، قد انشأت هيئات جديدة لاجل الدفاع عن مصالحها ؛ وأُسست الوظائف من كل نوع وشكل . ثم ان الدولة الفتية كانت قبل كل شيء بحاجة الى قوات مسلحة خاصة بها لاجل خوض غمار الحروب الصغيرة ولاجل حماية السفن التجارية ؛ وهذه القوات

www.kassioun.org

لم يكن من الممكن ان تكون في البدء عند الاثينيين الذين يتعاطون الملاحة البحرية غير قوات بحرية . وفي مرحلة غير محددة تماماً ، ولكن قبل سولون ، انشئت naucraries (النوكراريـات) ، وهي دوائر اقليمية صغيرة ، كان عددها ١٢ دائرة بكل قبيلة . وكان يتعين على كل نوكرارية ان تقدم سفينة حربية وتسلحها وتجهزها بالنوتية ، وكانت تقدم بالاضـــافة فـــارسين . وقد قوضت هـذه المؤسسة النظام العشائري بصورة مزدوجة ، لأنها ، اولا ، خلقت سلطة عامة لم تعد تتطابق ابداً بكل بسـاطة مـع مجمـل الشعب المسلح ، ولانها ، ثانيـاً ، قسمت الشعب ، للمـرة الاولى ، لاجـل اغراض عامة ، لا حسب الجماعات التي تجمع بينها صلات القربى ، بل حسب **الاقامة في ارض واحدة** . وسنرى فيما بعد اهمية هذه الظاهرة الجديدة .

وبما ان النظام العشائري لم يستطع ان يقدم للشعب المستثمَر اي عون ، فلم يبق لهذا الشعب ان يعتمد الا على الدولة الناشئة . ولـد مدت الدولـة له فعلا يد العون بصورة تنظيـم الادارة الذي طبقه سولون ، بينا اخذت تقوى اكثر فاكثر في الوقت نفسه على حساب النظام القديم . ان سولون (وقلما يهمنا هنا الاسلوب الذي طبق به اصلاحه نحو عام ٥٩٤ قبل الميلاد) قد دشن سلسلـــة مما يسمى بالثورات السياسية ، وفعل ذلك بالتدخل في ميدان علاقات الملكية . وان جميع الثـــورات التي نشبت مذ ذاك كانت ثورات للدفاع عن نوع من الملكية ضد نوع آخر من الملكية . فلم يكن بوسعها ان تدافع عن نوع من الملكية دون المساس بالآخر . وابان الثورة الفرنسية الكبرى ، ضُحّي بالملكية الاقطاعية لاجل انقاذ الملكية البرجوازية . وفي الثورة التي قام بها سولون ، كان لا بدّ ان تتضرر ملكية الدائنين في مصلحة ملكية المدينين . فقد الغيت الديون بكل بساطة . نحن لا نعرف التفاصيل بدقة ، ولكن سولون

www.kassioun.org

يتباهى في قصائده انه ازال حجارة الرهونات من قطع ارض المدينين واعاد الناس الذين بيعوا للخارج او فروا الى بلدان اخرى ، بسبب ديونهم . ولم يكن من الممكن تحقيق ذلك الا بانتهاك حقوق الملكية صراحة . وبالفعل ، قامت جميع الثورات المسماة بالثورات السياسية ، ابتداء من اول ثورة منها حتى آخر ثورة ، دفاعاً عن نوع **معين** من الملكية ، وتحققت بمصادرة ، او ، بتعبير آخر ،بسرقة نوع **آخر** من الملكية . وهكذا لا ريب في انه لم يمكن ان تقوم الملكية الخاصة خلال القرن وخمسمئة سنة الا بانتهاك حق الملكية .

ولكنه غدا من الضروري الآن التحول دون تكرار تحويل الاثينيين الاحرار الى عبيد . وقد تم ذلك قبل كل شيء بتدابير عامة مثل منع التزامات الدين التي كان شخص المدين بالذات ضمانتها وكفالتها . ثم أُقر حد اقصى للملكية العقارية التي كان من الممكن ان يملكها الفرد وذلك للحد بعض الشيء من طمع النبلاء الذي لا يروى غليله باراضي الفلاحين . وفيما بعد ، طرأت تعديلات على التنظيم نفسه . واليكم اهمها بنظرنا :

تقرر ان يتألف المجلس من اربعمئة عضو ، بنسبة ١٠٠ عضو عن كل قبيلة . وعلى هذا النحو بقيت القبيلة هنا الاساس . ولكن هذا كان الجانب الوحيد الذي اخذته الدولة الجديدة من التنظيم القديم . لأن سولون ، فضلا عن ذلك ، قسم المواطنين الى اربع طبقات تبعاً للملكية العقارية ودخلها ؛ ٥٠٠ و ٣٠٠ و ١٥٠ مديمناً (المديمن يوازي تقريباً ٤١ ليتراً) من الحبوب ، تلك كانت الحدود الدنيا من الدخل لاجل الطبقات الثلاث الاولى ؛ اما الذين كان دخلهم اقل او كانوا لا يملكون اي قطعة من الارض ، فكانوا يشكلون الطبقة الرابعة . ولم يكن من الممكن ان يشغل جميع الوظائف غير ممثلي الطبقات الثلاث العليا ؛ اما اعلى الوظائف ، فلا

www.kassioun.org

يمكن ان يشغلها غير ممثلي الطبقة الاولى . ولم يكن للطبقة الرابعة غير الحق في الكلام والتصويت في الاجتماع الشعبي ؛ ولكن هنا بالذات كان يجري انتخاب جميع الموظفين ، وهنا كان ينبغي على هؤلاء ان يقدموا حسابا عن نشاطهم ، وهنا كانت توضع جميع القوانين ، وهنا كانت الطبقة الرابعة تؤلف الاغلبية . ومن جديد جرى اثبات الامتيازات الاريستقراطية جزئياً بصورة امتيازات للثروة ، ولكن الشعب احتفظ لنفسه بالسلطة الفاصلة . وفضلا عن ذلك كان التقسيم الى اربع طبقات اساساً لاجل تنظيم القوات المسلحة تنظيما جديداً . فان الطبقتين الاوليين كانتا تقدمان الخيالة ، وكان على الثالثة ان تخدم في فصائل المشاة الثقيلة السلاح ، وعلى الرابعة ان تخدم في فصائل المشاة الخفيفة السلاح التي لا ترتدي الدروع او في الاسطول ، مع العلم انها كانت ، على الارجح ، تتقاضى اجراً لقاء خدمتها .

وهكذا أُدخل هنا عنصر جديد في نظام الحكم ، هو الملكية الخاصة . فان حقوق مواطني الدولة وواجباتهم اخذت تقاس حسب كبر ملكيتهم العقارية ؛ وبقدر ما كان يتعاظم نفوذ الطبقات المالكة ، كانت الاتحادات القديمة القائمة على قرابة الدم تزاح . ومني النظام العشائري بهزيمة جديدة .

ولكن منح الحقوق السياسية وفقاً للملكية لم يكن ابدأ احدى المؤسسات التي لا يمكن بدونها ان تقوم الدولة . ومع ان هذا المبدأ قد اضطلع بدور كبير في تاريخ تنظيم الدولة ، الا ان عدداً كبيراً جداً من الدول ، وعلى وجه الضبط اكثرها تطوراً ، استغنى عنه . بل انه في اثينا ايضاً لم يضطلع الا بدور عابر ؛ فمنذ عهد اريستيدس اصبحت جميع الوظائف في منال كل مواطن (١١١) .

وفي الثمانين سنة التالية ، تطور المجتمع الاثيني تدريجياً في الاتجاه الذي ظل يتطور فيه خلال القرون اللاحقة . فقد وضع حد

www.kassioun.org

لتفشي عمليـــات ديون الربـا على الاراضي قبـل زمن سولـون ، وكذلك للافراط في تمركز الملكية العقارية . واصبحت التجارة ، وكذلك الحرف والحرف الفنية التي كانت تتنامى اكثر فاكثر بالاستناد الى عمل العبيد ، فروع النشاط السائدة . وغدا الناس اكثر تمدناً وتنوراً . وبدلا من استثمار مواطنيهم بالذات استثماراً قاسياً كما من قبل ، شرعوا الآن يستثمرون على الاغلب العبيد وشراة البضائع الاثينية من خارج اثينا . واخذت الاموال المنقولة اي الثروة من النقود والعبيد والسفن ، تتنامى اكثر فـاكثر ، ولكنهـا لم تعد الآن مجرد وسيلة لاكتساب الاراضي ، كما كان الحال في زمن الانطواء والمحدودية السابق ، بل صارت ايضاً هدفاً بحد ذاته . ومن جراء هذا ، ظهرت ، من جهة ، في شخص الطبقة الجديدة ـ طبقة الاغنياء الذين يتعـاطون الصنـاعة والتجـارة ـ منـافسة مظفـرة لجبروت الاريستقراطية القديم ، وفقدت بقايا النظام العشائري القديم ، من جهة اخرى ، قاعدتها الاخيرة . فان العشائر والفراتريات والقبائل التي تشتت اعضاؤها الآن في عموم الاتيك وتخالطوا نهائياً ، قد غدت لهذا السبب غير صالحة اطلاقاً لتشكيل اتحادات سياسية ؛ وكان كثيرون من مواطني اثينا لا ينتسبون الى اي عشيرة ؛ فقد كانوا مهاجرين غربـاء نـالوا حق المواطنية ولكنهـم مـع ذلك لم يُقبلوا في اي من الاتحادات العشائرية القديمة ؛ وفضلا عن هؤلاء ، كان هناك ايضاً عدد متزايد ابداً من المهاجرين الغرباء المتمتعين بالحماية (او الموالي) (١١٢) .

وفي هذه الاثناء كان الصراع بين الاحزاب يواصل مجراه ؛ كانت الاريستقراطية تحاول استعادة امتيازاتها السابقة واحرزت الغلبة لفترة من الوقت ، الى ان جاءت ثورة كليستين (في عـام ٥٠٩ قبـل الميلاد) واطاحت بهـا نهائياً ، وبآخر بقـايـا النظـام العشائري (١١٣) ايضاً في آن واحد .

www.kassioun.org

ان تنظيم الادارة الجديد الذي ادخله كليستين قد تجاهل قسمة القبائل الاربع القديمة المؤسسة على العشائر والفراتريات . وعوضاً عنها ، ظهر تنظيم جديد تماماً يرتكز على تقسيم السكان ، الذي جرى اختباره في «النوكراريات» حسب مكان اقامتهم فقط . وهكذا لم يبق الدور الحاسم للانتساب الى اتحادات قربى الدم ، بل صار لمكان الاقامة الدائمة وحده ؛ ولم يقسموا الشعب ، بل قسموا الارض ؛ وتحول السكان ، من الناحية السياسية ، الى مجرد ذيل للارض .

قُسّمت منطقة الاتيك كلها الى مئة demos (ديموس) او دائرة-مشاعة تدير كل منها نفسها بنفسها . وكان المواطنون (الديموسيون) الذين يعيشون في كل ديموس ينتخبون رئيساً (الديمارك) وخازناً ، وكذلك ثلاثين قاضياً يحكمون في الخلافات الصغيرة . كذلك كان لكل ديموس معبده والهه الحامي او بطله ، وكان يختار لهما الكهان . وكانت السلطة العليا في الديموس لجمعية الديموسيين . وقد كان ذلك ، كما يلاحظ مورغان بصواب ، النموذج المسبق للمشاعة المدينية الاميركية (١١٤) التي تحكم نفسها بنفسها . ان الوحدة التي انتهت اليها الدولة العصرية في اعلى درجات تطورها كانت نقطة انطلاق الدولة الناشئة في اثينا .

كانت عشر من هذه الوحدات او الديموسات تؤلف قبيلة ؛ ولكن هذه القبيلة ، خلافا للقبيلة السابقة العشائرية ، صارت تسمى الآن بالقبيلة الاقليمية . ان القبيلة الاقليمية لم تكن اتحاداً سياسياً يحكم نفسه بنفسه وحسب ، بل كانت ايضاً اتحاداً عسكرياً ؛ وكانت تنتخب الفيلارك phylarque* اي زعيم القبيلة آمر الخيالة ، والتاكسييارك taxiarque آمر المشاة ، والستراتيجي

---

* من الكلمة اليونانية القديمة «فيلا» phyla اي القبيلة . **الناشر** .

www.kassioun.org

stratége آمر جميع القوات المسلحة المجندة في ارض القبيلة . وفضلا عن ذلك ، كانت تجهز خمس سفن حربية بطواقمها وآمريها ، وكانت تنال بطلا من ابطال الاتيك بوصفه حاميا لها وتتسمى باسمه . واخيراً كانت تنتخب خمسين ممثلا عنها في مجلس اثينا .

اما ذروة هذا التنظيم فكانتها الدولة الاثينية التي كان يديرها مجلس مؤلف من خمسمئة نائب يمثلون القبائل العشر ، والاجتماع الشعبي ـ بوصفه المرجع الاعلى والاخير ـ الذي كان لكل مواطن اثيني الحق في حضوره وفي التصويت فيه . وعلاوة على ذلك ، كان الارخونت وسائر الموظفين يسيّرون مختلف فروع الادارة والقضاء . ولم يكن هناك في اثينا رئيس للسلطة التنفيذية .

ومع تطبيق هذا التنظيم الجديد للحكم ، ومع قبول عدد كبير جداً من المتمتعين بالحماية ـ سواء من المهاجرين الغرباء او من العبيد المحرّرين ـ أُقصيت هيئات النظام القائم على قرابة الدم عن تصريف الشؤون العامة ؛ وانحطت الى مستوى رابطات خاصة واخويات دينية . ولكن عهد العشائر القديم ، بنفوذه المعنوي ونظراته المتوارثة ونمط تفكيره ، ظل زمناً طويلا يعيش في التقاليد ، وهذه التقاليد لم تندثر الا تدريجيا . وقد انعكس هذا في واحدة من آخر مؤسسات الدولة .

لقد رأينا ان احدى العلائم الجوهرية للدولة تتلخص في سلطة عامة منفصلة عن سواد الشعب . وفي ذلك الحين لم يكن لدى اثينا غير الجيش الشعبي ، والاسطول الذي كان الشعب يقدمه مباشرة . وكان الجيش والاسطول يحميانها من الاعداء الخارجيين ويفرضان الطاعة على العبيد الذين كانوا آنذاك يشكلون اغلبية السكان الملحوظة . وتجاه المواطنين ، لم تكن السلطة العامة في البدء قائمة الا بصفة بوليس ؛ وكان البوليس قديما قدم الدول ، ولهذا كان الفرنسيون السذج من القرن الثامن عشر لا يتحدثون عن الامم

www.kassioun.org

المتمدنة بل عن الامم البوليسية (nations policées). وهكذا أسس الاثينيون ، في آن واحد مع دولتهم ، بوليسا ، دركا حقيقيا من النبالة المشاة والخيالة ، او اللانديا غر (Landjäger) كما يسمونهم في المانيا الجنوبية وفي سويسرا . ولكن هذا الدرك كان يتألف من العبيد . فقد كانت هذه الخدمة البوليسية تبدو للاثيني الحر مذلة الى حد انه كان يفضل الاستسلام للعبد المسلح ، شرط الاّ يمارس هو نفسه هذا العمل المشين . وفي هذا كانت لا تزال تنعكس عقلية العشيرة القديمة . فلم يكن بوسع الدولة ان تعيش بدون البوليس ، ولكنها كانت لا تزال بعد فتية ، ولم تكن تتمتع بعد بما يكفي من النفوذ المعنوي لكي تجعل من مهنة كانت تبدو بالضرورة مشينة وخسيسة لاعضاء العشائر القدامى مهنة محترمة .

ان الازدهار السريع الذي عرفته الثروة والتجارة والصناعة يدل على مبلغ توافق الدولة التي تكونت سماتها الرئيسية مع وضع الاثينيين الاجتماعي الجديد . فان التناحر الطبقي الذي ارتكزت عليه المؤسسات الاجتماعية والسياسية لم يكن الآن ذلك التناحر بين الاريستقراطية والشعب البسيط ، بل التناحر بين العبيد والاحرار ، بين الموالي والمواطنين الكاملي الحقوق . وفي اوج ازدهار اثينا ، كان مجمل عدد المواطنين الاحرار ، بمن فيهم النساء والاطفال ، يبلغ زهاء ٩٠٠٠٠ شخص ، بينما كان عدد العبيد ذكوراً واناثاً يبلغ ٣٦٥٠٠٠ شخص ، وعدد الموالي — من مهاجرين غرباء وعبيد محرّرين — ٤٥٠٠٠ شخص . وهكذا كان يوجد مقابل كل مواطن راشد من الذكور ١٨ عبداً على الاقل واكثر من اثنين من الموالي . وسبب هذا العدد الكبير من العبيد ، ان كثيرين منهم كانوا يشتغلون معاً في المانيفاكتورات ، في مشاغل كبيرة ، تحت رقابة المراقبين . ولكن تطور التجارة والصناعة افضى الى تراكم وتمركز الثروات في قلة من الايدي ، وكذلك الى

www.kassioun.org

افتقار سواد المواطنين الاحرار الذين لم يبق لهم الا الاختيار بين سبيلين لا ثالث لهما : اما ان ينافسوا عمل العبيد بانصرافهم هم انفسهم الى ممارسة الحرف ، الامر الذي كان يعتبر مشيناً ، مذلا ، منحطاً ، ناهيك بانه لا يبشر بكبير النجاح ، واما ان يتحولوا الى فقراء . وفي الظروف المعنية ، ساروا بحكم الضرورة في السبيل الاخير ؛ وبما انهم كانوا يؤلفون سواد السكان ، فقد ادى ذلك الى هلاك الدولة الاثينية كلها ايضاً . فليست الديموقراطية هي التي أهلكت اثينا ، كما يزعم الادعياء المدرسيون الاوروبيون الذين يتملقون الملوك والامراء ، بل العبودية التي جعلت عمل المواطن الحر موضع احتقار وازدراء .

ان ولادة الدولة عند الاثينيين هي مثال نموذجي ، ولا ارقى ، على تكوّن الدولة بوجه عام ، وذلك من جهة ، لانها تجري بشكل نقي ، دون اي تدخل عنيف من الداخل ومن الخارج ، — ان اغتصاب بيسيستراتس للسلطة خلال فترة وجيزة لم يترك اي اثر (١١٥) ، — ومن جهة اخرى ، لأن شكلا متطوراً جداً للدولة في الحالة المعنية ، هو الجمهورية الديموقراطية ، ينبثق مباشرة من المجتمع العشائري ، واخيراً ، لاننا نعرف كفاية جميع التفاصيل الاساسية لنشوء هذه الدولة .

٦

العشيرة والدولة في روما

يتبين من اسطورة تأسيس روما ان اول مقام كان من صنع عدد من العشائر اللاتينية (مائة ، حسب الاسطورة) المتحدة في قبيلة واحدة انضمت اليها بعد فترة وجيزة من الوقت قبيلة سابيلية تتالف هي ايضاً ، كما تقول الاسطورة ، من مائة عشيرة ، ثم

www.kassioun.org

قبيلة ثالثة تتألف من عناصر مختلفـــة ، وتضم هي ايضاً ، كما نقول الاسطورة ، مائة عشيرة . وان القصة كلها تبين من الوهلة الاولى انه لم يكن هناك اي شيء تكوّن بصورة طبيعية باستثناء العشيرة ، وان العشيرة لم تكـــن في بعض الاحوال غير فرع مـــن عشيرة اصلية ، اولية ، ظلت تعيش في موطنها القديـــم . وعلى القبائل يبدو خاتم تركيبها المصطنع ، ولكن هذا التركيب مصنوع بمعظمه من عناصر متقاربة وحسب نموذج القبيلة القديمـــة التي تنامت بصورة طبيعية ، لا حسب نموذج القبيلة المشكلـة بصورة مصطنعة ؛ ومع ذلك ، ليس من المستبعد انه كان من الممكن ان تكون نواة كل من القبائل الثلاث قبيلة قديمـة حقيقية . فـــان الحلقة الوسيطة ، الفراترية ، كانت تتالف من عشر عشائر وتسمى curia (« كوريا ») ؛ فكان هناك اذن ثلاثون « كوريا » .

ومن المعترف به عموماً ان العشيرة الرومانيـــة كانت نفس المؤسسة التي كانتهـــا العشيرة اليونانيـــة . ولئن كانت العشيرة اليونانية شكلا اكثر تطوراً لتلك الخلية الاجتماعية التي تجد شكلها البدائي عند الهنود الحمر الاميركيين ، فان هذا يصح كلياً ايضاً على العشيرة الرومانية . ولذا بوسعنا ان نكون هنا اكثر ايجازاً .

ان العشيرة الرومانية ، في الآونة الاولى على الاقل من وجود المدينة ، تتسم بالتركيب التالي :

١ ــ حق اعضاء العشيرة في وراثة بعضهم بعضاً ؛ الممتلكات تبقى داخل العشيرة . وبمـا ان الحق الابوي كان يسود سواء في العشيرة الرومانية او في العشيرة اليونانيـة ، فان الذرية من حبل النسل النسائي كانت مستبعدة عن الارث . وبموجب قوانين الالواح الاثني عشر (١١٦) ، وهي اقدم أثر مكتوب نعرفه عن الحـــق الروماني ، كان الاولاد هم الذين يرثون في المقام الاول بوصفهـــم الورثـــة المباشرين ؛ وفي حال عدم وجودهم « الاغنات » agnats

www.kassioun.org

(اي الاقرباء حسب حبل النسل **الرجالي**) ، وفي حال عدم وجود هؤلاء ، اعضاء العشيرة . وفي جميع الاحوال ، كانت الممتلكات تبقى داخل العشيرة . ونحن نرى هنـــا كيف تسربت تدريجيا الى عادة العشيرة قواعد قانونية جديدة نجمت عن نمو الثروة وعن احادية الزواج : ان حق الوراثة ، المتساوي في الاصل بين جميع اعضاء العشيرة ، يقتصر عملياً ــ وباكراً جداً ، كمـــا اشير اعـلاه ــ على «الاغنات» في البدء ، واخيراً على الاولاد وذريتهـــم حسب حبل النسل الرجالي . اما في الالواح الاثني عشر ، فان هذا يرد بالطبع في تسلسل معاكس .

٢ ــ امتلاك ارض مشتركة للدفن . فعندمـــا انتقلت عشيرة كلوديوس الاريستقراطية من مدينة ريغيل الى روما ، حصلت على رقعة من الارض ، وكذلك على مكان مشترك في المدينة نفسها من اجل الدفن . وحتى في عهد اوغسطوس ، دفن رأس فار (١١٧) ، الذي قتل في غاب توتوبورغ وجيء به الى روما ، في gentilitius tumulus * وهكذا اذن كانت العشيرة (Quintilia ــ كوينتيليـا) لا تزال تملك جثوة خاصة للدفن .

٣ ــ اعياد دينية مشتركـــة . وهذه sacra gentilitia * * معروفة .

٤ ــ واجب عـــدم الزواج داخل العشيرة . ويبدو ان هذا لم يتحول يوماً في روما الى قانون مكتوب . ولكنه بقي عادة . وبين العدد الهائل من الازواج التي وصلت اسماؤها الينـــا ، ليس لاي زوج اسم عشيري واحد لكلا الرجل والمرأة . ثم ان حق الوراثـــة يؤكد هذه القاعدة . فان المرأة تفقد حقوقها «الاغناتية» عندمـا

---

* ــ جثوة العشيرة . **الناشر** .

* * ــ اعياد مقدسة عشيرية . **الناشر** .

www.kassioun.org

تتزوج ، وتخرج من عشيرتها . وليس في وسعهـــا ولا في وسع اولادها وراثة والدها او اخوة والدهـــا ، والا فقدت عشيرة الوالد حصة من الميراث . وليس لهذا معنى الا اذا افترضنا ان المـــرأة لا تستطيع ان تتزوج من اي عضو من عشيرتها .

٥ ــ ملكية عقارية مشتركة . كانت هذه موجودة على الدوام في الازمنة البدائية ، منذ ان شرعت القبائل تتقاسم الارض . وبين القبائل اللاتينية ، نجد الارض جزئياً ملك القبيلة ، وجزئياً ملك العشيرة ، وجزئياً ملك الاقتصادات المنزلية التي لم يكن من الممكن ابداً ان تكون آنذاك عائلات منفـــردة . ويُنسب الى رومولوس انه قام باول تقسيم للارض بين الافراد ، مانحاً كلا منهم قرابـة هكتار (يوغران jugerum) . ولكننا نجد فيما بعد ايضاً ملكيات عقارية تخص العشيرة ، ناهيك عن اراضي الدولة التي يدور حولها كل تاريخ الجمهورية الداخلي .

٦ ــ واجب اعضـــاء العشيرة ان يساعدوا ويحموا بعضهـــم بعضاً . ان التاريخ المكتوب لا يبين لنـــا غير حطام هذه العادة . فان الدولة الرومانية قد دخلت الحلبة دفعة واحدة بوصفها قوة على درجـــة من التفوق بحيث ان حق الحماية من المظالم انتقـــل اليها . فعندما اعتقل ابيوس كلوديوس ، ارتدى جميع اعضاء عشيرتـه ثياب الحداد ، بمن فيهـــم اولئك الذين كانـوا اعداءه الشخصيين (١١٨) . وابان الحرب البونيكيـــة الثانية (١١٩) ، اتحدت العشائر لاجل افتداء اعضائها الاسرى ؛ ولكن «السينات» (مجلس الشيوخ) **منعها** من ذلك .

٧ ــ الحق في اتخـــاذ اسم العشيرة . وقد بقي حتى زمـــن الامبراطورية ؛ وقد سمح للمحرّرين اتخاذ اسم عشيرة اسيادهـم السابقين ، ولكن دون اكتساب حقوق اعضاء العشيرة .

٨ ــ الحق في قبول الغرباء في العشيرة . وكان يُطبَق بتبني

www.kassioun.org

احدى العائلات (كما عند الهنود الحمر) للغريب المعني ، الامـــر الذي كان يستتبع قبوله في العشيرة .

٩ ــ لم يرد اي ذكر لحق انتخاب واقالـــة الرئيس . ولكن بما ان جميع الوظائف ، ابتداء من وظيفة الملك ، كانت تُولّى بالانتخاب او بالتعيين في المرحلة الاولى من تاريخ روما ، وبمـــا ان كهان «الكوريا» ايضاً كانت تنتخبهم «الكوريا» ذاتها ، ففي وسعنا ان نفترض الوضع نفسه فيما يتعلق برؤساء (principes) العشائر ، حتى وان كان من الممكن ان يكون انتخابهم من العائلـــة نفسها في العشيرة قد اصبح قاعدة .

تلك كانت وظائف العشيرة الرومانية . وهي تشبه تمامـــاً حقوق وواجبات العشيرة الايروكية ، باستثناء الانتقـــال الناجز الى الحق الابوي ؛ وهنا ايضـــاً «يتراءى الايروكوا بوضـــوح» (١٢٠) .

ولن نسوق غير مثال واحد لكي نبين اي تشوش في مسألـة النظـــام العشائري الرومـــاني لا يزال سائداً في الوقت الحاضر حتى بين اشهر مؤرخينا . فقد جاء في مؤلف مومزن بصدد اسماء العلـــم الرومانيـــة في زمن الجمهوريـــة وفي عهد اوغسطوس («دراســـات في تاريخ روما» ، برلين ، ١٨٦٤ ، المجلد الاول) (١٢١) ما يلي :

«فضلا عن جميع اعضاء العشيرة من الذكور ، باستثنـــاء العبيد ، بالطبع ، ولكن بمن فيهم المقبولون بالتبني في العشيرة والموالي ، كان اسم العشيرة يمنح ايضاً للنساء ... ان القبيلة» (هكذا يترجم مومزن هنا كلمة gens («جنس»)) «انما هي ... جماعة ظهرت على اساس اصل مشترك ــ فعلي او محتمل او حتى ملفق ــ وتوحدها عرى المشاركة في الاعياد والمدافن والوراثـــة ، جماعـة يجب ويمكن ان ينتسب اليها جميع الافراد الاحرار شخصياً ، وبالتالي النساء ايضاً . ولكن ما يصعب الامر ، انما هو تحديد اسم

www.kassioun.org

عشيرة النساء المتزوجات . ان هذه الصعوبة لم تكن قائمة بالطبع طالما لم يكن بمقدور المرأة ان تتزوج الا من عضو من اعضاء «جنسها» ؛ وخلال زمن طويل ، كما يمكن اثبات ذلك ، كان من الاصعب على المرأة ان تتزوج خارج عشيرتها مما داخل عشيرتها ، لان حق الزواج خارج العشيرة ــ gentis enuptio ــ كان لا يزال يمنح حتى في القرن السادس على سبيل المكافأة بوصفه امتيازاً شخصياً . . . ولكن ، حيثما كانت تنعقد الزواجات خارج العشيرة ، كان ينبغي على المرأة ، في الازمنة الاولى ، انْ تنتقل الى قبيلة زوجها . ولا سبيل ابداً الى الريب في ان المرأة كانت ، بموجب الزواج الديني القديم ، تدخل كلياً في جماعة زوجها الشرعية والدينية وتخرج من جماعتها . ومن ذا الذي لا يعرف ان المرأة المتزوجة تفقد ، حيال اعضاء عشيرتها ، الحق في الحصول على الارث وفي توريث اموالها ، وانها تدخل بالمقابل في الرابطة التي تملك حقوقاً مشتركة في الارث والتي تشمل زوجها واولادها واعضاء عشيرتهم على العموم . واذا كانت كأنما يتبناها زوجها واذا كانت تدخل في عائلته ، فكيف يمكن اذن ان تبقى غريبة عن عشيرته ؟» (ص ص ٨ ــ ١١) .

وعليه يزعم مومزن ان النساء الرومانيات اللواتي ينتسبن الى عشيرة من العشائر لم يكن بوسعهن الزواج في البدء الا **داخل** عشيرتهن ، وان العشيرة الرومانية كانت بالتالي داخلية الزواج لا خارجية الزواج . ان هذه النظرة التي تناقض كل ما نعرفه عن الشعوب الاخرى ، ترتكز بصورة رئيسية ، ان لم يكن بوجه الحصر ، على مقطع واحد وحيد عند تيطس ليفيوس ، اثار الكثير من النقاش والجدال (الكتاب ٣٩ ، الفصل ١٩ (١٢٢)) وورد فيه ان مجلس الشيوخ قرر في العام ٥٦٨ من تأسيس روما ، اي في عام ١٨٦ قبل الميلاد :

„uti Feceniae Hispalae datio, deminutio, gentis enuptio, tutoris optio item esset quasi ei vir testamento dedisset ; utique ei ingenuo nubere liceret, neu quid ei qui eam duxisset, ob id fraudi ignominiaeve esset"

ــ «لكي يحق لفيتسينيا هيسبالا ، ان تتصرف بمالها وتنفق منه ، وتتزوج خارج العشيرة وتختار وصياً عليها ، كأنما زوجها» (المتوفى)

www.kassioun.org

«منحها هذا الحق بالوصية ؛ ولكي يحق لها ان تتزوج من مواطن حر ، دون ان يتهم الرجل الذي يتزوج منها بانه تصرف تصرفا غبيا او مخزيا» .

فلا ريب اذن انهم يمنحون هنا فيتسينيا ، المعتَقَة ، الحق في الزواج خارج عشيرتها . ومن المؤكد كذلك انه ينجم من هنا انه كان يحق للزوج ان يمنح زوجته بالوصية الحق في الزواج خارج العشيرة بعد وفاته . ولكن خارج **اي** عشيرة ؟

لئن كان يتعين على المرأة بان تتزوج داخل عشيرتها كما يعتقد مومزن ، لبقيت بعد الزواج ايضاً في هذه العشيرة . ولكن هذا القول بالزواج الداخلي هو الذي ينبغي تقديم البرهان على صحته . هذا اولا . وثانياً ، لئن كان يتعين على المرأة ان تتزوج داخل عشيرتها ، فقد كان ذلك يتعين على الرجل ايضاً بالطبع ، والا لما كان بوسعه ان يجد زوجة له . وهذا يعني انه كان في مقدور الزوج ان يمنح زوجته بالوصية حقاً كان لا يملكه هو نفسه وكان لا يستطيع الاستفادة منه في مصلحته بالذات . وهذا محال من الناحية القانونية . وهذا ما يشعر به مومزن ايضاً ، ولهذا يورد الفرضية التالية :

«لاجل الزواج خارج العشيرة ، كان ينبغي قانونياً ، اغلب الظن ، لا موافقة ذي السلطة وحسب ، بل ايضاً موافقة جميع اعضاء العشيرة» (ص ١٠ ، الملاحظة) .

اولا ، هذه فرضية جريئة جداً ؛ وهي ، ثانياً تناقض النص الصريح في المقطع المذكور آنفاً ؛ فان مجلس الشيوخ يمنحها هذا الحق **بالنيابة عن الزوج** ؛ وهو يمنحها صراحة ما كان بوسع زوجها ان يمنحها اياه ، لا اكثر ولا اقل ؛ ولكن ما يمنحها اياه ، انما هو حق **مطلق** ، لا يحده اي شرط او قيد . وعليه ، اذا استخدمت

www.kassioun.org

هذا الحق ، فان زوجها الجديد ، هو ايضاً ، لن يتضرر ؛ بل ان مجلس الشيوخ يكلف القناصل والبريتـــوريين الحاليين والمقبلين بالحرص على ألا يلحق بها اي اجحاف وضرر . وهكذا تبدو فرضية مومزن غير مقبولة ابداً .

او لنفترض ايضاً ان المرأة تزوجت رجلا من عشيرة اخرى ، ولكنها بقيت في عشيرتها الاصلية . ففي هذه الحال ، حسبما جاء في النص المذكور آنفاً ، كان يحق للزوج ان يسمح للزوجة بالزواج خارج عشيرتها . وهذا يعني انه كان يحق له التصرف في شؤون عشيرة لا ينتسب اليها اطلاقاً . وهذا هراء لا يجدر ان نضيف بصدده اي كلمة .

فلا يبقى اذن غير ان نفترض ان المرأة تزوجت للمرة الاولى رجلا من عشيرة اخرى ، وانها انتقلت على الفور الى عشيرة زوجها بحكم هذا الزواج ، حسبما يقر فعلا بذلك مومزن ايضاً في مثل هذه الاحوال . آنذاك تتضح دفعة واحدة جميع العلاقات المتبادلة . فان الزوجة التي انفصلت اثر الزواج عن عشيرتها السابقة وقبلت في عشيرة جديدة هي عشيرة زوجها ، تشغل هنا وضعاً خاصاً تماماً . فهي حقاً عضو في العشيرة ، ولكنه لا تجمعها بها قرابة الدم ؛ ان طابع قبولها يحررها سلفاً من كل منع عن الزواج داخل العشيرة التي انضمت اليها عن طريق الزواج . وهي ، فضلا عن ذلك ، مقبولة في الرابطة العشيرية التي تملك حقوق الوراثة العامة ، ولذا ترث اموال زوجها في حال وفاته ، اي انها ترث اموال عضـــو مـــن العشيرة . أوليس من الطبيعي تماماً ان تقوم قاعدة تلزم الزوجة ، رغبة في الحفاظ على الاموال في العشيرة ، بالزواج من عضو من عشيرة زوجهـــا الاول لا من رجل من عشيرة اخرى ؟ واذا كان لا بد من اجازة استثناء ، فمن ذا الذي يملك ما يكفي من الحقوق والصلاحيات لمنحها مثل هذا الحق ان لم يكن زوجها الاول الذي

www.kassioun.org

اوصى لها بهذه الاموال ؟ وعندما يوصي لها بقسم من امواله ويسمح لها في آن واحد بنقل هذا القسم الى عشيرة غريبة عن طريق الزواج او بنتيجة الزواج ، فان هذه الاموال لا تزال تخصه ؛ وهو بالتالي لا يتصرف حقاً وفعلا الا بملكه . اما فيما يتعلق بالزوجة نفسها وبعلاقتها بعشيرة زوجها ، فان الزوج هو الذي ادخلهـــا الى هذه العشيرة بفعل من ارادته الحرة ، بالزواج . ولذا كان من الطبيعي ايضاً ان يكون هو على وجـــه الضبط الشخص الذي يستطيع ان يمنحها الحق في الخروج من هذه العشيرة بواسطة الزواج الثاني . وبكلمة ، تبدو المسالة بسيطة وبديهية ما ان نطرح جانباً الفكرة الغريبة القائلة بالزواج الداخلي في العشيرة الرومانية ، وما ان نقر مـــع مورغان بان هذه العشيرة كانت في الاصل خارجية الزواج .

تبقى فرضية اخرى واخيرة وجدت هي ايضاً انصاراً لهـا ، ولربما اكبر عدد من الانصـــار : ان المقطع المذكور من تيطس ليفيوس يعنى فقط :

«ان الخادمات المعتقات (libertae) لا يستطعن ، بدون اذن خاص ، e gente enubere» ، (الزواج خارج العشيرة) «او القيام باي عمل آخـــر من شانه ، لارتباطه مع capitis diminutio minima * ان يستتبع خروج liberta من الرابطة العشيرية» (لانغه . «الازمنة القديمة الرومانية» ، برلين ، ١٨٥٦ ، المجلد الاول ، ص ١٩٥ حيث يستشهد بهوشكه (١٢٣) فيما يخص مقطع تيطس ليفيوس الذي اوردناه) .

اذا كانت هذه الفرضية صحيحة ، فان المقطع المذكور آنفاً لا يثبت شيئاً على الاطلاق فيما يتعلق بوضع الرومانيات الحرات ، وفي هذه الحـــال لا يمكن ابداً ان يدور الكلام حول واجب هؤلاء النساء بالزواج داخل العشيرة .

---

* ـــ فقدان الحقوق العائلية . **الناشر** .

www.kassioun.org

ان تعبير enuptio gentis لا يرد الا في هذا المقطع وحده ، ولا يظهر بعد ذاك ابداً في الادب الروماني كله ؛ وكلمة enubere — الزواج خارجاً — لا ترد الا ثلاث مرات ، وعند تيطس ليفيوس ايضاً ، ناهيك بانها لا ترد بصدد العشيرة . ان الفكرة الخيالية الغريبة الزاعمة انه لم يكن بمستطاع الرومانيات ان يتزوجن الا داخل العشيرة مدينة بظهورها لهذا المقطع وحده . ولكنها لا تصمد اطلاقا للنقد . وبالفعل ، اما ان هذا المقطع يتعلق بقيود خاصة بالنسبة للمعتقات ، وهو في هذه الحال لا يثبت شيئاً فيما يتعلق بالحرات ingenuae ؛ واما انه يصح على الحرات ايضاً ، وهو في هذه الحال يثبت بالاحرى ان المرأة كانت ، على العموم ، تتزوج خارج عشيرتها ، ولكنها كانت تنتقل بحكم الزواج الى عشيرة زوجها ؛ وهو بالتالي برهان ضد مومزن وفي صالح مورغان .

بعد تأسيس روما بنحو ثلاثمئة سنة ، كانت العرى العشيرية لا تزال قوية الى حد ان احدى عشائر الخواص ، وهي عشيرة فابيوس ، استطاعت باذن من مجلس الشيوخ ، ان تقوم بقواها الخاصة بزحف حربي على مدينة فييه المجاورة . ويقال ان ٣٠٦ من فابيوس قد اشتركوا في هذا الزحف وانهم قتلوا جميعهم في كمين نصب لهم ، وان صبياً صغيراً بقي على قيد الحياة ، فواصل العشيرة .

كانت عشر عشائر ، كما قيل اعلاه ، تؤلف فراترية ؛ وكانت الفراترية تسمى هنا «كوريا» وكانت لها وظائف عامة أهم من التي كانت للفراترية اليونانية . وكانت لكل كوريا طقوسها الدينية ومقدساتها وكهانها . وكان هؤلاء الكهان يشكلون بمجملهم احدى الهيئات الكهنوتية الرومانية . وكانت عشر كوريات تشكل قبيلة ؛ وكان للقبيلة في البدء ، اغلب الظن ، شأنها شأن سائر القبائل

www.kassioun.org

اللاتينيـــة ، رئيس منتخب هو القائد العسكري والكاهن الاكبر . وكانت القبائل الثلاث تؤلف بمجملها الشعب الروماني ، populus romanus.

فلم يكن من الممكن اذن ان ينتسب الى الشعب الروماني الا من كان عضواً في عشيرة ، وبواسطتها عضواً في كوريا وقبيلة . وفيما يلي التنظيم الاولي للحكم عند هذا الشعب . في البدء ، كان السينات (مجلس الشيوخ) هو الذي يصرف الشؤون العامة ؛ وكان مجلس الشيوخ ، كما لاحظ نيبور عن حق وصواب للمرة الاولى ، يتألف من شيوخ ثلاثمئة عشيرة (١٢٤) ؛ ولهذا بالذات كانوا يسمون ، بوصفهم شيوخ العشائر ، بالآباء patres ، وكان مجموعهم يسمى السينات (مجلس الشيوخ ، من كلمـة senex اي شيخ) . وقد اصبح انتخاب الشيوخ على الدوام من العائلة ذاتها عادة متبعة ، الامر الذي ادى هنا ايضا الى نشوء اول اريستقراطية عشيرية . وكانت هذه العائلات تسمى بالباتريسية (عائلات الخواص) وتدعي بان لها وحدها دون غيرها الحق في دخول مجلس الشيوخ وشغل جميع الوظائف الاخرى . ان واقع ان الشعب خضع مع مرور الزمن لهذه الادعاءات ، فتحولت الى حق فعلي ، قد وجد تعبيراً عنه في الاسطورة القائلة ان رومولوس منح الشيوخ الاوائل وخلفاءهم رتبة العائلات الباتريسية وامتيازاتها . وقد كان لمجلس الشيوخ ، مثله مثل bulê الاثيني ، الحق في اتخاذ القرارات النهائية في كثير من القضايا ، وفي بحث اهمها مسبقا ، ولا سيما منها القوانين الجديدة . وهذه القوانين كانت تقرها نهائيا الجمعية الشعبية التي كانت تسمى comitia curiata (جمعية الكوريات) . فقد كان الشعب يجتمـــع كوريات كوريات ، وفي كل كوريـــا ، عشائر اغلب الظن ؛ وعند اتخاذ القرارات كان لكل من الكوريات الثلاثين صوت واحد . وكانت جمعية الكوريات تقر او ترفض جميع القوانين ، وتنتخب جميع

www.kassioun.org

كبار الموظفين بمن فيهم rex (« الركس » اي ما يسمى بالملك) ، وتعلن الحرب (ولكن مجلس الشيوخ هو الذي كان يعقد الصلح) وتصدر الاحكام المبرمة ، بوصفهـــا الهيئة القضائية العليـــا ، بعد استئناف الاطراف في جميع القضايا التي تتعلق باصدار حكم بالاعدام على مواطن روماني . والى جانب مجلس الشيوخ والجمعية الشعبية ، كان هناك اخيراً rex (« ركس ») يطابق تماماً basileus الباسيليوس اليوناني ، ولم يكن اطلاقاً ، كما يصوره مومزن (١٢٥) ، ملكاً غير مقيد تقريباً* ، وكان هو ايضاً قائداً حربياً ، وكاهناً اكبر ، وكان يرأس بعض المحاكم . ولم يكن يملك اطلاقاً اي صلاحيات في ميدان الادارة المدنية ، وكذلك اي سلطة على حياة المواطنين وحريتهم وملكيتهم ، اللهم ان لم تكن تنجم عن السلطة الانضباطية التي يملكها القائد الحربي او عن سلطة رئيس الهيئة القضائية فيما يتعلق بتنفيذ الاحكام . ولم تكن وظيفة « الركس » ورائية ؛ بل بالعكس . ففي البدء ، كان يُنتخب ، على الارجح ، بناء على اقتراح سابقه في

---

* الكلمة اللاتينية rex تطابق الكلمـــة السلتيـــة ـ الارلنديـــة righ (شيخ القبيلة) والكلمة القوطية reiks ؛ وهذه الكلمة ، مثلمـــا في الاصـــل الكلمة الالمانية Fürst (وتعني نفس ما تعنيه الكلمـــة الانجليزيـــة first والكلمة الدانماركية förste ، اي « الاول ») ، تعني كذلك شيخ (رئيس ، زعيم) العشيرة او القبيلـــة ؛ والدليـــل على ذلك ، انه كانت للقوط منـــذ القرن الرابع كلمة خاصة لمن سموه فيما بعد بالملك ، بالقائد العسكـــري لشعبـــه كلـــه : thiudans (التيودانس) . وفي ترجمـــة اولفيلا للتوراة ، لا تطلق ابداً كلمـــة reiks على ارتحششتـــا وهيرودوس ، بـــل thiudans ولا تسمـــى دولـــة الامبراطـــور تيباريوس reiki بـــل thiudinassus . ان المســميين قد اندمجا في اسم تيودانس القوطي ، او (كما نترجـــم بصورة ١٠ دقيقـــة) في اســـم الملك Thiudareiks (تيوداريكس) ، Theodorich (تيودوريخ) ، اي Dietrich (ديتريخ) .

www.kassioun.org

الوظيفة ، من قبل جمعية الكوريات ، ثم كان يجري تنصيبه في الوظيفة باحتفال في اجتماع ثان لجمعية الكوريات . وكان من الممكن كذلك اقالته ، الامر الذي يبرهن عليه مصير تركوينوس المتكبر .

كان الرومانيون في عهد من كانوا يسمونهم «بالملوك» ، يعيشون ، شانهم شان اليونانيين في العهد البطولي ، في ظل ديموقراطية عسكرية منبثقة من العشائر والفراتريات والقبائل ، ومرتكزة عليها . صحيح ان الكوريات والقبائل كانت مؤلفة جزئيا بصورة اصطناعية ، ولكنها كانت منظمة حسب نموذج الاشكال المسبقة الحقيقية والطبيعية لذلك المجتمع الذي انبثقت منه والذي كان لا يزال يحيط بها من جميع الجوانب . ومع ان الاريستقراطية الباتريسية التي تطورت بصورة عفوية كانت قد كسبت آنذاك تربة راسخة تحت قدميها ، ومع ان «الركسات» حاولوا ان يوسعوا صلاحياتهم شيئاً فشيئاً ، الا ان كل هذا لا يغير صفة النظام الاساسية الاولية ؛ والحال ، هنا بيت القصيد .

وفي هذه الاثناء ، كان عدد سكان مدينة روما والمقاطعة الرومانية التي كانت تتسع رقعتها بفضل الفتوحات ، ينمو جزئياً بالهجرة اليها وجزئياً بفضل سكان المناطق المفتوحة ، اللاتينية باغلبيتها . ان جميع رعايا الدولة الجدد هؤلاء (ونحن هنا لا نتناول مسالة clients الاتباع) كانوا خارج العشائر والكوريات والقبائل القديمة ، ولذا لم يكونوا جزءاً لا يتجزأ من populus romanus ، من الشعب الروماني بالذات . كانوا اناساً احراراً شخصياً ، وكان بوسعهم حيازة الارض على سبيل الملكية ، وكان عليهم ان يدفعوا الضرائب ويؤدوا الخدمة العسكرية . ولكنه لم يكن بمقدورهم ان يشغلوا اي وظيفة من الوظائف ، ولم يكن

www.kassioun.org

بمقدورهم ان يشتركوا لا في اجتماعات الكوريات ولا في قسمة الاراضي التي استولت عليها الدولة . كانوا يشكلون طبقة plébs (البليبس) اي العوام ، المحرومة من جميع الحقوق السياسية . وبفضل عددهم المتنامي باستمرار ، وتدريبهم العسكري واسلحتهم، اصبحوا قوة رهيبة بوجه populus (الشعب) القديم الذي امسى مغلقاً تماماً دون اي نمو من الخارج . اضف الى ذلك ان الملكية العقارية كانت ، على الارجح ، قد وزعت بالتساوي تقريباً بين plébs و populus ، بينما الثروة التجارية والصناعية ، التي لم تكن قد تطورت بعد بقوة ، كانت في ايدي plébs (العوام) على الاخص .

وبسبب الظلام الكثيف الذي يلف تاريخ روما الاسطوري البدائي ــ وهو ظلام شدده كثيراً ما بذله علماء القانون المتأخرون الذين تشكل مؤلفاتهم مصادرنا من محاولات لتفسير التاريخ بطريقة براغماتية عقلانية وما قدموه من اوصاف وعروض بالطريقة ذاتها ــ يستحيل قول اي شيء دقيق سواء فيما يتعلق بزمن او مجرى او ظروف نشوب تلك الثورة التي وضعت حداً للنظام العشائري القديم . ولكنه يمكن التأكيد فقط ان سببها يكمن في الصراع بين plébs و populus .

وبموجب نظام الادارة الجديد ، المنسوب الى الركس سرفيوس توليوس ، والمستند الى النماذج اليونانية ولا سيما الى سولون ، انشئت جمعية شعبية جديدة كان يشترك فيها populus و plébs او يقصون عنها دون اي تمييز ، تبعاً لقيامهم او عدم قيامهم بواجباتهم العسكرية . وقد جرت قسمة جميع الرجال الملزمين بالخدمة العسكرية الى ست طبقات حسب ملكيتهم . وكان الحد الادنى من الملكية في كل من الطبقات الخمس الاولى : ١٠٠٠٠٠ اس للطبقة الاولى ، ٧٥٠٠٠ اس للثانية ، ٥٠٠٠٠ اس للثالثة ،

www.kassioun.org

٢٥٠٠٠ أس للرابعة ، ١١٠٠٠ أس للخامسة ، اي ما يوازي على التوالي ، كما يقول دورو دي لا مال ، زهاء ١٤٠٠٠٠ و١٠٥٠٠ و٧٠٠٠ و٣٦٠٠ و١٥٧٠ ماركاً (١٢٦). اما الطبقة السادسة ، وهي طبقة البروليتاريا ، فكانت تتألف من قليلي الملكية المعفيين من الخدمة العسكريـــة والضرائب . وفي الجمعية الشعبية الجديدة من السنتوريات Centuries (comitia centuriata) ، كان المواطنـــون يوزعون على النمط العسكري ، سرايا سرايا ، اذا جاز القول ، سنتوريات سنتوريات ، كل سنتورية من ١٠٠ شخص ، مع العلم انه كان لكل سنتورية صوت واحد . ولكن الطبقة الاولى كانت تقدم ٨٠ سنتورية والثانية ٢٢ والثالثة ٢٠ والرابعة ٢٢ والخامسة ٣٠ والسادسة سنتورية واحدة فقط ، ارضاء للمظاهر . وعلاوة على ذلك ، كان الفرسان ، المجندون من بين اغنى المواطنين ، يؤلفون ١٨ سنتورية . فكان هناك بالاجمال ١٩٣ سنتوريـــة . ولنيل اغلبية الاصوات ، كان يكفي الحصول على ٩٧ صوتـــاً . والحال ، كان للفرسان والطبقة الاولى معاً ٩٨ صوتاً ، اي الاغلبية . فاذا ما اتفقوا ، كان يُصرف النظر كلياً عن استشارة الآخرين ، وكان القرار النهائي يُعتبر ماخوذاً .

والى جمعية السنتوريات الجديدة ، انتقلت الآن جميـــع الحقوق السياسية التي كانت تتمتع بها جمعية الكوريات السابقة (باستثناء بعض الحقوق الأسمية) ؛ فانحطت الكوريات والعشائر التي تؤلفها ، كما في اثينا ، الى مستوى اخويات خاصة ودينية بسيطـة ، وظلت زمناً طويلاً تعيش عيشة حقيرة بهذه الصفة ، بينما غابت جمعية الكوريات نهائياً عن المسرح بعد فترة وجيزة . ولاجل اقصاء القبائل العشيرية الثلاث القديمة ايضاً من الدولة ، انشئت اربع قبائل اقليمية ، كل منهـا تسكن حياً خاصـــاً من المدينة ، وخوّلت جملة من الحقوق السياسية .

www.kassioun.org

وهكذا ، في روما ايضاً ، جرى قبل الغاء ما اسمي بالسلطة الملكية ، تحطيم النظام الاجتماعي القديم ، المرتكز على صلات قربى الدم الشخصية ، وانشىء عوضاً عنه نظام جديد ، نظـام دولة حقاً وفعلا ، يرتكز على التقسيم الاقليمي وعلى فوارق الثروة . وهنا انحصرت السلطة العامة في ايدي المواطنين الملزمين باداء الخدمة العسكرية ، وكانت موجهة لا ضد العبيد وحسب ، بل ايضاً ضد من كانوا يسمون بالبروليتاريين ، المبعدين عن الخدمـــة العسكرية والمحرومين من السلاح .

وفي نطاق هذا النظـام الجديد الذي لم يتطور الا بعد طرد «الركس» الاخير تركوينوس المتكبر ، الذي اغتصب سلطة ملكية حقيقية ، وبعـد الاستعاضـــة عن «الركس» بقائدين عسكريين (قنصلين) يتمتعان بنفس السلطة (كما عند الايروكوا) ، ـ في نطاق هذا النظام ، سار تاريخ الجمهورية الرومانية كله : الصراعات بين الخواص والعوام من اجل شغل الوظائف العامة ومن اجـل استغلال اراضي الدولة ، انحلال الاريستقراطية الباتريسية نهائياً في الطبقة الجديدة من كبار ملاكي الاراضي والنقود الذين ابتلعوا تدريجياً كل الملكية العقارية للفلاحين ممن حل بهم الخراب بسبب الخدمة العسكرية ، والذين كانوا يحرثون بواسطة العبيد العقارات الشاسعة المتكونة على هذا النحو ، واخلوا ايطاليا من السكان ، وبذلك مهدوا الطريق ، لا امام الامبراطوريـة وحسب ، بل ايضاً امام الذين خلفوها ، البرابرة الجرمان .

العشيرة عند السلت والجرمان

ان نطاق هذا البحث لا يسمـح لنـا بان ندرس بـالتفصيـل مؤسسـات النظـام العشائري التي لا تزال قائمة حـاليـاً عند شتى

www.kassioun.org

الشعوب المتوحشة والبربرية بشكل متفاوت النقاوة ، او آثار هذه المؤسسات في تاريخ الشعوب المتمدنة الآسيوية القديم . فهذه وتلك موجودة في كل مكان . حسبنا بعض الامثلة . فقبل معرفة ماهية العشيرة ، كان ماك ـ لينان ، الذي بذل من الجهود اكثر مما بذله اي آخر لاجل تشويه معنى هذه الكلمة ، قد أثبت وجودها ووصفها على العموم وصفاً صحيحاً كما كانت عليه عند الكلميك والشركس والساموييد * وعند ثلاثة شعوب هندية ـ الفارلي والماغار والمانيبوري (١٢٧) . ومؤخراً ، اكتشفها كوفاليفسكي ووصفها عند البشاف والخفسور والسفان وغيرها من القبائل القفقاسية (١٢٨) . ونكتفي هنا ببعض الملاحظات الوجيزة حول وجود العشيرة عند السلت والجرمان .

ان اقدم القوانين السلتية التي وصلت الينا تبين لنا العشيرة في اوج حيويتها ؛ وفي ارلنده ، لا تزال العشيرة حية في ضمير الشعب في ايامنا هذه ، بصورة غريزية على الاقل ، بعد ان دمرها الانجليز بالقوة ؛ وفي اسكتلنده ، كانت لا تزال في ذروة ازدهارها في اواسط القرن الماضي ، وهنا ايضاً لم يقض عليها الا بسلاح الانجليز وقوانينهم ومحاكمهم .

ان قوانين بلاد ويلس القديمة ، المكتوبة قبل الفتح الانجليزي (١٢٩) بقرون كثيرة ، آخرها القرن الحادي عشر ، تدل على ان قرى بكاملها كانت تحرث الارض بصورة مشتركة ، وان بصورة بقايا استثنائية من عادة كانت من قبل شاملة . كان لكل عائلة خمسة اكرات لاجل حراثتها في صالحها وحدها . والى جانب ذلك ، كانت هناك قطعة تحرث بصورة مشتركة ، ويُقتسم محصولها . ولا ريب ان هذه المشاعات الريفية كانت عبارة عن عشائر او

---

* اسم النتسي سابقاً . **الناشر** .

www.kassioun.org

عن اقسام عشائر ؛ وهذا ما يثبته التشابه بين ارلنده واسكتلنده ، حتى وان لم تؤكد دراســـة جديدة لقوانين ويلس ، لا وقت عندي الآن للقيام بها ، (ان مقتطفاتي تعود الى عام ١٨٦٩ (١٣٠)) صحة هذا القول مباشرة . ولكن المصادر الويلسية ، ومعها المصادر الارلنديـــة تثبت مباشرة ان الزواج الاحادي لم يكن بعد في القرن الحادي عشر قد حل عند السلـــت محل الزواج الثنائي . وفي بلاد ويلس ، لم يكن الزواج يصبح قابلا للحل او بالاصـــح قابلا للفسخ بناء على طلب احد الطرفين الا قبل انقضاء سبع سنوات على عقده . وحين لا يبقى لاكتمال هذه السنوات السبـــع الا ثلاث ليال ، كان في وســـع الزوجين ان ينفصلا . وآنذاك تجري قسمـــة الاموال : كانت الزوجة تقسم ، والزوج يختار قسمه . وكانت المفروشات والادوات المنزلية تقسم حسب قواعد واضحة محددة ، طريفـة جداً . فاذا كان الزوج هو الذي يفسخ الزواج ، فقد كان عليه ان يعيد الى زوجتـــه بائنتهـــا وبعض الاشيـاء الاخرى ؛ واذا كانت الزوجـة ، فقد كانت حصتهـــا أقل . وكان الزوج يأخذ من الاولاد اثنين والزوجة واحداً ، هو الاوسط بينهم . واذا تزوجت الزوجة مرة اخرى بعد الطلاق ، وشاء الزوج السابق الحصول عليهـــا من جديد ، فقد كان يتعين عليها ان تتبعه ، حتى وان كانت قد وطأت **بقدم واحدة** الفراش الزوجي الجديـــد . ولكن اذا عاش الرجـــل والمرأة معاً طوال سبع سنوات ، فانهما يصبحان زوجاً وزوجـــة حتى وان لم يعقدا زواجهما من قبل حسب الاصول . ولم تكن بكارة المرأة قبل الزواج موضع مراعاة دقيقة وطلب صارم ؛ فالقواعد في هذا المضمار ذات طبيعة عابثة جداً ، ولا تتفق اطلاقاً مع الاخلاق البرجوازية . واذا خانت الزوجة زوجها ، كان من حقه ان يضربها (وهذه حالة من ثلاث حالات كان يحق له فيهـــا ضربهـــا ؛ اما في

www.kassioun.org

الحالات الاخرى ، فكان يتعرض للعقـــاب) ، ولكنـــه ، بعد ذلك ، لم يكن يحق له ان يطالب باي ترضية اخرى لانه .

«ويجب ان يكون ، لقاء الجرم نفسه ، اما تكفير واما ثار ، ولكن لا الاثنان في آن واحد» (١٣١) .

ان الاسباب التي كان يحق بموجبها للزوجة ان تطلب الطلاق دون ان تفقد اياً من حقوقها عند قسمة المقتنيات ، كانت متنوعة جداً : فقد كانت رائحة فم الزوج الكريهـــة تكفي لهذا الغرض . ان الفدية المدفوعة لزعيم القبيلة او للملك تعويضاً عن حق الليلة الاولى(gobr merch ، ومن هنا الكلمـة القروسطيـة marcheta وبالفرنسية marquette) تضطلع بدور كبير في مجموعة القوانين . وكان للنساء حق التصويت في الجمعيات الشعبية . اضف الى هذا انه قد أُقيم البرهان على وجود مثل هذه النظم في ارلنده ايضـاً ، وعلى ان الزواجات لفترة معينة من الزمن كانت امراً عادياً تماماً ، وانهم كانوا يضمنون للزوجـــة في حال الطلاق فوائد كبيرة محددة بدقة ، وحتى تعويضاً عن خدماتها البيتية ، وانه كانت توجد هناك «زوجة اولى» الى جانب الزوجات الاخريات وانه لم يكن هناك اي تفريق عند قسمـــة الارث بين الاولاد الشرعيين وغير الشرعيين . وهكذا نرى امامنا لوحة عن الزواج الثنائي يبدو تجاهها شكـــل الزواج القائم في اميركا الشمالية صارماً ، ولكن ذلك لم يكن في القرن الحادي عشر ليثير الدهشـــة عند شعب كان لا يزال في زمن قيصر يمارس الزواج الجماعي .

ان وجود العشيرة الارلندية (sept «السبط») ، وكانت القبيلة تسمى clainne ـ «كلان») لا تؤكده وتصفه كتب القانون القديمة وحسب ، بل يؤكده ويصفه ايضاً رجال القانون الانجليز من القرن السابع عشر الذين أرسلوا الى ارلنده لتحويل اراضي «الكلانات»

www.kassioun.org

الى ممتلكات لملك انجلترا . وحتى ذلك الوقت ، كانت الارض ملكاً عاماً «للكلان» او للعشيرة اذا لم يكن الزعماء قد حولوها الى ملك خاص لهم . وعندما كان يتوفى احد اعضاء العشيرة ، وبالتالي عندما كانت تزول احدى الاستثمارات البيتية ، كان الزعيم (وقد سماه رجال القانون الانجليز caput cognationis) يعمد الى تقسيم الارض كلها من جديد بين الاستثمارات ألبيتية الباقية . وكان هذا التقسيم الجديد يجري ، على الارجح ، وبوجه عام ، حسب القواعد السارية المفعول في المانيـــا . وفي الوقت الحاضر ايضاً ، توجد هنا وهناك في القرى حقول تدخـــل فيمـا يسمى نظام rundale (روندال) ، وكانت كثيرة جداً منـذ اربعين او خمسين سنـــة . ان الفلاحين ، المستأجرين الفرديين للارض التي كانـت تخص من قبـــل العشيرة كلها والتي استولى عليها الغزاة الانجليز ، يدفع كل منهم بدل ايجار عن قطعته ، ولكنهم يجمعون جميع حقول ومروج قطعهم في كل واحد ، ويقسمونها تبعاً لموقعها ونوعية تربتها الى «قطاعات» («Gewann») ، كما يسمونها على ضفاف نهر الموزيل ، ويمنحون كلا منهم حصـة في كل «قطاع» . اما المستنقعـــات والمراعي ، فكانوا يستخدمونها بصورة مشتركة . ومنذ نحو خمسين سنـة ، كان يجري تقسيم جديد بين الفينة والفينة ، واحيانـاً كل سنة . ان خريطـــة القرية التي يسري فيها نظام روندال rundale تظهر مماثلة تماماً لخريطة اي مشاعة ريفية المانية (Gehöferschaft) في منطقة الموزيل او في منطقة خوخفالد . كذلك لا تزال العشيرة تعيش في factions * ايضـاً . فان الفلاحين الارلنديين ينقسمون احيانـاً كثيرة الى احزاب يتميز بعضهـــا عن بعض بعلائم تبدو في الظاهر سخيفة وباطلة تماماً ، بعلائم غير مفهومة ابداً بالنسبـــة

---

* «احزاب» - **الناشر** .

www.kassioun.org

للانجليز ، ويخيل انها لا تبتغي اي هدف غير المشاجرات التي تنشب بين هذه الاحزاب في ايام الاعياد والتي تطيب لها جداً . انها بعث مصطنع للعشائر البائدة ، وبديل عنها ظهر بعد زوالها ، وشاهد اصيل على حيوية الغريزة العشيرية المتوارثة . ناهيك بان اعضاء العشيرة لا يزالون في بعض الاماكن يعيشون معاً في ارضهم القديمة ؛ ففي الثلاثينيات ، مثلا ، لم يكن للاغلبية الكبيرة من سكان كونتية موناخان سوى اربع كنيات ، وهذا يعني انهم كانوا يتحدرون من أربع عشائر او «كلانات» * .

في اسكتلنده ، يطابق زوال النظام العشائري قمع انتفاضة ١٧٤٥ (١٣٣) . يبقى لنا ان نبين اي حلقة بالضبط من هذا

---

* خلال اقامتي بضعة ايام في ارلنده (١٣٢) ، ادركت من جديد بقوة ووضوح الى اي حد لا يزال سكان الريف هناك يعيشون بافكار زمن العشائر. فان مالك الارض الذي يستأجر منه الفلاح قطعة ارض ، لا يزال بنظر هذا الاخير ضرباً من زعيم «للكلان» ملزماً بان يتصرف بالارض في مصلحة الجميع ؛ ويعتبر الفلاح انه يدفع لمالك الارض جزية بصورة بدل ايجار ، ولكنه يجب ان يلقى منه العون عند الاقتضاء . كذلك يعتبرون هناك ان كل انسان اكثر يسراً ملزم بان يساعد جيرانه الاقل منه يسراً اذا ما شعروا بالعوز . ان هذه المساعدة ليست صدقة ، بل هي ما يتلقاه حقاً وشرعاً عضو «الكلان» الافقر من عضو اغنى او من زعيم «الكلان» . وانها لمفهومة شكاوى الاقتصاديين والحقوقيين من استحالة حمل الفلاح الارلندي على ادراك مفهوم الملكية البرجوازية الحالية . فان ملكية لها حقوق فقط وليس عليها واجبات ، لا تخرط في رأس الارلندي . ولكنه مفهوم ايضا كيف ان الارلنديين الذين ينتقلون فجأة بتصوراتهم الساذجة الملازمة للنظام العشائري الى المدن الانجليزية او الاميركية الكبيرة ، ويجدون انفسهم في بيئة ذات مفاهيم اخلاقية وقانونية مختلفة تماماً ، — كيف ان هؤلاء الارلنديين يضلون كلياً في قضايا الاخلاق والقانون ، ويفقدون كل تربة تحت اقدامهم ، ويقعون احياناً بالجملة في مهاوي الفساد . **(ملاحظة انجلس لطبعة ١٨٩١)** .

www.kassioun.org

النظام تمثل «الكلان» الاسكتلندية ؛ ولكنه لا ريب في انها حلقة منه . ففي روايات فالتر سكوت ، نرى هذه «الكلان» من جبال اسكتلنده حية امامنا . ان هذه «الكلان» ، ـ كما يقول مورغان ، ـ

«نموذج ممتاز للعشيرة من حيث تنظيمها ومن حيث روحها ، ومثال باهر على سلطان نمط الحياة العشيري على اعضاء العشيرة ... ففي مشاجراتهم وفي ثارهم الدموي ، وفي توزيع الاراضي حسب «الكلانات» ، وفي استغلالهم للارض بصورة مشتركة ، وفي وفاء اعضاء «الكلان» للزعيم ولبعضهم بعضاً ، نجد سمات المجتمع العشائري الثابتة في كل مكان ... كان الاصل يحسب بموجب الحق الابوي ، وهكذا كان اولاد الرجال يبقون في «الكلان» ، بينا اولاد النساء ينتقلون الى «كلانات» آبائهم» (١٣٤) .

ولكن الواقع التالي ، وهو ان التسلسل الوراثي كان يجري في سلالة «البيكت» الملكية حسب حبل النسل النسائي (١٣٥) ، كما يقول بيدا ، يثبت ان الحق الامي كان هو السائد من قبل في اسكتلنده . بل ان بقية من العائلة البوتالوانية بقيت سواء عند الويلسيين ام عند السكوتيين ، حتى القرون الوسطى بصورة حق الليلة الاولى الذي كان بوسع زعيم «الكلان» او الملك ، بوصفه الممثل الاخير للازواج المشتركين سابقاً ، ان يستخدمه حيال كل عروس اذا لم يُفْدَ .

* * *

ولا سبيل الى الريب في ان الجرمان كانوا منظمين في عشائر قبل هجرات الشعوب . ولم يكن من الممكن ، على ما يبدو ، ان يكونوا قد شغلوا الارض الواقعة بين انهر الدانوب والراين والفيستول والبحار الشمالية الا قبل الميلاد ببضعة قرون . وآنذاك كانت هجرات السمبر cimbres والتوتونيين teutons لا تزال في اوجها ، بينا لم يجد السوبيف suèves مقامات مستقرة

www.kassioun.org

الا في عهد قيصر . ويقول قيصر عن هؤلاء الاخيريـن بكل وضوح انهم اقاموا حسب العشائر وحسب الجماعات العرقية التي تربط بينها صلـة القربى (gentibus cognationibusque) (١٣٦) . ولكلمة gentibus هذه على لسـان روماني من gens Julia * معنى دقيق لا جدال فيه . وهذا القول ينطبق على جميع الجرمان . بل ان الجرمان كانوا ، على الارجح ، يسكنون عشائر عشائر في الاقاليم الرومانية المحتلة . ويؤكد «الحق الالماني» (alaman) ان الشعب في الارض المحتلـة جنوبي نهر الدانوب يقيم عشائـر عشائـر (genealogiae) (١٣٧) . وكلمة genealogia تستعمل هنا تماماً بنفس المعنى الذي استعملت به فيما بعد المشاعة-المارك او المشاعة الريفيـة . ومؤخراً عرض كوفاليفسكـي رأيـاً مفاده ان هذه genealogiae كانت عبارة عن مشاعات منزلية كبيرة كانت الارض مقسمة فيما بينها ، ولم تنشأ وتتطور منها المشاعة الريفية (١٣٨) الا فيما بعد . وفي هذه الحال ، يمكن قول الشيء نفسه ايضاً عن fara (فارا) ؛ وهذه الكلمة كانت عند البورغونـد واللومبـارد ـ وبالتالي عند قبيلة قوطية وقبيلة هرمينونية او المانية عليا ـ تعني تقريباً ، ان لم يكن تماماً ، مـا تعنيه كلمة genealogia في «الحق الالماني» . ويجدر بنا ان نواصل البحث والدراسـة لنعرف ما اذا كنا بالفعل امام العشيرة او امام المشاعة البيتية .

ان الآثار اللغوية لا تفيدنا بصورة واضحـة عما اذا كانت هناك عند جميع الجرمان كلمة مشتركة لتسمية العشيرة ، ومـا هي هذه الكلمة بالذات . فمن حيث علم الاشتقاق ،تقابل الكلمـة اليونانية genos («جينوس») ، واللاتينية gens («جنس») الكلمة القوطية kuni («كوني») والكلمة الالمانية-العليا الوسطى

---

* ـ عشيرة يوليوس . **الناشر**

www.kassioun.org

kinne («كوَنه») ؛ وهذه الكلمة تستعمل بالمعنى نفسه . ومما يدل على زمن الحق الامي ان الكلمـــة التي تعني المرأة تتفرع من الجذر ذاته : باليونانية gyne ، بالسلافية žena ، بالقوطيـــة qvino ، بالسكانديناقية القديمة kuna, kona . ــ وعند اللومبارد والبورغوند ، نجد ، كما قيل اعلاه ، كلمـة fara التي يشتقهـــا غريم من الجذر الفرضي fisan ــ وَلَد . واني اميل الى الانطلاق من اصل اوضح ، هو faran * ــ ذهب راكبـــاً ، ترحل ، عاد ــ لتسمية جزء معين من جماعة مترحلة لا تتألف ، بطبيعة الحال ، الا من اقارب . وهذه التسمية اخذت شيئاً فشيئاً ، اثناء الهجرات خلال قرون وقرون ، اولا الى الشرق ، ثم الى الغرب ، تعني الجماعة العشيرية . ــ ثم هناك الكلمة القوطية sibja والانجلو-ساكسونيـــة sib ، والالمانيـــة العليا القديمة sippia ‘sippa ــ الاقـــارب * * . وفي اللغة السكانديناقية القديمة لا نجد غير الجمع sifjar ــ الاقارب ؛ ولا نجد المفرد الا لاسم الالهة سيف(Sif) . ــ واخيراً ، نجد ايضاً في «نشيد هيلديبراند» (١٣٩) كلمة اخرى ، وذلك على وجـــه الضبط في المقطع الذي يسأل فيه هيلديبراند هادوبراند :

«ومن هو ابوك بين رجال هذا الشعب ... او من اي عشيرة انت ؟»
« eddo huêlîhhes cnuosles du sîs ».

ولئن كانت قد وجدت على العموم كلمة المانيـــة مشتركـــة لتعيين العشيرة ، لكان لفظها ، على الارجح ، قريباً من لفظ الكلمة القوطية kuni؛ ويدل على صحة هذا القول ، ليس فقط التشابه مع التعبير المناسب في اللغات المتقاربـة ، بل ايضاً كون كلمـــة kuning * * * ــ الملك ــ مشتقة منه وتعني في الاصل شيخ العشيرة او

---

* بالالمانية fahren . **الناشر** .

* * ــ بالالمانية Sippe . **الناشر** .

* * * ــ بالالمانية König . **الناشر** .

www.kassioun.org

القبيلة . اما كلمة sibja (الاقارب) فيبدو انه لا يجوز اخذها بعين الاعتبار ؛ لان sifjar ، على الاقل ، لا تعني باللغة السكاندينافية القديمة الاقارب بالدم وحسب ، بل تعني ايضا الاقارب بالمصاهرة ، اي انها تشمل اعضاء **عشيرتين اثنتين** على الاقل ؛ ولهذا لم يكن من الممكن ان تكون كلمة sif ذاتها اسما لتعيين العشيرة .

وكما عند المكسيكيين واليونانيين ، كذلك عند الجرمان ، كان ترتيب الصفوف القتالية في فصيلة الخيالة وفي طابور المشاة الاسفيني الشكل يجري حسب مجموعات العشائر . واذا كان تاقيطس يقول : حسب العائلات وحسب الجماعات المتقاربة (١٤٠) ، فان هذا التعبير غير الواضح يفسره كون العشيرة كانت في زمنه قد زالت من الوجود في روما منذ وقت بعيد بوصفها وحدة اهلا للحياة .

يوجد عند تاقيطس مقطع يتسم باهمية حاسمة ، هو المقطع الذي يقول ان اخ الام يعتبر ابن اخته كابنه ؛ بل ان بعضهم يرى ان رابطة الدم بين الخال وابن الاخت اقدس واوثق من الرابطة بين الاب والابن ؛ وهكذا ، عندما يتطلبون الرهائن ، يعتبرون ابن الاخت ضمانة اثبت من ابن الرجل الذي يراد تقييده بهذه العملية . وهنا نجد بقية حية من العشيرة المنظمة تبعا للحق الامي ، اي العشيرة البدائية ، ناهيك بانها عشيرة تشكل سمة خاصة يتميز بها الجرمان * . فاذا قدم احد اعضاء مثل هذه «العشيرة» ابنه

---

* ان اليونانيين لا يعرفون الا بالميثولوجيا من الازمنة البطولية طبيعة الصلة الوثيقة بخاصة التي تجمع بين الخال وابن الاخت والتي تعود في اصلها الى عهد الحق الامي والتي توجد عند كثير من الشعوب . يقول ديودوروس (الفصل ٤ ، المقطع ٣٤) ان ميلياغر يقتل اولاد تستيوس ، اخوة امه الثيه Althée وترى الثيه في هذا العمل جريمة لا تقبل اي

www.kassioun.org

ضمانة لتعهد قطعه على نفسه امام الملأ ، واذا ما مات الولد ضحية لحنث والده بتعهده ، فان هذا كان شان الوالد وحده . ولكن اذا كانت الضحيـة ابن الاخت ، فان هذا كان مخالفـة لاقدس قوانين العشيرة . فان اقرب قريـب للصبي او للفتى ملزم اكـثر من غيره بحمايته ، يصبح مسؤولا عن موته ؛ وقد كان على هذا القريب ، اما الا يجعـل منه رهينـة ، واما ان ينفذ تعهده . وحتى اذا لم نكتشف اي آثار اخرى عن النظام العشائري عند الجرمان ، فان هذا المقطع وحده يكفي .

وهناك مقطع من «Völuspâ» (١٤٢) ـ وهو نشيد سكانديناني قديم عن غسق الآلهة وهلاك العالم ، ـ يتسم بدور اهم لانه دليل يعود الى مرحلة متاخرة بنحو ٨٠٠ سنة . وفي «رؤيا النبية» هذه ، التي تتشابك فيها عناصر مسيحية ايضا ، كما اثبت الآن بانغ وبوغه (١٤٣) جاء في وصف عهد الانحطاط والفساد العام ، الذي سبق الكارثة الكبرى :

„Broedhr munu berjask ok at bönum verdask, munu *systrungar* sifium spilla“

«سيعادي الاخوة بعضهم بعضا ويقتلون بعضهم بعضا ، ويحطم **اولاد الاخوات** عرى القرابة» .

تكفير الى حد انها تلعن القاتل ، ابنها بالذات ، وتتمنى له الموت . «وقد حقق الالهة امنيتها ، كما يروون ، ووضعوا خاتمة لحياة ميلياغر» . كذلك يقول ديودوروس ذاته (الفصـل ٤ ، المقطعـان ٤٣ و٤٤) ان الارغونوط نزلوا في تراقيـا بقيادة هرقل واكتشفـوا هناك ان فينيـه ، بتحريض من زوجته الجديدة ، عامل ولديه اللذين رزقهما من زوجتـه المطلقة ، بوريادا كليوباطره ، معاملة قاسية فظيعة . ولكنه تبين ان هناك بين الارغونوط افرادا آخرين من آل بورياد ، هم اخوة كليوباطره ، اي اخوة والدة الضحيتين . فينبرون على الفور لحماية ولدي اختهم ، ويحررونهما ويقتلون حراسهما (١٤١) .

www.kassioun.org

ان systrungar تعني ابن الخالة ؛ ويبدو للشاعر ان هؤلاء ، اولاد الاخوات ، يقترفون جريمة افدح من جريمة التقاتل بين الاخوة اذا ما انكروا قرابتهم المتبادلة بالدم . ان تشديد فداحة الجريمة ينعكس في كلمة systrungar التي تشير الى القرابة من جهة الام . ولو ورد عوضا عن هذه الكلمة تعبير syskina-börn ـ اولاد الاخوة والاخوات ـ او syskina-synir ـ ابناء الاخوة والاخوات ـ لجاء السطر الثاني ، لا تشديداً للاول بل تخفيفاً له . وعليه ، حتى في زمن الفيكينغ ، عندما ظهرت «رؤيا النبية» ، لم تكن قد زالت بعد في سكاندينافيا ذكرى الحق الامي .

ومن جهة اخرى ، كان الحق الامي عند الجرمان ، في زمن تاقيطس ، وعلى الاقل عند من كان يعرفهم منهم اكثر ، قد اخلى المكان للحق الابوي ؛ كان الاولاد يرثون الوالد ؛ وفي حال انعدام الاولاد ، كان الارث يعود الى الاخوة والى الاعمام والاخوال . ان اشراك الخال في الارث يرتبط بالحفاظ على العادة المشار اليها للتو ، ويثبت ايضاً الى اي حد كان الحق الابوي لا يزال حديث العهد عند الجرمان . كذلك بقيت آثار الحق الامي زمناً طويلا في القرون الوسطى . ويبدو انهم في تلك الحقبة من الزمن لم يكونوا يولون مسألة الابوة بالغ الاهمية ، ولا سيما عند الاقنان . ولهذا ، عندما كان السيد الاقطاعي يطالب مدينة ما بان تعيد اليه فلاحاً فاراً ، كان ينبغي ، كما في اوغسبورغ وبال وكيزرسلاوترن ، مثلا ، ان يؤكد باليمين ستة من اقرب اقرباء الفلاح المتهم ، جميعهم بوجه الحصر اقرباء من ناحية الام ، صفته كقن (موريز ، «نظام المدينة» ، المجلد الاول ، ص ٣٨١) (١٤٤) .

وهناك بقية اخرى من الحق الامي الذي زال للتو ، هي ذلك الاحترام الذي يكنه الجرمان للنساء ، والذي كان بالنسبة للرومانيين غير مفهوم تقريباً . كانت البنات من عائلة نبيلة يعتبرن اوثق الرهائن

www.kassioun.org

عند عقد المعاهدات مع الجرمان . فان فكرة ان زوجاتهم وبناتهم قد يقعن في الاسر وفي العبودية هي بالنسبة لهم فكرة رهيبة ، وتثير شجاعتهم في القتال اكثر من اي عامل آخر ؛ وهم يرون في المرأة شيئاً ما مقدساً ونبوئياً ، وهم يستمعون الى نصيحتها حتى في اهم القضايا : فان فيليدا ، كاهنة قبيلة البروكتر على ضفة نهر ليب ، مثلا ؛ كانت روح انتفاضة الباتافيين كلها التي زعزع اثناءها زيفيليس على رأس الجرمان والبلجيكيين السيادة الرومانية في عموم بلاد الغال (١٤٥) . ويبدو ان سيادة المرأة في البيت امر لا جدال فيه . صحيح ان جميع الاعمال البيتية ملقاة على عاتقها وعلى عاتق الشيوخ والاطفال ؛ اما الزوج فيصطاد او يشرب ، او يتكاسل . هكذا يقول تاقيطس . ولكن بما انه لا يذكر من ذا الذي يحرث الحقل ، وبما انه يعلن بصراحة ان العبيد كانوا يدفعون اتاوات وحسب ، ولا يقومون باي عمل من اعمال السخرة ، فانه كان لا بدّ ، اغلب الظن ، لسواد الرجال الراشدين ، ان يقوموا مع ذلك بالقليل من العمل الذي كانت تقتضيه حراثة الارض .

كان شكل الزواج ، كما قيل اعلاه ، الزواج الثنائي المقترب شيئاً فشيئاً من الزواج الاحادي . ولم يكن ذلك بعد زواجاً احادياً صرفاً ، لان تعدد الزوجات كان مسموحاً للاعيان . وعلى العموم ، كانت بكارة الفتيات موضع مراقبة ومطالبة صارمة (خلافاً لما هو الحال عند السلت) ، ويتحدث تاقيطس كذلك بحرارة خاصة عن حرمة الرابطة الزوجية عند الجرمان . ولا يورد غير زنى الزوجة سبباً للطلاق . ولكن روايته في هذا الصدد تشوبها ثغرات كثيرة ، ناهيك بانه يقصد منها بفائق الوضوح التلويح بمرآة الفضيلة امام الرومانيين الفاسدين . هناك امر لا ريب فيه ؛ لئن كان الجرمان في غاباتهم فرساناً للفضيلة لا نظير لهم ، فقد كفاهم اقل تماس مع العالم الخارجي حتى ينحطوا الى مستوى الاوروبيين المتوسطين

www.kassioun.org

الآخرين ؛ وفي بيئة العالم الروماني زال آخر اثر لصرامة الاخلاق بأسرع بكثير مما زالت اللغة الجرمانية . حسبنا ان نقرأ غريغوريوس التوري . وبديهي انه لم يكن من الممكن ان يسود في الغابات الكثيفة في جرمانيا ،كما في روما ، الافراط والتفنن في التمتع الجنسي ؛ وفي هذا المضمار ايضا ، يبقى اذن للجرمان ما يكفي من التفوق حيال العالم الروماني ، حتى ولو لم ننسب اليهم تلك العفة الجسدية التي لم تكن يوماً في اي مكان ما قاعدة عامة لشعب بكامله .

ومن التنظيم العشائري ، نجم واجب وراثة ما كان للوالد او للاقارب من علاقات صداقة وعلاقات عداوة على السواء . كذلك ، كانت تورث wergeld (فرغلد) ، وهي غرامة يفدى بها الثار في حال القتل او الاصابة بجراح . ان هذه «الفرغلد» التي كان يعتبرها الجيل الماضي مؤسسة المانية صرف ، قد اقيم الدليل الآن على وجودها عند مئات الشعوب . فهي شكل عام لتخفيف الثار الناجم عن النظام العشائري . ونحن نجدها كذلك ، فيما نجدها ، عند الهنود الحمر الاميركيين مثلها مثل الضيافة الالزامية . ان الوصف الذي يعطيه تاقيطس لعادات الضيافة («جرمانيا» ، الفصل ٢١) يطابق تقريباً ، حتى في التفاصيل ، الوصف الذي يعطيه مورغان للضيافة عند هنوده الحمر .

ان النقاش الحار الذي لا نهاية له حول معرفة ما اذا كان الجرمان في زمن تاقيطس كانوا يتقاسمون نهائياً حقولهم ام لا وحول تفسير المقاطع التي تتعلق بهذه المسألة ، غدا الآن طي الماضي . ويكاد لا يجدر التذكير بذلك بعد ان اقيم الدليل على ان جميع الشعوب تقريباً قد عرفت حراثة الارض بصورة مشتركة من قبل العشيرة اولا ، ثم فيما بعد من قبل الرابطات العائلية الشيوعية التي كانت موجودة ايضاً عند السوبيف Suèves (١٤٦) ، كما افاد قيصر ، وعلى ان هذا الوضع قد عقبه توزيع الارض بين مختلف

www.kassioun.org

العائلات ، واعادة توزيعها بصورة دورية ، وبعد ان اقيم الدليل ايضاً على ان هذا التوزيع الدوري للارض المحروثة دام في بعض الانحاء من المانيا ذاتها حتى ايامنـــا هذه . ولئن كان الجرمان في حقبة الـ ١٥٠ سنة التي تفصل بين قصـة قيصر وشهادة تاقيطس قد انتقلوا من حراثة الارض بصورة مشتركة ــ التي ينسبها قيصر بكل وضوح الى السوييف (فهو يقول انه لا توجـد عندهـــم على الاطلاق حقول مقسمـــة او خاصة) ــ الى حراثـة الارض من قبل العائلات كلا بمفردها مع اعادة توزيع الارض كل سنة ، فان هذا هو حقاً تقدم كبير . فان الانتقال من حراثة الارض بصورة مشتركة الى الملكية الخاصة الكاملة للارض خلال مثل هذه الحقبة القصيرة من الزمن وبدون اي تدخل من الخارج مستحيل حقاً وفعلا . ولهذا لا اقرأ عند تاقيطس الا ما يقوله بوضوح وايجاز : انهم يغيرون (او يتقاسمون من جديد) كل سنة الارض المحروثة ، ناهيك بانه يبقى ايضاً ما يكفي من الارض المشتركة (١٤٧) . وهذا طور من الزراعة والاستفادة من الارض يناسب بالضبط التنظيم العشائري عند الجرمان في ذلك العهد .

اني اترك المقطع السابق حسبما ورد في الطبعات السابقـة ، دون ان ادخل عليه اي تعديـــل . ففي هذه الحقبـــة من الوقت ، سارت الامور في مجرى آخر . فبعد ان اثبت كوفاليفسكي (راجع اعلاه ، الصفحـــة ٤٤) • ان المشاعة البيتية البطريركيـــة كانت منتشرة على نطاق واسع ، ان لم يكن في كل مكان ، بوصفها درجة متوسطة بين العائلة الشيوعية المؤسسة على الحق الامي ، وبين العائلة المنفردة العصريـــة ، لم يبق المقصود معرفـة ما اذا كانت ملكية الارض مشتركة او خاصة ، كما كان القصد من النقاش بين

• راجع هذا الكتاب ، ص ص ٧٢ــ٧٤ . الناشر .

www.kassioun.org

موريز وفايتس ، بل معرفة **شكل** الملكية المشتركة . فلا ريب ابدأ في ان الملكية المشتركة للارض لم تكن وحدها قائمة عند السوييف في زمن قيصر ، بل كانت هناك ايضاً الحراثـــة المشتركـة للارض بالجهود المشتركة . ولا يزال من الممكن النقاش طويلا لمعرفة ما اذا كانت الوحدة الاقتصادية هي العشيرة ام المشاعـــة البيتية ام جماعة شيوعية ما متوسطة بينهمـا تجمعهـــا رابطة القربى ، او لمعرفة ما اذا كانت هذه الجماعات الثلاث موجودة جميعها تبعـــاً لاحوال الارض . والحال ، يؤكـد كوفاليفسكـي ان الاوضاع التي يصفها تاقيطس لا تفترض وجود مشاعة-مارك ما او مشاعة زراعية ما ، بل تفترض مشاعة بيتية . ومن هذه المشاعة البيتية وحدها ، نشأت وتطورت بعد زمن طويل المشاعة الريفية نتيجة لنمو عدد السكان .

وبموجـــب هذا الرأي ، كانت مقامات الجرمان في الاراضي التي كانوا يشغلونها في عهد روما ، وكذلك في الاراضي التي انتزعوها فيمـــا بعد من الرومانيين ، لا تتألف من قرى ، بـل من مشاعات عائلية كبيرة كانت تشمل بضعة اجيال وتأخذ رقعة من الارض للحراثة تبعا لعدد اعضائها ، وتستعمل مع جيرانها الاراضي البور المحيطة ، بوصفها ماركا مشتركة . ولهذا يجب اذن ان نفهم على صعيد الاساليب الزراعيـــة المقطع الذي يقول فيه تاقيطس انهم يغيرون الارض المحروثة : فكل سنة كانت المشاعة تحرث رقعة اخرى من الارض ، بينا تريح الرقعة المحروثة في السنة الماضية او تتركها بوراً تماماً . ونظراً لضعف كثافة السكان ، كان يبقى من الارض البور ما يكفي للحيلولة دون قيام اي نزاع حول ملكية الارض . وبعد قرون ، عندما نما عدد اعضاء المشاعات البيتية الى حد ان ادارة الاستثمارة المشتركة اصبحت امراً مستحيلا في ظل ظروف الانتـــاج السائدة آنذاك ، بعـــد ذاك فقط ، انحلت هذه

www.kassioun.org

المشاعات . واخذت الحقول والمروج التي كانت حتى ذاك ملكاً مشتركاً تصبح موضع قسمة تبعاً للاسلوب المعروف بين الاستثمارات البيتية المنفردة التي كانت تتشكل آنذاك ، اولا لفترة من الوقت ، ثم بصورة نهائية ، بينا بقيت الغابات والمراعي والمياه ملكاً مشتركاً .

ويبدو فيما يتعلق بروسيا أن التاريخ قد قدم البرهان الكامل على مجرى التطور هذا . اما فيما يتعلق بالمانيا ، وفي المقام الثاني ، بسائر البلدان الجرمانية ، فلا يمكننا ان ننكر ان هذه الفرضية تعطي ، في كثير من النواحي ، تفسيراً افضل للوثائق والمصادر ، وتحل المصاعب بصورة اسهل مما تفعله وجهة النظر السائدة حتى الآن والتي تعيد وجود المشاعة الريفية الى زمن تاقيطس . فان اقدم الوثائق ، من Codex Laureshamensis (١٤٨) مثلا ، تُفسَّر على العموم بواسطة المشاعة البيتية بصورة افضل بكثير مما بواسطة المشاعة-المارك الريفية . ولكن هذا التفسير يثير بدوره مصاعب جديدة ومسائل جديدة لا يزال يترتب حلها . ولا يمكن هنا ان يأتي بالحل النهائي غير البحوث والدراسات الجديدة . بيد اني لا استطيع ان انكر ان وجود المشاعة البيتية بوصفها درجة متوسطة في المانيا وسكانديناڤيا وانجلترا ايضاً هو امر محتمل جداً .

وبينا كان الجرمان في عهد قيصر قد اقاموا للتو جزئياً في مقامات دائمة او كانوا جزئياً لا يزالون يفتشون عن محل اقامة دائمة ، كانوا في عهد تاقيطس قد امضوا قرناً كاملا في الحياة الحضرية . وهذا ما وافقه تقدم لا مراء فيه في انتاج وسائل المعيشة . فهم يعيشون في بيوت من جذوع الشجر ، ويرتدون البسة بدائية لا تزال تشبه البسة سكان الغابات اي المعاطف الخشنة الصوفية ، وجلود الوحوش ؛ اما النساء والاعيان ، فكانت

www.kassioun.org

لهم البسة تحتيـة من الكتان . وكان طعامهـم يتألف من الحليب واللحم والثمار البرية ، ومن عصيدة الشوفان (١٤٩) كما يضيف بلينوس (وحتى الآن ، لا تزال هذه العصيدة نوعاً من المآكل القومية السلتية في ارلنده واسكتلنده) . وتتألف ثروتهم من الماشيـة ، ولكن هذه الماشية رديئة النوع : الثيران والابقار صغيرة ، هزيلة ، لا قرون لها ؛ الاحصنـة قزمة ولا تصلح للسباق . وكانت النقود رومانية بوجه الحصر ، وقليلا ونادراً ما كانت تستعمل . وكانوا لا يصنعون ولا يقدّرون المصنوعات من الذهب والفضـة ؛ وكان الحديد نادراً ، ويبدو انه كان يُستورد كلياً تقريباً ، على الاقل عند القبائل القاطنة على ضفاف الراين والدانوب ، ولم يكن يُستخرج في موضعه . ولم تكن الكتابة الرونية (الماخوذة عن الاحرف اليونانية او اللاتينية) معروفـة الا ككتابة سريـة ، ولم تكن تستعمـل الا لاغراض سحرية دينية . وكانت عادة تقديم الضحايا البشريـة لا تزال ساريـة المفعول . وبكلمـة ، نجد هنا امامنا شعباً ارتقى للتو من طور البربرية الاوسط الى طورها الاعلى . ولكن بينما كانت سهولة استيراد منتوجات الصناعة الرومانية تعيق تطور صناعة المعدن والنسيج بصورة مستقلة عند القبائل المقيمة مباشرة على الحدود مع الرومانيين ، كان هذا الانتاج قد نشأ ورسخ بشكل لا جدال فيه في الشمال الشرقي ، على ساحل بحر البلطيق . ان ادوات التسلح التي وجدت في مستنقعات شليسفيغ مع النقود المعدنيـة الرومانيـة من اواخر القرن الثاني ، ـ وهي سيف حديدي طويل ، ودرع ، وخوذة فضية ، الخ . ، ـ وكذلك المصنوعات المعدنيـة الالمانية التي انتشرت بفضل هجرة الشعوب ، تبين نموذجاً خاصاً تماماً يتميز بمستوى عال نسبياً من التطور حتى عندما تقترب من النماذج الرومانية الاصلية . وان الهجرة الى الامبراطورية الرومانية المتحضرة قد وضعت حداً نهائياً لهذا الانتاج المحلي في كل مكان

www.kassioun.org

باستثنـــاء انجلترا . وان المشابـك البرونزيـــة ، مثلا ، تبين باي وتيرة واحدة منتظمـــة نشأ هذا الانتاج وتطور . ومن الممكن ان تكون المشابك البرونزية التي اكتشفت في بورغونديا ورومانيا وعلى سواحل بحر آزوف قد خرجت من نفس المشغل الذي خرجـــت منه المشابك الانجليزية والسويدية ، ولا ريب ايضاً انها جرمانية الاصل .

كذلك يناسب تنظيم الحكم الطور الاعلى من البربرية . ففي كل مكان ، كما يقول تاقيطس ، كان مجلس الشيوخ (principes) موجوداً ، وكان يبت باصغر القضايـــا ، ويهيئ اهم القضايـــا لكي تبت بها الجمعية الشعبية . ان الجمعية الشعبيـــة في الطور الادنى من البربرية ، وعلى الاقل حيث نعرف عنها ، اي عند الاميركيين ، لا توجد الا من اجل العشيرة ، لا من اجل القبيلة او من اجل اتحاد القبائل . وكان الشيوخ (principes) لا يزالون يتميزون كثيراً عن الزعماء العسكريين (duces) تماماً كما عند الايروكوا . فالشيوخ يعيشون جزئياً بفضل الهبات الفخرية التي يقدمها اعضاء القبيلة من الماشيـــة والحبوب وخلافهـا . وينتخبونهم بمعظمهم ، كما في اميركا ، من العائلة ذاتها . والانتقال الى الحق الابوي ييسر ، كما في اليونان وروما ، تحويـــل المبدأ الانتخابي تدريجيـــاً الى حق وراثي ، وييسر بالتالي نشوء عائلة اريستقراطية في كل عشيرة . ان هذه الاريستقرطية القديمة المسماة بالاريستقراطية القبلية قد هلكت باغلبيتها اثناء هجرة الشعوب او بعدها بفترة وجيزة . وكان القادة العسكريون يُنتخبون بصرف النظر عن اصلهـــم ، وحسب كفاءاتهم فقط . ولم تكن سلطتهم كبيرة ، وكان عليهـــم ان يؤثروا بمثالهم . وينسب تاقيطس بكل وضوح الى الكهان السلطة الانضباطية الصرف في الجيش . وكانت السلطـــة الفعليـــة مركزة في الجمعيـــة الشعبية . والملك او زعيم القبيلة هو الذي يرأس الجمعية ؛ والشعب

www.kassioun.org

يصدر قراره : السلبي بالدمدمة ، والايجابي بهتافات الاستحسان وصليل السلاح . والجمعية الشعبية هي ايضاً بمثابة محكمة ؛ فاليها تقدم الشكاوى ، وفيها تصدر القرارات بهذه الشكاوى ، وفيها تصدر الاحكام بالموت ، مع العلم ان عقوبة الموت لا تطبق الا في جرائم الجبانة وخيانة الشعب وفي العيوب المخالفة للطبيعة . وداخل العشائر وفروعها ، تبت المحكمة في جميع القضايا بصورة مشتركة برئاسة الشيخ ؛ وكما في كل محكمة بدائية جرمانية ، لم يكن بوسع الشيخ غير الاشراف على سير المحاكمة وطرح الاسئلة . ودائماً وفي كل مكان كانت الجماعة كلها هي التي تصدر الحكم عند الجرمان .

ومنذ عهد قيصر ، تشكلت اتحادات القبائل ؛ وكان عند بعضها ملوك . وكما عند اليونانيين والرومانيين كان القائد العسكري الاعلى يطمح آنذاك الى السلطة المستبدة ، وكان احياناً يحصل عليها . ولكن هؤلاء المغتصبين المحظوظين لم يكونوا حكاماً مطلقين ، بيد انهم شرعوا يحطمون قيود النظام العشائري . وبينما كان العبيد المعتقون يشغلون على العموم مركزاً متدنياً لانه لم يكن بوسعهم الانتساب الى اي عشيرة ، كان احظياء الملوك الجدد من بيئة العبيد المعتقين يتوصلون احياناً الى المناصب العالية والثروة والوجاهة . وقد حدث الامر نفسه بعد الاستيلاء على الامبراطورية الرومانية بالنسبة للقادة العسكريين الذين تحولوا الى ملوك لبلدان شاسعة . وعند الفرنج ، اضطلع عبيد ومعتقو الملك بدور كبير اولا في البلاط ثم في الدولة . ومنهم يتحدر قسم كبير من الاريستقراطية الجديدة .

وقد اسهمت مؤسسة في نشوء السلطة الملكية هي فصائل المتطوعين (Gefolgschaften) . وقد سبق ورأينا عند الهنود الحمر الاميركيين كيف تنشأ ، على هامش النظام العشائري ، رابطات خاصة لاجل خوض غمار الحرب على عهدتها ومسؤوليتها . وقد

www.kassioun.org

اصبحت هذه الرابطات الخاصة عند الجرمان اتحادات دائمة . فقد كان الزعيم العسكري الذي احرز شهرة ، يجمع حوله فصيلة من الشبان المتحرقين الى الغنائم ، ويلتزمون تجاهه بالوفاء الشخصي كما يلتزم تجاههم . وكان الزعيم يعيلهم ويكافئهم وينظمهم طبقا لدرجات ومراتب . وكانوا يخدمونه في الحملات الصغيرة كفصيلة حراسة وقوات مستعدة دائما للقتال ، وفي الحملات الكبيرة كهيئة جاهزة من الضباط . ومهما كان لا بدّ لهذه الفصائل ان تكون ضعيفة ، ومهما ظهرت بالفعل ضعيفة فيما بعد ، كما عند اودواكر ، مثلا ، في ايطاليا ، فقد كانت تنطوي على جنين انحطاط الحرية الشعبية القديمة ، وهذا الدور بالذات هو الذي اضطلعت به اثناء هجرة الشعوب وبعدها . وذلك اولا لانها يسّرت نشوء السلطة الملكية ، وثانياً ، كما اشار تاقيطس ، لانه لم يكن يمكن الاحتفاظ بها ككل منظم الا عن طريق الحروب الدائمة والغزوات اللصوصية . واصبح النهب هدفاً . وحين كان رئيس الفصيلة لا يجد ما يفعله في الجوار ، كان يمضي مع رجاله الى شعوب اخرى كانت تدور عندها رحى الحرب وكانت تتوفر عندها احتمالات الظفر بالغنائم . ثم ان القوات المعاونة الجرمانية التي تقاتل باعداد كبيرة تحت الراية الرومانية حتى ضد الجرمان انفسهم ، كانت تتألف احياناً من مثل هذه الفصائل . وهنا نرى المعالم الاولى لنظام الجنود المرتزقة ـ عار الالمان ولعنتهم . وبعد الاستيلاء على الامبراطورية الرومانية ، شكلت فصائل الملوك هذه ، الى جانب خدم البلاط من عبيد ورومانيين ، القسم الثاني من الاقسام الرئيسية للاريستقراطية المقبلة .

وهكذا ، كان على العموم للقبائل الجرمانية المتحدة في شعوب لها التنظيم للادارة الذي تطور عند اليونانيين في العهد البطولي وعند الرومانيين في زمن من يسمون بالملوك : الجمعية الشعبية ،

www.kassioun.org

مجلس شيوخ العشائر ، القائـد العسكري الساعي وراء السلطـة الملكية الحقيقية . وكان ذلك ارقى تنظيم للادارة كان يمكن عـلى العموم ان يتكون في ظل النظام العشائري . وكان التنظيم النموذجي في الطور الاعلى من البربرية . وما ان تخطى المجتمع الاطار الذي كان فيه هذا التنظيم للادارة يفي بغايته ، حتى حلت نهاية النظام العشائري ، فانهار ومكانه قامت الدولة .

٨

تكوّن الدولة عند الجرمان

كان الجرمـان ، على حد قول تـاقيطس ، شعبـاً كثير العدد جداً . ويتيح لنا قيصر تكوين فكرة تقريبية عن عدد افراد هذه او تلك من الشعوب الجرمـانية ؛ فهو يحدد عدد الاوزيبيت والتنكتير المقيمين عنـد الضفـة اليسرى من نهر الراين بـ ١٨٠ ٠٠٠ شخص بمن فيهم النسـاء والاطفـال . وهكذا كان كـل شعب يعـد حوالى ١٠٠ الف نسمـة * ، اي ما يربو كثيراً مثـلا ، عن مجمـل عدد الايروكوا في عهد ازدهارهم ، عندمـا اصبحوا يشكلون خطراً على البلاد كلها ، ابتداء من البحيرات الكبيرة حتى اوهايو وبوتوماك ، رغم ان تعدادهم لم يبلغ الـ ٢٠ الف نسمة . واذا حاولنا ان نرسم على

---

* الرقم المقبول هنا يؤكد صحته مقطع من ديودوروس عن السلت في بلاد الغال : «في بلاد الغال تعيش اقوام كثيرة متفاوتة العدد . فعند اكبرها ، يبلغ عدد الافراد حوالى ٢٠٠٠٠٠ ؛ وعند اصغرها ٥٠٠٠٠» (Diodorus Siculus, V, 25 ـ ديودوروس الصيقلي ، السفر ٥ ، ص ٢٥) اي ١٢٥ ٠٠٠ شخص بالمتوسط . ولا ريب انه ينبغي اعتبار بعض الشعوب الغالية اكبر عدداً بقليل من الالمان ، نظراً لدرجة تطورهـا العالية .

www.kassioun.org

الخارطة كيف كانت اشهر الشعوب المقيمة في جوار الراين موزعة حسب المعلومات التي وصلت الينا ، لشغل كل من هذه الشعوب بمفرده ما يقارب بالمتوسط مساحة منطقة ادارية بروسية ، اي زهاء ١٠٠٠٠ كيلومتر مربع او ١٨٢ ميلا جغرافياً مربعاً . ولكن Germania Magna * التابعة للرومانيين كانت تشمل حتى الفيستول حوالى ٥٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع . واذا كان متوسط عدد كل شعب ١٠٠٠٠٠ نسمة ، فلا بد ان مجمل عدد السكان في Germania Magna كان يبلغ خمسة ملايين . وهذا رقم كبير بالنسبة لمجموعة من الشعوب البربرية ؛ وهو رقم قليل جداً جداً بالنسبة لاوضاعنا : ١٠ نسمات بكل كيلومتر مربع ، او ٥٥٠ نسمة بكل ميل جغرافي مربع . ولكن هذا العدد ابعد من ان يشمل جميع الجرمان الذين كانوا يعيشون في تلك المرحلة . فنحن نعرف ان شعوباً جرمانية من مجموعة القبائل القوطية اي من قبائل الباستارن والبوكين وغيرها كانت تعيش بمحاذاة جبال الكاربات حتى مصب نهر الدانوب بالذات ، وكانت كثيرة العدد الى حد ان بلينوس اعتبرها المجموعة الاساسية الخامسة من القبائل الجرمانية (١٥٠) . ان هذه القبائل التي كانت تعمل قبل الميلاد بـ١٨٠ سنة في خدمة برسيوس ، ملك مقدونيا ، قد توغلت في السنوات الاولى من حكم اوغسطوس حتى ضواحي ادرنة . واذا قدرنا عددها بمليون شخص فقط ، فان عدد الجرمان كان يبلغ ، اغلب الظن ، عند بداية التاريخ الميلادي ، ستة ملايين على الاقل .

وبعد اقامتها في جرمانيا ، كان لا بدّ ان ينمو عدد السكان بسرعة متزايدة ابداً . وان النجاحات المنوه بها اعلاه في ميدان تطور الانتاج من شأنها وحدها ان تقدم البرهان على ذلك .

---

* ـ جرمانيا العظمى . **الناشر** .

www.kassioun.org

ان اللقيات الاثرية في مستنقعات شليسفيغ تعود الى القرن الثالث نظراً للنقود المعدنية الرومانية الموجودة فيها . وعليه كان انتاج الاقمشة والمصنوعات المعدنية متطوراً ومنتشراً في ذلك الوقت على سواحل بحر البلطيق ، وكانت تقوم علاقات تجارية نشطة مع الامبراطورية الرومانية ، وكان اغنى الناس يعيشون في نوع من البذخ . وكل هذه دلائل على ان كثافة السكان كانت اكبر هناك . ونحو هذه الحقبة من الزمن ، يبدأ كذلك هجوم الجرمان العسكري العام على طول خط الراين والحدود الرومانية المحصنة والدانوب ، من بحر الشمال حتى البحر الاسود ؛ وهذا دليل مباشر على تنامي عدد السكان اكثر فاكثر ، وعلى سعيهم الى توسيع ممتلكاتهم . وقد دام الصراع ثلاثمئة سنة ؛ وخلاله تحرك كل القسم الاساسي من الشعوب القوطية (باستثناء القوط السكانديناڤيين والبورغوند) باتجاه الجنوب الشرقي ، وشكل الجناح الايسر من خط الهجوم المستطيل ؛ وكان الجرمان الاعلون (الهرمينون) الذين شقوا طريقاً لهم حتى الدانوب الاعلى يشغلون وسط هذا الخط ؛ وكان الجناح الايمن يتألف من الايسكيفيين الذين اطلق عليهم آنذاك اسم الفرنج ، والذين شقوا طريقاً لهم نحو الراين ؛ اما الاينغيفون فكان من نصيبهم احتلال بريطانيا . وفي اواخر القرن الخامس ، كان الطريق الى الامبراطورية الرومانية المستضعفة ، المنزوفة ، العاجزة ، مفتوحاً امام الجرمان الغزاة .

لقد وقفنا اعلاه عند مهد الحضارة اليونانية والرومانية القديمة . وهنا نقف عند قبرها . ففي جميع بلدان حوض البحر الابيض المتوسط ، مر مسحاج السيادة العالمية الرومانية المسوي في سياق قرون وقرون . وحيث لم تبد اللغة اليونانية مقاومة ، اضطرت جميع اللغات القومية الى اخلاء المكان للغة لاتينية مشوهة . وزالت جميع الفوارق القومية ، ولم يبق هناك لا غاليون

www.kassioun.org

ولا ايبيريون ولا ليغوريون ولا نوريكيون ؛ فقد غدوا جميعهم رومانيين . وفي كل مكان دمرت الادارة الرومانية ودمر الحق الروماني التنظيمات العشائرية القديمة ، وبالتالي اخر بقايا النشاط المحلي والقومي المستقل . وكانت المواطنية الرومانية الحديثة العهد لا تعرض شيئا بالمقابل . ولم تكن تعبر عن اي قومية ؛ انما كانت فقط تعبيراً عن انعدام القومية . وكانت عناصر الامم الجديدة موجودة في كل مكان . وكانت اللهجات اللاتينية في مختلف الاقاليم تتمايز اكثر فاكثر بعضها عن بعض ؛ وكانت الحدود الطبيعية التي جعلت فيما مضى من ايطاليا وغاليا واسبانيا وافريقيا مناطق متميزة لا تزال قائمة وتثبّت وجودها . ولكنه لم تكن هناك اي قوة بمقدورها ان توحد هذه العناصر في امم جديدة ؛ ولم يكن هناك في اي مكان اثر لقدرة على التطور والمقاومة ، وبالاحرى للطاقة الخلاقة . وهذا الجمهور الهائل من الناس القاطنين في رقعة شاسعة من الارض لم تكن تجمع بينهم غير صلة واحدة هي الدولة الرومانية ؛ والحال ، صارت هذه الدولة مع مر الزمن عدوهم ومضطهدهم الألد . لقد قضت الاقاليم على روما ؛ وروما ذاتها تحولت الى مدينة اقليمية ، مثل غيرها من المدن ، الى مدينة متميزة ، ولكنها لم تبق سائدة ، لم تبق مركز الامبراطورية العالمية ولم تبق حتى مقر الاباطرة ونواب الاباطرة ؛ فقد كان هؤلاء يعيّشون الآن في القسطنطينية وتريز وميلانو . وتحولت الدولة الرومانية الى آلة هائلة معقدة ، معدة بوجه الحصر لاعتصار الاتباع . وكانت الضرائب واعمال السخرة في صالح الدولة وغير ذلك من الاتاوات تدفع بسواد الناس في لجة البؤس اعمق فاعمق . وهذا الظلم كانت تقويه الى حد لا يطاق ابتزازات الحكام والجباة والجنود . هذا ما آلت اليه الدولة الرومانية وسيادتها العالمية : لقد بنت حقها في الوجود على صيانة النظام في الداخل وعلى الحماية من البرابرة في الخارج :

www.kassioun.org

ولكن نظامها كان شراً من الفوضى ، واذا البرابرة الذين كانت تدعي حماية المواطنين منهم ، ينتظرهم هؤلاء كمنقذين .

ولم يكن الوضع الاجتماعي اقل مدعاة لليأس . فمنذ اواخر زمن الجمهورية ، كانت السيادة الرومانية تقوم على استغلال الاقاليم المحتلة بلا رحمة ولا شفقة ؛ ولم تقض الامبراطورية على هذا الاستغلال ، وليس هذا وحسب ، بل عمدت بالعكس الى تنظيمه . وبقدر ما كان يأفل نجم الامبراطورية ، بقدر ما كانت تتزايد الضرائب والاتاوات ، وتشتد وقاحة الموظفين في النهب وابتزاز الاموال . ولم تكن التجارة والصناعة في يوم من الايام من شأن الرومانيين ، قاهري الشعوب . ولكنهم تفوقوا في الربا كل من جاؤوا قبلهم وبعدهم . وكل ما توفر وبقي من التجارة زال بسبب بلص الموظفين ؛ وما سلم من التجارة ، كان في الجزء الشرقي ، في الجزء اليوناني من الامبراطورية ، الذي لا يشمله موضوع دراستنا . الاملاق العام ، وتدهور التجارة والحرف والفنون ، وانخفاض عدد السكان ، وانحطاط المدن ، وعودة الزراعة الى مستوى ادنى ، ــ تلك كانت النتيجة الاخيرة للسيادة الرومانية العالمية .

ان الزراعة التي كانت الفرع الحاسم من الانتاج في العالم القديم بأسره ، قد غدته الآن من جديد واكثر مما في اي وقت مضى . وفي ايطاليا ، كانت المجموعات الشاسعة من العقارات (latifundia اللاتيفوندیا) تشمل بعد سقوط الجمهورية جميع الاراضي تقريباً ، وكانت تُستغل بطريقتين : اما بصورة مراع ، يستعاض فيها عن السكان بالغنم والبقر التي لا تتطلب العناية بها غير عدد قليل من العبيد ؛ واما بصورة فيللات villas تمارس فيها جمهرة من العبيد اعمال البستنة على نطاق كبير ، وذلك سواء لتلبية حاجات السيد العائش في البذخ ، ام للبيع في اسواق المدن . وقد أبقيت المراعي الكبيرة ، بل زيدت رقعتها ايضاً . وانحطت عقارات

www.kassioun.org

الفيللات وبستنتها مع خراب اصحابها واقفار المدن . ولم يعد استثمار اللاتيفونديات ، القائم على عمل العبيد ، يعود بدخل ؛ ولكنه كان في تلك المرحلة الشكل الممكن الوحيد للزراعة الكبيرة . ومن جديد ، صارت الاستثمارة الصغيرة الشكل الوحيد النافع في الزراعة . فاخذت الفيللات تنقسم الواحدة تلو الاخرى الى قطع صغيرة توضع ، لقاء مبلغ معين ؛ تحت تصرف مزارعين يتناقلونها بالوراثة ، او توضع تحت تصرف partiarii * كانوا بالاحرى اداريين اكثر منهم مستأجرين ، وكانوا ينالون لقاء عملهم سدس المحصول السنوي واحياناً تسعه فقط . ولكنه كان يعهد بهذه القطع الصغيرة في معظم الاحوال الى colonus مستأجرين معمرين كانوا يدفعون كل سنة مبلغاً معيناً وكانوا مربوطين بالارض وكان يمكن بيعهم مع قطعهم ؛ صحيح ان المستأجرين المعمرين لم يكونوا عبيداً ، الا انهم لم يكونوا احراراً ، ولم يكن لهم حق عقد الزواج مع الاحرار ، ولم يكن زواجهم يعتبر زواجاً شرعياً ، بل مجرد مساكنة contubernium ، مثله مثل زواج العبيد . لقد كانوا اسلاف اقنان القرون الوسطى .

لقد ولى زمن العبودية القديمة . فلم تعد ، لا في الزراعة الكبيرة ولا في مانيفاكتورات المدن ، تدر دخلا يبرر العمل المبذول ، وزال السوق لاجل منتوجاتها .. اما الزراعة الصغيرة والحرفة الصغيرة اللتان انحط اليهما الانتاج الضخم من عهد ازدهار الامبراطورية ، فلم يكن من الممكن لهما ايجاد العمل لعدد كبير من العبيد . ولم يبق في المجتمع مكان الا للعبيد العاملين في البيوت وللعبيد الذين يؤمنون حياة الاغنياء الباذخة . ولكن العبودية بسبيل الاحتضار كان لا يزال بمقدورها ان تدعم الفكرة القائلة ان كل عمل منتج هو من شأن العبيد ولا يليق بالرومانيين الاحرار ؛

* ـ محاصين . **الناشر** .

www.kassioun.org

والحال كان جميع المواطنين يتمتعون الآن بهذه الصفة . فكانت النتيجة ، من جهة ، ازدياد عدد العبيد المعتقين ، الفائضين ، الذين امسوا عبئاً ، ومن جهة اخرى ، ازدياد عدد المستأجرين المعمّرين colonus والاحرار المفتقرين (الذين يشبهون poor whites * في الولايات الاميركية التي كان يسود فيها الرق من قبل) . ان المسيحية ليست مسؤولة ابداً عن زوال العبودية القديمة تدريجياً . بل انها عاشت مع العبودية جنباً الى جنب في الامبراطورية الرومانية خلال قرون وقرون ، ولم تعترض فيما بعد يوماً على تجارة الرقيق التي كان يتعاطاها المسيحيون : الجرمان في الشمال ، واهل البندقية على البحر الابيض المتوسط ، ولم تعترض فيما بعد على المتاجرة بالزنوج ** . ولم تعد العبودية تدر دخلا ، فاضمحلت . ولكن العبودية بسبيل الزوال خلفت وراءها سهمها السام بصورة ازدراء الاحرار للعمل المنتج . كان ذلك مأزقاً لا مخرج منه انخرط فيه العالم الروماني : فقد أمست العبودية مستحيلة من الناحية الاقتصادية ، وكان عمل الاحرار موضع ازدراء من الناحية الاخلاقية . فالاولى لم يبق بوسعها ان تكون الشكل الاساسي للانتاج الاجتماعي والثاني لم يصبح بعد بوسعه ان يكونه . ولم يكن من الممكن الخروج من هذا المأزق الا بثورة جذرية .

ولم يكن الحال احسن في الاقاليم . ولدينا اوفر المعلومات عن غاليا . فالى جانب المستأجرين المعمّرين ، كان لا يزال هناك ايضاً فلاحون صغار احرار . وكان هؤلاء الفلاحون ، سعياً منهم لوقاية

---

* ـ البيض الفقراء . **الناشر** .

** يقول الاسقف ليوتبراند الكريموني ان صنع الخصيان في القرن العاشر في فردون ، وبالتالي في الامبراطورية الجرمانية المقدسة كان الحرفة الرئيسية ، وانهم كانوا يصدرون الخصيان بربح كبير الى اسبانيا من اجل اجنحة النساء في قصور المغاربة (١٥١) .

www.kassioun.org

انهم من استبداد الموظفين والقضاة والمرابين ، يلجأون احيانا كثيرة الى حماية ورعاية شخصية قوية . ولم يفعل ذلك فلاحون منفردون ، بل ايضا مشاعات بكاملها ، الى حد ان الاباطرة اصدروا غير مرة القرارات في القرن الرابع بمنع ذلك . ولكن ما كان ذلك يؤمن لمن كانوا يفتشون عن الحماية ؟ كان الحامي يفرض عليهم شرطاً مفاده ان يتنازلوا له عن الحق في ملكيـــة اراضيهم على ان يضمن لهم بالمقابل التمتع مدى الحياة بهذه الاراضي . وهذه الحيلة تفهمتها الكنيسة المقدسة واستخدمتهـــا بفائق الجهد في القرنين التاســع والعاشر لكي توسع مملكة الرب وممتلكاتها الارضية بالذات . صحيح ان سلفيان ، اسقف مرسيليا ، كان لا يزال آنذاك ، حوالى عام ٤٧٥ ، يرعد ويبرق ضد هذا النهب ويروي ان اضطهـــاد الموظفين الرومانيين وكبار ملاكي الاراضي اصبح لا يطاق الى حد ان كثيرين من «الرومانيين» يهربون الى الانحاء التي احتلها البرابرة ، وان المواطنين الرومانيين الذين يقيمون هناك لا يخشون ، اكثر ما يخشون ، غير الوقوع من جديد تحت السيطرة الرومانية (١٥٢) . اما ان الآباء كانوا في ذلك الوقت غالباً ما يبيعون اولادهم عبيداً بسبب الفقر ، فهذا ما يدل عليـــه القانون الذي صدر ضد هذه الممارسة .

وقد انتزع البرابرة الجرمان من الرومانيين ثلثي اراضيهم كلها ، مكافاة عن تحريرهم من دولتهم بالذات ، وتقاسموها فيما بينهم . وقد جرت القسمة وفق اصول النظام العشائري . وبمـــا ان عدد الفاتحين لم يكن كبيراً نسبياً ، فقد ظلت مساحات شاسعة من الاراضي بدون تقسيم ، اما ملكاً للشعب بأسره واما ملكـــاً لمختلف القبائل والعشائر . وضمن كل عشيرة ، جرى تقسيـــم الاراضي المحروثـــة والمروج بين مختلف الاستثمارات حصصا متساوية وبالقرعة . ونحن لا نعرف ما اذا كانت قد جرت اعادة

www.kassioun.org

التقسيم بصورة دورية ؛ على كل حال ، توقفت بعد فترة وجيزة عمليات التقسيم الدورية في الاقاليم الرومانية ، واصبحت مختلف القطع ملكاً خاصاً يمكن التنازل عنه ، allod . وبقيت الغابات والمراعي بدون تقسيم ، لاستعمال الجميع . وهذا الاستعمال ، وكذلك طريقة حراثة الاراضي المقسمة تحقق ضبطهما وفق العادة القديمة وبموجب قرار من المشاعة كلها . وبقدر ما كانت تستطيل اقامة العشيرة في قريتها وبقدر ما كان يتزايد تخالط الجرمان والرومانيين تدريجياً ، بقدر ما كان طابع القرابة للصلة بين الناس يتراجع امام الطابع الاقليمي . وقد انحلت العشيرة في المشاعة ـ المارك التي كانت لا تزال تظهر فيهـــا احياناً كثيرة جداً آثار منشئها من علاقات القرابة بين اعضاء المشاعـــة . وبصورة غير ملحوظة تحول التنظيم العشائري الى تنظيم اقليمي ، على الاقل في البلدان التي استمرت فيها المشاعة ـ المارك ـ في شمال فرنسا ، وانجلترا وجرمانيا وسكانديناڤيا ـ واصبح بالتالي قادراً على التكيف للدولة . ولكنه احتفظ مع ذلك بطابعه الديموقراطي الذي تكوّن بصورة طبيعية ، والذي يميز كل النظام العشائري وصـــان حتى الازمنة الحديثة عناصر حية من هذا النظـــام حتى في ذلك الشكل المنحل الذي فرض عليه فيما بعد ، وظل لهذا السبب سلاحاً في ايدي المظلومين .

وعليه ، اذا كانت صلة الدم في العشيرة قد فقدت شأنهـــا بعد فترة وجيزة ، فذلك لان هيئاتهـــا قد انحطت وانحلت ايضاً سواء أفي القبائل ام في الشعب كله ، نتيجة للفتوحات . ونحن نعرف ان السيادة على المخضّعين لا تأتلف مع النظام العشائري . وهذا ما نراه هنا على نطاق كبير . فقد كان يتعين على الشعـــوب الجرمانية التي اصبحت سيدة الاقاليم الرومانية ، ان تنظم ادارة هذه الاراضي التي افتتحتها . ولكنه لم يكن من الممكن لا قبول

www.kassioun.org

جماهير الرومانيين في الجماعات العشيرية ولا السيطرة عليهم بواسطة هذه الاخيرة . وعلى رأس الهيئات الرومانية للادارة المحليـــة ، التي ظل معظمها قائماً في البدء ، كان ينبغي وضع بديل ما عوضاً عن الدولة الرومانيـــة ، ولم يكن من الممكن ان يكون هذا البديل غير دولة اخرى . ولهذا كان ينبغي لهيئات النظام العشائري ان تصبح هيئات للدولة ، وذلك بسرعة كبيرة ، تحت ضغط الظروف . والحال كان القائد العسكري هو الممثل المباشر للشعب الفاتح . وكانت حماية المنطقة المفتوحـــة من الخطر الخارجي والداخلي تتطلب تعزيز سلطته . وهكذا آن الاوان لتحويل سلطة القائد العسكري الى سلطة ملكية ؛ وقد تحقق هذا التحويل .

لنأخذ مملكة الفرنج . هنـــا ، عمد شعب الفرنج الساليين الظافر ووضع يده كلياً ، لا على العقارات الشاسعة التابعة للدولة الرومانية وحسب ، بل ايضاً على جميع الاراضي الرحبة التي لم تُضم عند التقسيم الى الممتلكات المشاعية للدوائر Gau الكبيرة والصغيرة وللمشاعات ـ الماركات ، ولا سيما جميع الغابات الكبيرة . وكان اول عمل قام به ملك الفرنج الذي تحول من مجرد قائد عسكري اعلى الى عاهل حقيقي ، هو تحويل ملكية الشعب هذه الى مُلْكية الملك ، وسرقتها من الشعب ومنحها على سبيل الهدية او الاقطاع الى اعضاء فصيلته . ان هذه الفصيلة التي كانت تتألف في البدء من حاشيته العسكرية الشخصيـــة ومن سائر القـــادة العسكريين الخاضعين له ، قد تزايدت ، بعد حقبـــة قصيرة ، بالرومانيين ، اي بالغاليّين «المُرَوْمَنين» الذين سرعـــان ما اصبحوا ضروريين له بفضل مقدرتهم ككتبة وثقافتهم ، ومعرفتهم للغة الكلامية الرومانية واللغة الادبية اللاتينية ، ومعرفتهم ايضاً القانون المحلي ، كما تزايدت بالعبيد والاقنان والمعتقين الذين كانوا يشكلون هيئة الخدم في بلاطه والذين كان يختار من بينهم

www.kassioun.org

محظييه . وجميع هؤلاء نالوا قطعاً من الارض التي تخص الشعب ، في الآونة الاولى على سبيل الهدية في معظم الاحوال ، ثم فيما بعد ، على سبيل المكافأة بصورة bénéficium وذلك في البدء ، وعموماً ، طوال حياة الملك (١٥٣) . وهكذا انشئ الاساس لاريستقراطية جديدة على حساب الشعب .

وفضلا عن ذلك ، لم يكن من الممكن حكم الدولـــة بوسائل النظام العشائري القديم ، نظراً لسعة رقعتها . فان مجلس الشيوخ ، حتى وان لم يكن قد زال من زمان ، لم يكن بوسعه ان يجتمع ، وسرعان ما استعيض عنه بالمقرّبين الدائمين من الملك . وتغطية للظواهر ، ظلت الجمعية الشعبية القديمة قائمة ، ولكنها اخذت هي ايضا تتحول اكثر فاكثر الى جمعية للقادة العسكريين الخاضعين للملك وللاريستقراطية الناشئة الجديدة . اما الفلاحون الاحرار الذين يملكون ارضا والذين كانوا يشكلون سواد الشعب الفرنجي ، فان الحروب الدائمة ، الحروب الاهلية منها وحروب الفتح ، ولا سيما الاخيرة منها في عهد شرلمـــان ، قد استنزفت مواردهـــم وخربت بيوتهم كما فعلت بالفلاحين الرومانيين من قبل في اواخر عهد الجمهورية . وان هؤلاء الفلاحين الاحرار الذين كان يتالف منهم الجيش كله في البدء ، والذين اصبحوا نواته الاساسيـــة بعد الاستيلاء على اراضي فرنسا قد افتقروا في اوائل القرن التاسع الى حد ان فلاحاً واحداً او يكاد من كل خمسة كان بمقدوره المشاركة في الحملات . وعوضاً عن القوات من الفلاحين الاحرار الذين كان يستدعيهم الملك مباشرة ، قام جيش مؤلف من ملزمين بالخدمة العسكرية من الاريستقراطية الناشئة الجديدة ويضم كذلك فلاحين اقناناً من ابناء واحفاد اولئك الذين كانـــوا لا يعرفون سيداً غير الملك ، والذين كانوا من قبل لا يعرفون ابداً ايا من الاسياد ، بمن فيهم الملك . ثم ان الحروب الداخلية ، وضعف السلطة الملكية ،

www.kassioun.org

وتطاولات ذوي المكانة ـ فضلا عن الكونتات Gaugrafen (١٥٤) الذين عينهم شارلمـــان والذين كانوا يسعون الى جعل مناصبهم وراثية ، واخيراً غزوات النورمانديين ، ـ كل ذلك انجز خراب الفلاحين الفرنج في عهد ورثة شارلمان . وبعد مرور خمسين سنة على وفاة شارلمان ، كانت امبراطورية الفرنج منبطحة عند اقدام النورمانديين ، عاجزة عن كل مقاومة ، مثلما كانت الامبراطورية الرومانية قبل ذاك باربعة قرون منبطحة عند اقدام الفرنج .

ولقد كانت بمثل هذه الحال تقريباً ، لا بسبب عجزها امام العدو الخارجي وحسب ، بل ايضاً بسبب نظامها الاجتماعي الداخلي او بالاصح بسبب انعدام النظام . وقد كان الفلاحون الفرنج الاحرار يعالون نفس الوضع الذي كان يعانيه اسلافهم المستأجرون المعمّرون الرومانيون . ومن جراء الخراب الذي الحقته بهم الحروب واعمال النهب ، اضطروا الى توسل حماية الكنيسة او الاريستقراطيـــة الناشئة الجديدة لان السلطة الملكية كانت ضعيفة الى حد انها لا تستطيع حمايتهم . ولكنهم اضطروا الى دفع ثمن باهظ لقاء هذه الحماية . فقد كان ينبغي عليهم ، شانهم شان الفلاحين الغاليين من قبل ، ان ينقلوا الى الحامي حق ملكية قطعهم من الارض ، وكان هذا يعيدها بدوره اليهم بصورة tenure حيازة مشروطة ، بشروط مختلفة ومتغيرة ، ولكن دائماً مقابل تادية الخدمات ودفع الاتاوات . وما ان كانوا يخضعون لهذه التبعية حتى كانوا يفقدون حريتهم الشخصية ايضاً شيئاً فشيئاً . وبعد بضعة اجيال ، كانوا بأغلبيتهم اقناناً . اما باي سرعة اندثرت فئة الفلاحين الاحرار ، فهذا ما يبينه السجل الذي وضعـــه ايرمينون باملاك دير سان-جرمان-دي-بري الذي كان يقع آنذاك في جوار باريس ويقع الآن في باريس بالذات (١٥٥) . فان املاك هذا الدير الشاسعة ، الموزعة في الضواحي ، كانت تشمل آنذاك في عهد شارلمان ٢٧٨٨ استثمارة

www.kassioun.org

يسكنها بوجه الحصر تقريباً فرنج ذوو اسماء جرمانيـــة . وبين هؤلاء ، كان ٢٠٨٠ معمراً و٣٥ ليتاً * ، و٢٢٠ عبداً وفقط ٨ مواطنين احرار ! ان العادة التي كان الحامي يجبر بموجبها الفلاح على ان يتنازل له عن قطعة ارضه على سبيل الملكية ، ثم لا يعيد بموجبها قطعة الارض هذه الى الفلاح الا لاجل التمتع بهـــا مدى الحياة ، ان هذه العادة التي اعلنها سلفيان كفراً والحاداً ، انمـــا اخذت الكنيسة تطبقها الآن في كل مكان ضد الفلاحين . واعمـــال السخرة التي طفقت تصبح اكثر فاكثر ظاهرة عادية أليفة ، كان لها نموذجها المسبق سواء في angaries (الانغاري) الرومانيـــة اي الاعمال الالزامية في صالح الدولـــة (١٥٦) ، ام في الاتاوات المفروضة على اعضاء المشاعة-المارك الجرمانية لاجل بناء الجسور والطرق ولاجل غير ذلك من الاهداف العامـــة . وهكذا عاد سواد السكان بعد اربعمئة سنة ، كانما بصورة كليـــة ، الى نقطـــة انطلاقهم .

ولكن هذا كان يبرهن فقط شيئين : اولا ، ان التمايز الاجتماعي وتوزع الملكية في الامبراطورية الرومانية في مرحلـــة الانحطاط كانا يتطابقان تماماً مع مستوى الانتاج الذي بلغته الزراعة والصناعة آنذاك ، وكانا بالتالي امراً محتماً لا مناص منه ؛ وثانياً ، ان مستوى الانتاج هذا لم يرتفع ولم يهبط بصورة جوهرية في سياق الاربعمئة سنة التالية ، ولهذا ادى بالضرورة ذاتها الى توزع الملكية ذاته والى نشوء طبقات السكان ذاتها . وفي غضون القرون الاخيرة من وجود الامبراطورية الرومانية ، فقدت المدينة سيادتها السابقة على القرية ولم تستعدها في غضون القرون الاولى من السيادة

---

* الليت lites ، عند الفرنج ، طبقة متوسطة بين طبقة الاقنـــان وطبقة الاحرار . **المعرب** .

www.kassioun.org

الجرمانية . وهذا يفترض درجة منخفضة من التطور سواء في الزراعة او في الصناعة . وهذا الوضع العام يؤول بالضرورة الى ظهور كبار ملاكي الاراضي ذوي السيادة والسيطرة والفلاحين الصغار التابعين . وما اقل ما كان من الممكن ان تفرض على هذا المجتمع اقتصادات اللاتيفونديات الرومانية القائمة على عمل العبيد ، من جهة ، والاقتصاد الكبير الجديد القائم على السخرة من جهة اخرى . وهذا ما تثبته التجارب الجليلة التي قام بها شارلمان بفيلاته الامبراطورية الشهيرة ، والتي زالت دون ان تترك اي اثر تقريباً . وهذه التجارب لم يواصلها غير الاديرة ، وفي الاديرة فقط كانت مثمرة . ولكن الاديرة كانت اجهزة اجتماعية شاذة قائمة على التبتل ؛ وقد كان بوسعها ان تعطي نتائج خارقة العادة ، ولكنه كان لا بدّ لها لهذا السبب ان تبقى استثناء .

ومع ذلك ، تحققت خطوة كبيرة الى امام خلال هذه الاربعمئة سنة . واذا كنا نجد في اواخر هذه المرحلة الطبقات الاساسية ذاتها تقريباً التي كانت قائمة في بدايتها ، فان الافراد الذين يؤلفون هذه الطبقات قد تغيروا مع ذلك . فقد زالت العبودية القديمة ، وزال الاحرار الذين حل بهم الخراب والفقر والذين كانوا يزدرون العمل بوصفه واجب العبد . وبين المعمّر الروماني والقن الجديد كان يقف الفلاح الفرنجي الحر . وقد ولت الى الابد «الذكريات العقيمة والنضال الباطل» للعالم الروماني المنقرض . ان الطبقات الاجتماعية في القرن التاسع لم تتكون في جو من تفسخ حضارة بسبيل الاندثار ، بل في آلام مخاض حضارة جديدة . ان الجيل الجديد ، ـ الاسياد منه والخدم ـ كان جيلا من الرجال بالقياس الى سابقيه الرومانيين . وتلك العلاقات بين كبار ملاكي الاراضي ذوي الحول والطول وبين الفلاحين التابعين لهم ، التي كانت بالنسبة للرومانيين لا يفصح عن هلاك العالم القديم بلا مرد ، قد صارت الآن بالنسبة

www.kassioun.org

للجيل الجديد نقطة انطلاق لتطور جديد . وفضلا عن ذلك ، مهما بدت هذه السنوات الاربعمئة عقيمة ، فانها تركت نتيجة كبيرة **واحدة** : القوميـــات العصريـــة ، التكوين والتركيـب الجديد للقسم الاوروبي الغربي من البشريـة لاجل التاريخ المقبـــل . فان الجرمان قد احيوا اوروبا بالفعل من جديد ، ولهذا لم يسفر تدمير الدول الذي جرى في المرحلـــة الجرمانيـــة عن استعبـــاد النورمانديين والمسلمين ، بل عن استمرار تطور الاقطاعات bénéficium وعلاقات الحمايـــة commende (١٥٧) نحـــو الاقطاعية وعن ازديـاد عدد السكان ازدياداً هائلا الى حد انه امكن ، بدون ضرر ، احتمال الخسائر الفادحة التي تسببت بها الحروب الصليبيـــة بعد اقل من مائتي سنة .

فما هي اذن الوسيلة السحرية السرية التي نفح بها الجرمان قوة حياتية جديدة في اوروبا بسبيل الاحتضار ؟ هل كانت قوة خاصة ، عجيبة المفعول ، فُطر عليها العرق الجرماني كمـــا يزعم مؤرخونا الشوفينيون ؟ كلا ابداً . فان الجرمان كانوا ، ولا سيما آنذاك ، فرعاً آرياً موهوباً جداً في اوج ازدهار قواه الحيوية . ولكن ما جدد شباب اوروبا ليس مزاياهم القومية الخاصة ، بل مجرد بربريتهم ، ونظامهم العشائري .

ان كفاءاتهم وبسالتهم الشخصية ، وحبهم للحرية ، وغريزتهم الديموقراطية التي تحملهم على ان يروا في جميع الشؤون العامة شؤونهم الخاصة بالذات ، ــ وبكلمة ، ان جميع تلك الخصال التي فقدها الرومانيون والتي بفضلها وحدها دون غيرها كان يمكن تكوين دول جديدة من طمي ووحل العالم الروماني ودفع نمو القوميات الجديدة ، ــ كل هذا ، ترى ، ماذا كان ان لم يكن السمات المميزة للانسان الذي بلغ الطور الاعلى من البربرية ، ان لم يكن ثمرة نظامه العشائري ؟

www.kassioun.org

واذا كان الجرمان قد حولوا الشكل القديم لاحادية الزواج ، وخففوا سيادة الرجل في العائلة ، واعطوا المرأة مركزاً اعلى من ذاك الذي عرفه يوماً العالم الكلاسيكي ، فما الذي جعلهم قادرين على ذلك ، ان لم يكن بربريتهم وعاداتهم العشيرية ، وبقايا عهد الحق الامي التي كانت لا تزال حية آنذاك ؟

واذا كانوا قد استطاعوا ، في ثلاثة من البلدان الرئيسيـــة على الاقل ، ــ اي في المانيا وفرنسا الشمالية وانجلترا ، ــ ان ينقذوا خرقة من النظـــام العشائري الحقيقي بشكل المشاعات ـ الماركات وينقلوها الى الدولة الاقطاعية ، واعطوا بالتالي الطبقة المظلومة ، طبقة الفلاحين ، حتى في ظروف اقسى نظم القنانة في القرون الوسطى ، تلاحماً محلياً ووسيلة للمقاومـــة ، الامر الذي لم يجده بصورة جاهزة لا العبيد القدامى ولا البروليتاريون المعاصرون ، فعَمَّ نجم هذا ان لم يكن عن بربريتهم ، عن طريقتهم في الاستيطان عشائر عشائر ، هذه الطريقة الملازمة بوجه الحصر لعهد البربرية ؟

واخيراً ، اذا كانوا قد استطاعوا ان يطوروا ويرفعوا الى درجة الشمول شكلا ألطف للتبعية كان قائماً في موطنهم وكانت تنتقل اليه العبودية اكثر فاكثر في الامبراطورية الرومانية ، شكلا ، كما اشار فوريه (١٥٨) للمرة الاولى ، يوفر للمستعبَدين الوسيلة لتحررهم تدريجيـــاً **بوصفهم طبقـــة** fournit aux cultivateurs des moyens d'affranchissement collectif et progressif • ، شكلا يأتي من جراء ذلك اعلى بكثير من العبودية التي لا يمكن ان يتحقق فيها غير تحرير الفرد بمفرده على الفور وبدون مرحلة انتقاليـــة (ان العالم القديم لا يعرف القضاء على العبوديـــة بفضل ثورة مظفرة) ، في حين ان اقنان القرون الوسطى احرزوا بالفعل تدريجيا

• تعطـــي الزراع الوسائل للتحرر **الجماعي والتدريجي** . **الناشر** .

www.kassioun.org

تحررهم كطبقة ــ فعمّ نجم هذا ان لم يكن عن بربريتهم التي بفضلها لم يرفعوا هذه التبعية عندهم الى مستوى العبودية التامة : لا الى الشكل القديم لعمل العبيد ولا الى العبودية المنزلية الشرقية ؟

ان كل ما لقح به الجرمان العالم الروماني من مثمر وصالح للحياة انما كان نتاج البربرية . وبالفعل كان البرابرة وحدهم دون غيرهم قادرين على تجديد شباب عالم هرم يأفل نجم حضارته . وان الطور الاعلى من البربرية الذي تطور الجرمان نحوه وبلغوه قبل هجرات الشعوب ، كان بالضبط الانسب لمثل هذا التطور . وهذا يفسّر كل شيء .

٩

البربرية والحضارة

لقد تتبعنا انحلال النظام العشائري في ثلاثة امثلة كبيرة : عند اليونانيين والرومانيين والجرمان . لندرس الآن ختاماً الظروف الاقتصادية العامة التي قوضت التنظيم العشائري للمجتمع في الطور الاعلى من البربرية وازالته كلياً عند ظهور الحضارة . وهنا سيكون كتاب ماركس «رأس المال» ضرورياً مثل كتاب مورغان .

بقدر ما تسمح لنا مصادرنا ، نستطيع القول ان العشيرة التي نشأت في الدرجة الوسطى من الوحشيـــة وظلت تتطور في درجتها العليا ، قد بلغت اوجها في الدرجة الدنيا من البربرية . ومن درجة التطور هذه ، سنبدأ .

وهنا ، حيث ينبغي ان يكون لنا الهنود الحمر الاميركيون مثالا ، نجد النظام العشائري متطوراً تماماً . فقد انقسمت القبيلة الى بضع عشائر وعلى العموم الى اثنتين . وكل من هذه العشائر الاولية تنقسم بدورها ، بقدر ما يتنامى عدد السكان ، الى بضع

www.kassioun.org

عشائر بنات تقوم العشيرة الام تجاهها بدور فراترية . والقبيلة ذاتها تنقسم الى بضع قبائل نجد في كل منها من جديد في معظم الاحوال العشائر السابقة . ويضم الاتحـــاد ، على الاقل في بعض الاحوال ، قبائل تجمع بينها قرابة الدم . ان هذا التنظيم البسيط يطابق تماماً الظروف الاجتماعية التي انبثق منها . وهو ليس غير تركيب ملازم لهذه الظروف نشأ بصورة طبيعية ؛ وبمقدوره ان يسوي جميع النزاعات التي قد تنشب داخل المجتمع المنظم على هذا النحو . اما النزاعات مع العالم الخارجي ، فـــان الحرب هي التي تحلها . وقد تنتهي الحرب بابادة القبيلة ، ولكنها لا تنتهي في حال من الاحوال باستعبادها . ان عظمة النظـــام العشائري ومحدوديته في آن واحد ، انما تقومان في انه لا مكان فيه لاجل السيادة والاستعباد . وداخل النظام العشائري لا يوجد اي فرق بين الحقوق والواجبات . ولا ترد بالنسبة للهندي الاحمر مسالة ما اذا كان الاشتراك في الشؤون العامة ، او الثار او دفع فديـــة عنه حقاً او واجباً ؛ وهذه المسالة تبدو له خرقاء كمسالـــة ما اذا كان الأكل والنوم والصيد حقاً او واجباً . كذلك لا يمكن ان يحدث انقسام القبيلة او العشيرة الى طبقات مختلفة . وهذا ما يسوقنا الى بحث الاساس الاقتصادي لهذا النظام .

السكان قليلون للغاية ؛ ونسبتهم اكثف في مكان اقامة القبيلة فقط . وحول هذا المكان ، يمتد حزام عريض من الاراضي لاجل الصيد اولا ، ثم حزام حيادي واق من الغابات يفصل القبيلة عن القبائل الاخرى . وتقسيم العمل عفوي صرف . وهو لا يقوم الا بين الذكور والاناث . الرجال يحاربون ويمضون الى الصيد البري والى صيد السمك ، ويستحصلون على المادة الاولية لاجل الطعام ويصنعون لهذا الغرض الادوات الضرورية . والمرأة تشتغل في البيت وتهيئ الطعام والالبسة ؛ انها تطبخ وتحيك وتخيط . وكل

www.kassioun.org

من الرجل والمرأة سيد في ميدانه ، الرجل في الغاب والمرأة في البيت . وكل منهما مالك للادوات التي يصنعها ويستعملها : الرجل مالك للاسلحة ولوازم الصيد البري وصيد السمك ، والمرأة مالكة للادوات البيتية . والاقتصاد البيتي تديره على اسس شيوعيـــة بضع عائلات واحيانا كثيرة عدد كبير من العائلات * . وما يجري اعداده واستعماله بصورة مشتركة هو ملكية عامة ، مشتركة : البيت ، البستان ، الزورق . فهنا اذن ، وهنـــا فقط ، توجد بالفعل «الملكية ، ثمرة العمل الشخصي» التي اختلقها الحقوقيون والاقتصاديون في المجتمع المتحضر ، والتي هي آخر مبرر حقوقي باطل لا تزال ترتكز عليه الملكية الرأسمالية المعاصرة .

ولكن الناس لم يتوقفوا في كل مكان عند هذه الدرجة . ففي آسيا وجدوا حيوانات يمكن تدجينهـــا ومن ثم تربيتهـــا بعد تدجينها . كان ينبغي اصطياد انثى الجاموس البري ؛ اما المدجنة ، فقد كانت تلد كل سنة عجلا ناهيك بانها كانت تدر حليباً . ان بعضاً من اكثر القبائل تقدماً ، ـ الآريين والساميين ، ولربما ايضا الطورانيين ـ قد جعلوا من تدجين المواشي اولا ، ومن تربيتها ورعايتها فيمـــا بعد ، الفرع الرئيسي من نشاطهم . وانفصلت قبائل الرعاة عن بقية البرابرة . وكان ذلك **اول تقسيم اجتماعي كبير للعمل** . كانت قبائل الرعاة لا تنتج اكثر من سائر البرابرة وحسب ، بل كانت وسائل العيش التي تنتجها مختلفة ايضاً . فلم يكن يتوفر لها الحليب والالبان واللحوم بكميـــات اكبر بكثير وحسب ، بل كانت تتوفر لها ايضاً الجلود والصوف وشعر الماعز ،

---

* ولا سيما على الساحل الشمـــالي الغربي من اميركا (راجـــع بانكروفت) . وعند قبيلة الهايدا في جزر الملكة شارلوت ، توجد اقتصادات بيتيـــة تضم تحت سقف واحد حتى ٧٠٠ شخص . وعند النوتكا ، كانت قبائل بكاملها تعيش تحت سقف واحد .

www.kassioun.org

وكذلك الخيوط والاقمشة التي كان انتاجهـــا يزداد مع تزايد المواد الاولية . وعلى هذا النحو اصبح التبادل المنتظم ممكنـــاً للمرة الاولى . اما في الاطوار السابقة من التطور ، فلم يكن من الممكن ان يحدث التبادل الا من قبيل الصدفة . ان المهارة الخاصة في صنع الاسلحة والادوات قد تؤول الى تقسيم العمل لفترة من الوقت . فقد وجدت ، مثلا ، في كثير من الانحاء ، بقايا ثابتـــة اكيدة لمشاغل كانت تصنع الادوات الحجرية في العصر الحجري المتاخر . وكان الحرفيون الذين يرقون مهارتهم فيها يشتغلون ، اغلب الظن ، على حساب وفي صالح الجماعة كلها ، كما لا يزال يفعل ذلك الآن الحرفيون الدائمون في المشاعات العشيريـــة في الهند . في هذه المرحلـــة من التطور ، لم يكن من الممكن ان يقوم التبادل الا في قلب القبيلة ، ناهيك بانه بقي هنـــا ايضاً ظاهرة استثنائية . اما الآن ، بعد انفصال قبائل الرعاة وتميزها ، فاننا نجد ، على العكس ، جميع الشروط والظروف جاهزة لاجل التبادل بين اعضاء مختلف القبائل ، لاجل تطوره وتوطده بوصفه مؤسسة دائمة . في البدء كان التبادل يجري بين قبيلة وقبيلة بوساطـــة شيوخ العشائر في كل قبيلة . اما عندما اخذت القطعان تصبح ملكية شخصية ، فقد اخذ التبادل بين الافراد يهيمن اكثر فاكثر ، الى ان صار اخيراً الشكل الوحيد للتبادل . ولكن الماشيـــة كانت السلعة الرئيسية التي تتبادلها قبائل الرعاة مع جيرانها . وقد غدت الماشية بضاعة تُقدَّر بها جميع البضائع الاخرى وتُقْبَل في كل مكان بطيبة خاطر مقابل البضائع الاخرى ؛ وبكلمـــة ، اكتسبت الماشيـــة وظيفـــة النقد وقامت بدور النقد في هذا الطـــور . ذلك ان الحاجة الى بضاعة خاصة هي النقد كانت ماسة وملحة للغاية منذ بداية تبادل البضائع بالذات .

اغلب الظن ان سكان آسيا لم يعرفوا البستنة في الطور الادنى

www.kassioun.org

من البربرية ، ولكنها ظهرت عندهم في الطور الاوسط ، لا بعده ، كسابقة للزراعة . فان المناخ في السهول الطورانيـــة لا يسمح بالحياة الراعية بدون احتياطيات من العلف للشتـــاء الطويل والقاسي : ولذا كانت العناية بالمروج وزراعـــة الحبوب امراً ضرورياً لا غنى عنه هنا . والشيء نفسه يجب قوله بصدد السهوب الواقعة شمالي البحر الاسود . ولكن ما ان بدأ انتاج الحبوب لاجل المواشي حتى اصبحت بعد فترة وجيزة طعاماً للانسان ايضـــاً . وبقيت الاراضي المحروثة ملكاً للقبيلة ، وكان يعهد باستغلالها الى العشيرة في البدء ، وفيما بعد ، من قبل العشيرة ذاتهـــا الى المشاعات البيتية ، واخيراً ، الى الافراد . ولربمـــا كان للافراد بعض حقوق وضع اليد عليها ، ولكن لا اكثر .

بين منجزات هذا الطور في حقل النشاط الصناعي ، تتسم اثنتان باهمية كبيرة جداً هي ، اولا ، اداة الحياكة وثانياً ، صب الفلزات المعدنية ومعالجـــة المعادن . وكان النحاس والقصدير ، وكذلك البرونز المصبوب منهما اهم المعادن ؛ فالبرونز اعطى ادوات نافعة واسلحة فعالـــة ، ولكنه لم يكن بوسعه ان يحل محـــل الادوات الحجرية ؛ فلم يكن من الممكن ان يقوم بهذه المهمة غير الحديد ؛ والحال ، كانوا لا يعرفون بعد كيف يستخرجونه . وقد شرعوا يستعملون الذهب والفضة لاجل الزين والحلى ، لانهما كانا ، على ما يبدو ، قد كسبا قيمة اكبر من قيمة النحاس والبرونز .

ان نمو الانتاج في جميع الفروع – تربية المواشي ، الزراعة ، الحرف المنزلية – قد منح قوة عمل الانسان القدرة على انتـــاج كمية من المنتوجات تزيد عما يحتاج اليه للعيش والبقاء . وزاد في الوقت نفسه كمية العمل الذي يترتب على كل من اعضاء العشيرة او المشاعة البيتية او العائلة المنفردة ان يبذله يومياً . وظهرت الحاجـــة الى استعمال قوة عمل جديدة . فقدمت الحرب هذه

www.kassioun.org

القوة : فقد طفقوا يحولون اسرى الحرب الى عبيد . وبانمـــاء انتاجية العمل وبالتالي الثروة ، وبتوسيع ميدان النشاط الانتاجي ، ادى اول تقسيم اجتماعي كبير للعمل ، في مجمل الظروف التاريخية المعنية ، الى نشوء العبودية بصورة محتمة . ومن اول تقسيـــم اجتماعي كبير للعمل نجم اول انقسام كبير للمجتمع الى طبقتين ، الاسياد والعبيد ، المستثمِرين والمستثمَرين .

كيف ومتى انتقلت القطعان من ملكية القبيلـــة او العشيرة الى ملكية رؤساء العائلات ؟ نحن لا نعـــرف حتى الآن اي شيء عن هذا . ولكنه لا بدّ ان هذا الانتقال قد وقع اساســاً في هذا الطور . ومع اقتنـــاء القطعان وغير ذلك من الثروات الجديدة ، حدثت ثورة في العائلة . ان تحصيل اسباب المعيشة كان دائماً من شؤون الرجل ، وكان هو الذي يصنع الوسائل اللازمـــة لهذا الغرض وكان هو مالكهـــا . وكانت القطعان وسائل جديدة لتحصيل اسباب المعيشة . وكان من شأن الرجل تدجينها اولا ثم حراستها ورعايتها ثانياً . ولهذا كانت الماشية تخصه ؛ وكانت تخصه ايضاً البضائع والعبيد التي يحصل عليها مقابل رؤوس الماشية . واخذت الفوائض التي توفرها الآن تربية الماشية تعود الى الرجل . كانت المرأة تشارك في استهلاك هذه الفوائض ، ولكن لم تكن لها حصة في ملكيتها . لقد كان «المتوحش» ، المحارب والصيادّ ، يكتفي في البيت بالمرتبة الثانيـــة بعد المرأة ؛ اما الراعي «الوديع» فقد احتل المرتبة الاولى متبجحـــاً بثروته ، وازاح المرأة الى المرتبة الثانية . ولم يكن بوسعها ان تتذمر وتتشكى . فان تقسيم العمل في العائلة كان قد حدد واشترط تقسيم الملكية بين الرجل والمرأة . وقد بقي تقسيم العمل كمـــا كان عليه ، ولكنه قلب الآن كليـــاً العلاقات البيتية السابقة ، وذلك لسبب واحد هو ان تقسيم العمل خارج العائلة قد تغير . ان السبب نفسه الذي كان ضمن من قبل

www.kassioun.org

للمرأة السيادة في البيت ، ـ اي قيامها بالأعمال المنزلية فقط ـ ان هذا السبب نفسه قد ضمن الآن للرجل بصورة محتمة السيادة في البيت . لقد فقد الآن عمل المرأة البيتي اهميته بالقياس الى عمل الرجل المنتج ؛ ان عمله كان كل شيء ، بينما عملها مجرد ملحق تافه . وهنا اخذ يتبين ان تحرر المرأة ، مساواتها في الحقوق مع الرجل ، امر غير ممكن ، لا الآن ولا في المستقبل ، ما دامت المرأة مقصية عن العمل المنتج الاجتماعي ومضطرة الى الاكتفاء بالعمل البيتي الخاص . ولن يصبح تحرر المرأة امراً ممكناً الا متى استطاعت ان تشارك ، على نطاق اجتماعي كبير ، في الانتاج ومتى اصبح العمل البيتي لا يأخذ من وقتها الا قدراً ضئيلا . وهذا ما لم يصبح ممكناً الا بفضل الصناعة الكبيرة العصرية التي لا تتيح عمل النساء على نطاق كبير وحسب ، بل تتطلبه صراحة وتحاول اكثر فاكثر ان تجعل من العمل البيتي الخاص جزءاً لا يتجزأ من الانتاج الاجتماعي .

ومع توطد سيادة الرجل الفعلية في البيت ، سقطت آخر الحواجز امام سلطته المطلقة . وهذه السلطة المطلقة وطدها وخلدها سقوط الحق الامي ، وتطبيق الحق الأبوي ، والانتقال التدريجي من الزواج الثنائي الى احادية الزواج . ولكن هذا احدث في الوقت نفسه ثغرة في النظام العشائري القديم : فقد غدت العائلة الفردية قوة انتصبت في وجه العشيرة مهددة .

ان الخطوة التالية تقودنا الى الطور الاعلى من البربرية ، الى مرحلة تعيش فيها جميع الشعوب المتمدنة عصرها البطولي ، عصر السيف الحديدي ، وكذلك عصر المحراث الحديدي والفأس الحديدية . فقد شرع الحديد يخدم الانسان ، وهو آخر وأهم جميع اصناف المواد الاولية التي اضطلعت بدور ثوري في التاريخ والصنف الاخير ـ حتى ظهور البطاطا . وقد اتاح الحديد حراثة الحقول

www.kassioun.org

على مساحات اكبر واستئصال رقع شاسعة من الغابات لاجل حراثة تربتها ، واعطى الحرفي ادوات تتميز بصلابـــة وحدة ما كان من الممكن ان يقاومهما اي حجر او اي من المعادن المعروفة آنذاك . كل هذا لم يحدث دفعة واحدة . فاحيانا كثيرة ، كان الحديد الاول لا يزال اقل صلابة من البرونز . ولهذا لم ينقرض السلاح الحجري الا ببطء ؛ وليس في «نشيد هيلديبراند» وحسب ، بل ايضاً في معركة هاستينغس ، عام ١٠٦٦ ، استخدمت الفؤوس الحجرية اثناء القتال (١٥٩) . ولكن التقدم استمر الآن بلا مردّ ، بمزيد من السرعة ، واقل من الانقطاعـــات . واذا المدينة التي تضم بين اسوارها وابراجها وشرفاتها المسننة الحجرية بيوتاً من الحجر او الآجر ، تغدو مركز القبيلة او اتحاد القبائل ؛ وكان ذلك تقدماً هائلا في فن البناء ولكنه كان ايضـــاً دليل خطر متفاقم وحاجـــة متعاظمة إلى الحماية . وتنامت الثروة بسرعة ، ولكن بوصفهـــا ثروة افراد . واخذت الحياكة ومعالجة المعادن والحرف الاخرى تنفصل وتنعزل اكثر فاكثر بعضها عن بعض ، واخذ الانتـــاج يزداد تنوعاً واتقانـــاً اكثر فاكثر . وعلاوة على الحبوب والبقول والفواكه ، بدأت الزراعة تعطي الآن الزيت النباتي والخمور بعد ان تعلم الناس صنعها . وهذا النشاط المتنوع الوجوه لم يبق من الممكن ان يمارسه شخص واحد بمفرده ؛ فحدث **التقسيم الكبير الثاني للعمل** : فقد انفصلت الحرفة عن الزراعة . ان نمو الانتاج ومعه انتاجية العمل بلا انقطاع قد رفع قيمة قوة عمل الانسان ؛ واذا العبودية التي كانت في الطور السابق قد ظهرت للتو وحسب وكانت تتسم بطابع عرضي ، تصبح الآن جزءاً مكونا جوهريا من النظـــام الاجتماعي . ولم يبق العبيد مجرد معاونين ، بل شرعـوا يسوقونهم بالعشرات الى العمل في الحقول وفي المشاغل . ومـــع انقسام الانتاج الى فرعين رئيسيين كبيرين ، هما الزراعة والحرفة ،

www.kassioun.org

يظهر الانتـــاج من اجل التبادل مباشرة ، اي الانتاج البضاعي ، ومعه تظهر التجارة ، لا داخل القبيلة وعلى حدودها وحسب ، بل ايضاً مع البلدان الواقعة ما وراء البحار ؛ ولكن كل هذا بشكل لا يزال بعد بدائياً . واخذت المعادن الثمينة تصبح البضاعـــة المهيمنة والشاملة اي النقود ، ولكنهم لم يشرعوا بعد بسك هذه النقود ، بل كانوا يكتفون بتبادلها حسب وزنها .

والى جانب الفرق بين الاحرار والعبيـــد ، يظهر الفرق بين الاغنياء والفقراء ؛ فالتقسيم الجديد للعمل يرافقه انقسام جديد للمجتمع الى طبقات . وفوارق الملكية بين مختلف رؤساء العائلات تفجر المشاعة البيتية الشيوعيـــة القديمة حيثمـــا ظلت قائمة ؛ ومع هذه المشاعة تزول حراثة الارض بصورة مشتركة بوسائلها . وتوضع الاراضي الصالحة للزراعة تحت تصرف العائلات الفردية لكي تستغلها ، اولا لفترة من الوقت ، وفيما بعد الى الابد . ان انتقال هذه الاراضي الى الملكية الخاصة الكاملة يتحقق تدريجيـــاً وفي آن واحد مع الانتقال من الزواج الثنائي الى احادية الزواج . وتصبح العائلة الفردية الوحدة الاقتصادية في المجتمع .

ان تزايد كثافة السكان يجبر على المزيد من التلاحـم سواء في الداخل او في وجه العالم الخارجي . وفي كل مكان ، يغدو اتحاد القبائل التي تجمع بينها رابطة القربى امراً ضرورياً لا غنى عنه ؛ وسرعان ما يغدو من الضروري ايضاً اندماجها فيما بينها وبالتالي دمج مختلف اراضيها القبلية في ارض واحدة مشتركـــة للشعب بأسره . ويغدو زعيم الشعب العسكري — rex, basileus, thiudans (الركس ، الباسيليوس ، الثيودانس) موظفاً ضرورياً ، دائمـــاً . وتظهر الجمعيـــة الشعبية حيث لم يكن لهـــا وجود بعد . القائد العسكري ، المجلس ، الجمعية الشعبية ، — تلك هي هيئات المجتمع العشائري الذي تطور وصار ديموقراطية عسكرية . عسكرية لان

www.kassioun.org

الحرب والتنظيم لاجل الحرب اصبحا الآن وظيفتين دائمتين منتظمتين في حياة الشعب . وثروات الجيران تثير الجشع والطمع عند الشعوب التي يبدو ان الحصول على الثروات غدا واحداً من أهم اهدافهـا في الحياة . انها بربرية : فالنهب يبدو لهـا أسهل وحتى أشرف من العمل البنّاء . والحرب التي كانوا لا يخوضون غمارهـا من قبل الا لاجل الثـار من الاعتداءات ، او لاجل توسيع رقعـة الاراضي التي لم تعد تكفي ، انما يخوضون غمارها الآن من اجل النهب وحسب ، وتصبح حرفة دائمة . وليس عبثاً ترتفع الاسوار الرهيبة حول المدن المحصنة الجديدة ؛ ففي خنادقها يفتح مدفن النظام العشائري شدقيه ، وابراجها تتطاول نحو الحضارة . والامر نفسه يحدث في داخل المجتمع . فان حروب النهب تعزز سلطـة القائد العسكري الاعلى وكذلك سلطة القادة العسكريين الخاضعين له . وانتخاب اسلافهـم بحكم العادة من العائلات ذاتهـا يغدو شيئاً فشيئاً ، ولا سيما منذ توطد الحق الابوي ، سلطة وراثية يصبرون عليها في البدء ، ثم يطالبون بها ، واخيراً يغتصبونها ؛ وتوضع اسس السلطة الملكية الوراثية واسس الاريستقراطيـة الوراثية . وهكذا تنفصل هيئات النظام العشائري تدريجيـاً عن جذورها في الشعب ، في العشيرة ، في الفراتريـة ، في القبيلـة ، ويتحول النظـام العشائري كلـه الى نقيضـه : فمن تنظيـم للقبائل لاجل تصريف شؤونها بحرية يتحول الى تنظيم لاجل نهب الجيران واضطهادهم ، وتبعاً لذلك تتحول هيئاته من ادوات لارادة الشعب الى هيئات مستقلة للسيطرة والاستبداد موجهة ضد شعبها بالذات . ولكنـه لم يكن من الممكن ان يحدث هذا يومـاً لو لم يفرق الطمع الشديد بالثروة اعضاء العشيرة الى اغنياء وفقراء ، لو «لم تحول فوارق الملكية داخل العشيرة الواحدة وحدة المصالح الى تناحر بين اعضاء العشيرة» (ماركس) (١٦٠) ، ولو لم يكن قد

www.kassioun.org

بدأ انتشار العبودية يحمل على اعتبار تحصيل اسبـــاب العيش بالعمل الشخصي امراً جديراً بالعبد وحسب ، واشد خزيـــاً من النهب .

* * *

وصلنا الآن الى عتبة الحضارة . وهي تنفتح بخطوة جديدة الى الامـــام في تقسيـــم العمل . ففي الطور الادنى ، كان النـــاس لا ينتجون الا من اجل تلبية حاجاتهم الشخصية مباشرة . وكانت عمليات التبادل نادرة جداً ، ولم تكن تشمل غير الفوائض المتبقية صدفة . وفي الطور الاوسط من البربرية ، نجد ان الماشية صارت ، عند شعوب الرعاة ، ملكية تعطي بانتظام فائضـــاً على الحاجات الشخصية اذا ما كبر القطيع نوعاً ؛ وفي الوقت نفسه نجد كذلك تقسيم العمل بين شعوب الرعاة والقبائل المتخلفة التي لا تملك قطيعاً ، ونجد بالتالي طورين مختلفين من الانتاج جنباً الى جنب ؛ وهذا يعني توفر الظروف والشروط لاجل التبادل المنتظـــم . وفي الطور الاعلى من البربرية ، يجري تقسيم جديد للعمل بين الزراعة والحرفة ، ويجري بالتالي انتاج قسم متزايد ابداً من منتوجات العمل لاجل التبادل مباشرة ، ويحدث بالتالي ايضاً تحويل التبادل بين مختلف المنتجين الى ضرورة حيوية بالنسبة للمجتمع . وتوطد الحضارة وتعزز جميع اشكال تقسيم العمل هذه التي نشأت قبلها ، ولا سيما بتشديد حدة التضاد بين المدينة والقرية (مع العلم ان من الممكن ان تسود المدينـــة اقتصاديـــاً على القرية ، كما كان الحال في الازمنة القديمة ، او ان تسود القريـة على المدينـــة ، كما كان الحال في القرون الوسطى) ، وتضيف اليهـــا تقسيماً ثالثاً للعمل تختص به وحدها ويتسم باهمية حاسمة : فهي تخلق طبقة لا تتعاطى الانتاج ، بل مبادلة البضائع فقط ، هي طبقـــة **التجار** .

www.kassioun.org

حتى ذاك ، كانت اسباب نشوء الطبقـات ترتبط بوجـه الحصر بالانتاج ؛ وقد ادت الى تقسيم الناس المشتركين في الانتاج الى قادة ومنفذين ، او ايضـاً الى منتجين على نطـاق كبير وصغير . وهنـا تبرز للمرة الاولى طبقـة لا تشترك باي قسط في الانتـاج ولكنها تاخذ في يدها كلياً امر قيادته وتخضع لنفسها اقتصادياً المنتجين ، وتصبح وسيطاً لا غنى عنه بين كل اثنين من المنتجين وتستثمر الاثنين معاً . وبذريعة تجنيب المنتجين ما يلازم التبادل من جهد ومجازفة ، وبذريعة توسيع تصريف منتوجاتهم في ابعد الاسواق ، وانشاء طبقة بالتالي يزعم انها انفع طبقات السكان ، تتكون طبقة من الطفيليين ، طبقة من الكسالى الاجتماعيين الحقيقيين تاخذ القشطة من الانتـاج الوطني والاجنبي على السواء ، مكافـاة على خدماتهـا التافهة جداً في الواقع ، وتجني بسرعـة الثروات الطائلة وما يرافقها من نفوذ في المجتمع ؛ ولهذا على وجه الضبط تحتل في عصر الحضارة مركزاً مشرفـاً يتعاظـم شانه باستمرار وتخضع لنفسها اكثر فاكثر الانتاج ، الى ان تصنـع بنفسهـا في آخر المطاف منتوجاً خاصاً بها ، ونعني به الازمات التجارية الدورية.

صحيح ان طبقة التجار الناشئة في درجة التطور التي نتناولها بالبحث لا تخطر في بالها بعد اي فكرة عن القضايا الكبيرة التي ستقوم بهـا . ولكنهـا تتكون وتغدو ضروريـة ، وهذا يكفي . ومعهـا تظهر **النقود المعدنية** ، النقود المسكوكـة ، ومع النقود المعدنيـة وسيلة جديدة لسيطـرة غير المنتجين على المنتجين وانتاجهـم . لقد اكتشفت بضاعة البضائع ، البضاعة التي تنطوي سراً وخفية على جميـع البضائع الاخرى ، الطلسم الذي يستطيع حسب الطلب ان يتحول الى اي شيء كان ، مرغوب فيـه وتمكن الرغبة فيه . ومن يملكه ، سـاد على عالم الانتاج . ومن ذا الذي كان يملكه اكثر من اي آخر ؟ التاجـر . وفي يده ، كانت عبـادة

www.kassioun.org

النقود في حرز حريز . وقد أخذ على عاتقه ان يبين امام الملأ انه ينبغي على جميع البضائع وكذلك على جميع منتجيها ان تخر ساجدة في التراب امام النقود . وقدم البرهان في الواقع على ان جميع الاشكال الاخرى للثروة ليست غير ظلال تجاه هذا التجسيد للثروة بوصفها ثروة . ان سلطان النقود لم يتجل يوماً فيما بعد بمثل هذا الشكل البدائي من الخشونة والفظاظة والقساوة الذي تجلى به في عهد شبابها . وبعد شراء البضائع مقابل النقود ، ظهر قرض النقود وظهرت معه الفائدة المئوية والربا . وما من تشريع من العهود اللاحقة قذف بالمدين امام اقدام الدائن المرابي بمثل القساوة والفظاعة اللتين نص عليهما التشريع في اثينا القديمة وروما القديمة ؛ والحال ، نشأ هذا التشريع في اثينا وفي روما بصورة عفوية ، من باب العرف والعادة ، وبحكم الضرورة الاقتصادية بوجه الحصر .

والى جانب الثروة من البضائع والعبيد ، والى جانب الثروة النقدية ، ظهرت كذلك الثروة العقارية . فان حق الافراد في امتلاك قطع الارض التي وضعتها العشيرة او القبيلة في البدء تحت تصرفهم قد ترسخ الآن الى حد ان هذه القطع اخذت تخصهم كملك وراثي . ذلك انهم في الآونة الاخيرة بذلوا قصارى جهدهم لاجل تحرير قطع الارض من الحقوق التي كانت للمشاعة العشيرية عليها والتي أمست عوائق بالنسبة لهم . وقد تحرروا من هذه العوائق ولكنهم سرعان ما تحرروا ايضاً من ملكيتهم العقارية الجديدة . فان الملكية الكاملة والحرة للارض لا تعني امكانية امتلاكها بلا عائق وبلا قيد وحسب ، بل تعني ايضاً امكانية التنازل عنها . وعندما كانت الارض ملك العشيرة ، فان هذه الامكانية لم تكن متوفرة . ولكن عندما خلع مالك الارض الجديد نهائياً عوائق الملكية العليا للعشيرة والقبيلة ، فانه فصم ايضاً العرى التي كانت

www.kassioun.org

تربطه بالارض ربطاً محكماً . اما ما كان يعنيه ذلك ، فقد اوضحته له النقود التي تم اختراعها في آن واحد مع الملكية الخاصة للارض . فمن الآن وصاعداً ، صار من الممكن ان تغدو الارض بضاعة تباع وترهن . ومـــا كادت تقوم ملكية الارض حتى تـــم اختراع الرهن العقاري ايضاً (انظروا الى اثينا) . وكما ان الهيتيرية والبغـــاء يقتفيان اثر احادية الزواج ، كذلك يقتفي الرهن العقاري من الآن وصاعداً اثر الملكية العقارية بدأب ومثابرة . لقد اردتـــم ملكية الارض حرة كاملة ، يمكن التنازل عنهـــا ، فخذوهـــا اذن ، انها امامكم ولكم : tu l'as voulu, George Dandin ! * .

وهكذا اذن ، مع توسع التجارة ، ومع النقود والربا ، ومع الملكية العقارية والرهن العقاري ، حدث بسرعة انحصار وتمركز الثروات في ايدي طبقة قليلة العدد ، كمـــا اشتد في الوقت نفسه املاق الجماهير وتزايد عدد الفقراء . ولقد ازاحت الاريستقراطية الجديدة ، اريستقراطية الثروة ، الى المؤخرة نهائياً الاريستقراطية العشيرية القديمة (في اثينا ، وفي رومـــا ، وعند الجرمان) ، هذا اذا كانت لم توافقهـــا منذ البدء . والى جانب تقسيم الاحرار هذا الى طبقات وفقاً للثروة ، ازداد عدد العبيد زيادة هائلة ** ، ولا سيمـــا في اليونان ، اذ كان عملهـــم القسري يشكل الاساس الذي انتصب عليه البناء الفوقي للمجتمع باسره .

لنر الآن ما حدث للنظام العشائري في سيـــاق هذا الانقلاب

---

* ـ انت اردت هذا ، يـــا جورج داندن ! (**موليير** . «جورج داندن» ، الفصل الاول ، المشهد التاسع) . الناشر .

** عدد العبيد في اثينا راجـــع اعلاه ص ١١٧ (في هذا المجلد ، راجعوا ص **١٥٥** . **الناشر**) . وقد بلغ عدد العبيد في مدينة كورنثية ، في زمن ازدهارها ، نحو ٤٦٠٠٠٠ ، وفي مدينة ايجين نحو ٤٧٠٠٠٠ ؛ وفي كلا الحالين كان يوازي عشرة امثال عدد المواطنين الاحرار .

www.kassioun.org

الاجتماعي . فقد كان عاجزاً تجـــاه العناصر الجديدة التي نشأت وتطورت بدون مشاركتـــه . فقد كان الشرط الاولي لوجوده ، ان يعيش اعضاء عشيرة واحدة او حتى قبيلة واحدة معـــاً في ارض واحدة ، ان يسكنوها وحدهم بوجه الحصر . وقد زال هذا الوضع من زمان بعيد . ففي كل مكان تخالطت العشائـــر والقبائل ؛ وفي كل مكان كان العبيد والموالي والاجانب يعيشون بين الاحـــرار . ان ثبات الاقامة ، الذي لم يتحقق الا في اواخر الطور الاوسط من البربرية ، كانت تنتهكه احياناً كثيرة التغيرات التي تطرأ في تركيب السكان وفي محلات السكن بسبب النشاط التجاري ، وتغيير وجوه العمل ، والتنازل عن ملكيـــة الارض . ولم يعد بمقدور اعضـــاء العشيرة ان يجتمعوا لبحث شؤونهم المشتركة بالذات ؛ الا بعض الشؤون التافهـــة ، مثل الطقوس الدينية ، ظلت تُدبَّر بصورة مشتركة ، كيفما اتفق . والى جانب الحاجات والمصالح التي كانت الوحدات العشيرية مدعوة الى تامينها ومكيفة لهذا الغرض ، ادى الانقلاب في شروط الانتاج والتغييرات التي استتبعهـا في التركيب الاجتماعي الى نشوء حاجات ومصالح جديدة ليست غريبـــة عن النظام العشائري القديم وحسب ، بل ايضاً مضادة له في جميـــع الميادين . ان مصالح الجماعات الحرفية التي نشأت بفضل تقسيم العمل ، والحاجات الخاصة بالمدينة على نقيض القريـــة ، كانت تقتضي هيئات جديدة ؛ ولكن كلا من هذه الجماعات كانت تتألف من اعضاء من مختلف العشائر والفراتريات والقبائل ، بل انهـــا كانت تضم اجانب ايضاً . ولهذا كان لا بدّ لهذه الهيئات ان تنبثق خارج النظام العشائري ، الى جانبـــه ، وكذلك ضده .— وفي كل وحدة عشيريـــة ، كان هذا الاصطدام بين المصالح يبرز بدوره ؛ وقد بلغ ذروة حدته حيث كان ينبغي ان يكون الاغنياء والفقراء ، الدائنون والمدينون متحدين في العشيرة نفسها وفي القبيلة نفسها .—

www.kassioun.org

اسف الى ذلك جمهرة السكان الجدد ، الغرباء عن الوحدات العشيرية ؛ وقد كان بوسع هذه الجمهرة ان تصبح قـوة في البلد كمـا كان الحال في روما ، ناهيك بانهـا كانت كثيرة العدد بحيث انـه لم يكن بمقدورها ان تندمج شيئاً فشيئاً في العشائر والقبائل القائمة على اساس قرابة الدم . وتجاه هذه الجمهرة ، انتصبت الوحدات العشيرية كهيئات مغلقة ذات امتيازات . فـان الديموقراطيـة البدائية والعفوية كانت قد تحولت الى اريستقراطية مكروهة . ـ واخيراً كان النظام العشائري قد انبثق من مجتمـع لا يعرف اي متضادات داخلية ، وكان مكيفـاً لهذا المجتمع وحده . ولم يكن لديه اي وسيلة للقسر غير الراي العام . اما هنا ، فقد انبثق مجتمع كان لا بدّ له ، بحكم جميع ظروف حياته الاقتصادية ، ان ينقسم الى احرار وعبيد ، الى مستثمِرين اغنياء ومستثمَرين فقراء ، ـ مجتمع لم يكن بوسعـه ان يوفق من جديد بين هذه المتضادات ، وليس هذا وحسب ، بل كان لا بدّ له ايضاً ان يؤزمها اكثر فاكثر. وهذا المجتمع لم يكن من الممكن ان يعيش الا في غمرة صراع سافر لا انقطاع فيه بين هذه الطبقات ، او تحت سيطرة قوة ثالثة تقف في الظاهر فوق الطبقات المتصارعة وتقمع اصطداماتها السافرة وتجيز الصراع الطبقي ، اذا اجازتـه ، في الميدان الاقتصادي وحده ، وبصورة يقال بانها شرعية . لقد عاش النظام العشيّري دهره . فقد حطمه تقسيم العمل ونتيجته ، انقسام المجتمع الى طبقات . ومحله حلت **الدولة** .

* * *

لقد درسنا اعلاه بالتفصيل الاشكال الرئيسية الثلاثة التي تنتصب بها الدولة على انقاض النظام العشيري . ان اثينا هي الشكل الانقى ، الكلاسيكي الصرف : فـالدولـة هنـا تنبثق مبـاشرة وعلى

www.kassioun.org

الاغلب من المتضادات الطبقية المتطورة داخل المجتمع العشيري نفسه . وفي روما يتحول المجتمع العشيري الى اريستقراطية مغلقة تحيط بها طبقة plébs العوام الكثيرة العدد ، القائمة خارج هذا المجتمع ، المحرومة من الحقوق ، ولكن المحمّلة بالواجبات ؛ وانتصار طبقة العوام يقوض النظام العشيري القديم ، وعلى انقاضه يشيد الدولة التي سرعان ما تذوب فيها تماماً الاريستقراطية العشيرية وطبقة العوام على السواء . واخيراً تنبثق الدولة عند الجرمان الذين انتصروا على الامبراطورية الرومانية ، كنتيجة مباشرة لفتح مناطق شاسعة من اراضي الغير ، لا يوفر النظام العشيري اي وسيلة للسيطرة عليها . ولكن بما ان هذا الفتح لا يرتبط باي نضال جدي ضد السكان السابقين ولا بتقسيم للعمل اكثر رقياً ، وبما ان مستوى التطور الاقتصادي واحد تقريباً عند الشعوب المغلوبة والغالبة ، وبما ان الاساس الاقتصادي للمجتمع يبقى بالتالي هو هو ، فأن النظام العشيري السابق يستطيع ان يبقى ويستمر خلال قرون بكاملها ، بشكل معدل ، اقليمي ، في نظام المارك ؛ وحتى ان ينبعث لفترة من الزمن ، بشكل اضعف ، في العشائر النبيلة والعائلات الباتريسية (الاريستقراطية) اللاحقة ، وحتى في العشائر الفلاحية ، كما كان الحال مثلا في ديتمارشن * .

وهكذا ، ليست الدولة بحال قوة مفروضة على المجتمع من خارجه . والدولة ليست كذلك «واقع الفكرة الاخلاقية» ، «صورة وواقع العقل» ، كما يدعي هيغل (١٦٢) . الدولة هي نتاج المجتمع عند درجة معينة من تطوره ؛ الدولة هي افصاح عن واقع ان هذا المجتمع قد وقع في تناقض مع ذاته لا يمكنه حله ، عن

---

* كان نيبور اول مؤرخ كانت عنده فكرة ، وان تقريبية ، عن جوهر العشيرة . وهو مدين بذلك لمعرفته عشائر ديتمارشن (١٦١) كما هو مدين لها باخطائه الماخوذة مباشرة منها .

www.kassioun.org

واقع ان هذا المجتمع قد انقسم الى متضادات مستعصية هو عاجز عن الخلاص منها . ولكي لا تقوم هذه المتضادات ، هذه الطبقات ذات المصالح الاقتصادية المتنافرة ، بالتهام بعضها بعضاً والمجتمع في نضـــال عقيم ، لهذا اقتضى الامر قوة تقف في الظاهر فوق المجتمع ، قوة تلطف الاصطدام وتبقيه ضمن حدود «النظام» . ان هذه القوة المنبثقة من المجتمع والتي تضع نفسها ، مع ذلك ، فوقه وتنفصل عنه اكثر فاكثر هي الدولة .

وبالمقارنة مع التنظيم العشائري القديم ، تتميز الدولة اولا بتقسيم رعايا الدولـة بموجب **تقسيم الاراضي** . فـان الوحـدات العشائرية القديمة ، التي انبثقت واستمرت بفضل روابط الدم ، لم تعد تكفي ، كما سبق ورأينـا ، وذلك بدرجة كبيرة لان شرط وجودها ، وهو ارتباط اعضاء العشيرة برقعة معينة من الارض ، قد زال من زمان بعيد . لقد بقيت رقعـة الارض ، ولكن النـاس صاروا يتنقلون . ولهـذا اتخـذ تقسيـم الاراضي اي التقسيـم **الاقليمي** ، نقطة انطلاق ، واتيح المجال امام المواطنين لممارسة حقوقهم وواجباتهم العامة حيث يقيمون بصرف النظر عن العشيرة والقبيلة . ان تنظيم المواطنين هذا حسب مكان الاقامة معمول به في جميع الدول . ولهذا يبدو لنا طبيعياً . ولكننا رأينا اي نضال عنيد ومديد تطلب قبل ان يتمكن من الحلول في اثينا وروما محل التنظيم القديم حسب العشائر .

والسمة المميزة الثانية هي تاسيس **السلطة العامة** التي لم تعد تنسجـم مبـاشرة مـع السكان المنظمين انفسهم بـانفسهـم في قوة مسلحة . وهذه السلطة العامة المميزة ضرورية لان منظمة السـكان المسلحة العاملة من نفسها قد غدت امراً مستحيـلا منذ انقسـام المجتمع الى طبقات . ان العبيد يشكلون هم ايضاً جزءاً من السكان . وتجـاه ٣٦٥٠٠٠ عبـد ، لا يؤلف مواطنو اثينـا الـ٩٠٠٠ غير

www.kassioun.org

طبقة ذات امتيازات . والجيش الشعبي في الديموقراطية الاثينية كان سلطة عامة اريستقراطية موجهة ضد العبيد ، وكان يعمل على ضمان طاعتهم وخضوعهم . ولكنه تبين ، كما سبق وقلنا اعلاه ، انه لا بدّ من درك لاجل ضمان طاعة وخضوع المواطنين ايضا . وتوجد هذه السلطة العامة في كل دولة . وهي لا تتالف فقط من رجال مسلحين ، بل كذلك من ملاحق مادية ، من السجون ومختلف مؤسسات القسر التي كانت مجهولة في المجتمع المنظم على اساس العشائر . وقد تكون هذه السلطة العامة تافهة جداً ، وغير ملحوظة تقريباً في المجتمعات التي لم تتطور فيها بعد المتضادات الطبقية وفي المناطق النائية ، كما يلاحظ ذلك احياناً هنا وهناك في الولايات المتحدة الاميركية . وتتقوى السلطة العامة بمقدار ما تتفاقم التناقضات الطبقية في داخل الدولة وبمقدار ما تزداد الدول المتلاصقة مساحة وسكاناً . انظروا على الاقل الى اوروبا الراهنة حيث رفع النضال الطبقي والتنافس على الفتوحات السلطة العامة الى مستوى غدت معه تهدد بابتلاع المجتمع برمته بما فيه الدولة نفسها .

ولاجل تمويل هذه السلطة العامة ، لا بد من مساهمة المواطنين ، اي لا بدّ من **الضرائب** . لقد كان المجتمع العشائري يجهل كلياً الضرائب . ولكننا نعرفها الآن جيداً جداً . بل انها لم تعد تكفي ، نظراً لتطور الحضارة . فان الدولة تصدر السندات على المستقبل ، وتعقد القروض ، اي **ديون الدولة** . وفي هذا المجال ، تعرف اوروبا العجوز الكثير .

ان الموظفين ، اذ يتمتعون بالسلطة العامة وبحق جباية الضرائب باعتبارهم هيئات المجتمع ، يصبحون **فوق** المجتمع . فالاحترام الطوعي الاختياري الذي كان يمحض لهيئات مجتمع العشائر لم يعد يكفيهم حتى فيما لو كان باستطاعتهم اكتسابه .

www.kassioun.org

فهم اذ يملكون سلطة تغدو غريبة عن المجتمع ، انما يتعين عليهم ان يسعوا الى نيل الاحترام لانفسهم بقوانين استثنائية يتمتعون بفضلها بقداسة خاصة وحصانة خاصة . فلأحقر شرطي في الدولة المتمدنة «سلطان» يفوق سلطان جميع هيئات المجتمع العشائري معاً ؛ ولكن بوسع اقوى ملك واكبر رجل دولة او قائد عسكري من عصر الحضارة ان يغبطوا ابسط شيخ عشيرة على ما يلقاه من احترام اكيد لم يفرض بالعصا . فان شيخ العشيرة هو في قلب المجتمع بينا الاولون مضطرون الى بذل الجهود لكي يمثلوا شيئاً خارجه وفوقه .

وبما ان الدولة قد نشأت من الحاجة الى لجم تضاد الطبقات ، وبما انها قد نشأت في الوقت نفسه ضمن الاصطدامات بين هذه الطبقات ، فهي كقاعدة عامة دولة الطبقة الاقوى السائدة اقتصادياً والتي تصبح عن طريق الدولة الطبقة السائدة سياسياً ايضاً وتكتسب على هذه الصورة وسائل جديدة لقمع الطبقة المظلومة واستثمارها . فان الدولة القديمة كانت ، قبل كل شيء ، دولة مالكي العبيد لقمع العبيد ، الدولة الاقطاعية هيئة النبلاء لقمع الفلاحين التابعين والاقنان ؛ كذلك الدولة التمثيلية الحديثة هي اداة لاستثمار العمل المأجور من قبل رأس المال . ومع ذلك فثمة ، كحالات استثنائية ، مراحل تبلغ فيها الطبقات المتناضلة درجة من توازن القوى تنال معها سلطة الدولة لفترة معينة نوعاً من الاستقلال حيال الطبقتين ، مظهر وسيط بينهما . هكذا كان الحكم الملكي المطلق في القرنين السابع عشر والثامن عشر ، اذ كان يحافظ على التوازن بين النبلاء والبرجوازية في النضال القائم بينهما ؛ وهكذا كانت البونابرتية في الامبراطورية الاولى ولا سيما في الامبراطورية الثانية في فرنسا ، اذ كانت تحرض البروليتاريا على البرجوازية والبرجوازية على البروليتاريا . واحدث انجاز في هذا

www.kassioun.org

المضمار يبدو معه الحاكمون والمحكومون بشكل مضحك بالقدر نفسه ، انما هو الامبراطورية الالمانيـــة الجديدة ذات الامـــة البسماركية : فهنا يحافظ على التوازن بين الرأسماليين والعمال ، المتضادين فيما بينهم ، وجميعهم يتعرضون بالقدر نفسه للغش والخداع لما فيه مصلحة اليونكر (الاقطاعيين) البروسيين النائين المفتقرين .

وعلاوة على ذلك ، تقاس الحقوق الممنوحة للمواطنين في اغلبية الدول المعروفة في التاريخ بما يملكونه ، وهذا ما يبين صراحة ان الدولة انما هي منظمة الطبقة المالكة لاجل حمايتها من الطبقة غير المالكة . هكذا كان الحال في اثينا وروما حيث كان السكان مقسمين فئات فئات تبعاً لما يملكونه . وهكذا كان الحال في الدولة الاقطاعية في القرون الوسطى حيث كانت درجة النفوذ السياسي تقاس بمقاييس ملكية الارض . وهذا ما يجد كذلـــك تعبيراً عنه في النصاب الانتخابي في الدول التمثيلية الحديثة . ولكن هذا الاعتراف السياسي بفوارق الملكية ليس جوهرياً على الاطلاق . بل بالعكس . فهو يميز الدرجة الدنيا من تطور الدولة . ان الشكل الاعلى للدولة ، الجمهورية الديموقراطية ، التي تصبح في ظروفنا الاجتماعية الراهنة ضرورة محتمة اكثر فاكثر والتي تمثل شكلا للدولة لا يمكن الا في ظلـــه السيـــر بالنضال الحاسم الاخير بين البروليتاريا والبرجوازيـــة الى النهايـــة ، ـ ان هذه الجمهورية الديموقراطية لا تعرف رسميـــاً اي شيء عن الفوارق من حيث الثروة . ففيها تمارس الثروة سلطتها بصورة غيـــر مباشرة ولكن بالشكل الاضمن : من جهة ، عن طريق الرشوة المباشرة للموظفين ، (واميركا مثال كلاسيكي في هذا المجال) ، ومن جهة اخرى عن طريق التحالف بين الحكومة والبورصة الذي يتحقق بسهولة تزداد بقدر ما تتعاظم ديون الدولة وبقـــدر ما تركـــز الشركات المساهمة في ايديها ، لا النقليات وحسب ، بل ايضاً الانتاج نفسه ، وتجعل من

www.kassioun.org

البورصة ذاتها مركزاً لها . وعدا اميركا ، تقدم الجمهورية الفرنسية الجديدة مثالا ساطعاً على ذلك ؛ بل ان سويسرا المتأدبة اسهمت بقسطها في هذا المجال . اما ان الجمهورية الديموقراطية ليست ضرورية ابداً لمثل هذا الاتحاد الاخوي بين الحكومة والبورصة ، فهذا ما تثبته ، فضلا عن انجلترا ، الامبراطورية الالمانية الجديدة حيث لا يمكن القـــول ايا من بيسمارك وبليخرودر رفعـــه حق الانتخاب العام اعلى من الآخر . واخيراً ، تسيطر الطبقة المالكة مباشرة بواسطة حق الانتخاب العام . وما دامت الطبقة المظلومة ، ــ وهي هنا بالتالي البروليتاريا ، ــ لم تنضج لاجل تحرير نفسهـــا بنفسها ، فانها ستعترف باغلبيتها بالنظام الاجتماعي القائم ، النظام الممكن الوحيد وتسير سياسيا في ذيل طبقة الرأسماليين وتشكل جناحها اليساري المتطرف . ولكنها بقدر ما تنضج لاجل تحرير نفسها بنفسها ، تنتظم في حزب خاص بها وتنتخب ممثلين عنها بالذات ، لا ممثلي الرأسماليين . ان حق الانتخاب العام هو دليل نضج الطبقة العاملة . ولا يمكنه قط ان يكون ولن يكون اكثر من ذلك في الدولة الراهنة . ولكن هذا يكفي . ويوم يشير ميزان حرارة حق الانتخاب العام الى درجة الغليان عند العمال ، فانهم ، مثلهم مثل الرأسماليين ، سيعرفون ما يفعلونه .

وهكذا فالدولة لم توجد منذ الازل . فقد وجدت مجتمعات كانت في غنى عن الدولة ولم يكن لديها اية فكرة عن الدولة وسلطة الدولة . وعندما بلغ التطور الاقتصادي درجة معينـــة اقترنت بالضرورة بانقسام المجتمع الى طبقات ، غدت الدولة بحكم هذا الانقسام امراً ضرورياً . ونحن نقترب الآن بخطوات سريعة مـــن درجة في تطور الانتاج لا يكف عندها وجود هذه الطبقات عن ان يكون ضرورة وحسب ، بل ويصبح عائقاً مباشراً للانتاج . وستزول الطبقات بالضرورة كما نشأت في الماضي بالضرورة . ومع زوال

www.kassioun.org

الطبقات ستزول الدولة بالضرورة : والمجتمع الذي ينظم الانتاج تنظيماً جديداً على اساس اتحاد المنتجين بحرية وعلى قدم المساواة ، سيرسل آلة الدولة باكملها حيث ينبغي ان تكون حينذاك : الى متحف العاديات بجانب المغزل البدائي والفاس البرونزية .

* * *

ان الحضارة ، حسبما عرضناه آنفاً ، هي اذن تلك الدرجة من تطور المجتمع التي يبلغ فيها تقسيم العمل ، والتبادل الناجم عنه بين الافراد ، والانتاج البضاعي الذي يجمع هاتين الظاهرتين ، الازدهار التام ، وتؤدي فيها هذه العوامل الثلاثة الى انقلاب في عموم المجتمع السابق .

في جميع درجات تطور المجتمع السابقة ، كان الانتاج ، من حيث الجوهر ، جماعياً ، كما ان الاستهلاك كان يقتصر على توزيع المنتوجات مباشرة داخل الجماعات الشيوعية ، المتفاوتة الحجم . وكانت جماعية الانتاج هذه تقوم ضمن اضيق الاطارات ، ولكنها استتبعت سيادة المنتجين على عملية الانتاج وعلى حاصل الانتاج . وهم يعرفون ما يحدث للمنتوج: انهم يستهلكونه ، وهو لا يخرج من ايديهم ؛ وما دام الانتاج يجري على هذا الاساس ، فلا يسعه ان يتخطى رقابة المنتجين ، لا يسعه ان يولّد قوى سرية ، غريبة عنهم ، كما هو الحال دائماً وبلا مرد في عصر الحضارة .

ولكن تقسيم العمل يتغلغل ببطء في عملية الانتاج هذه ، وينسف جماعية الانتاج والامتلاك ، ويجعل من امتلاك الافراد قاعدة مهيمنة ، ويولّد بالتالي التبادل بين الافراد ؛ــ ولقد درسنا اعلاه كيف يحدث هذا . ان الانتاج البضاعي يغدو تدريجياً الشكل السائد .

وفي ظل الانتاج البضاعي ، اي الانتاج من اجل التبادل لا من اجل الاستهلاك الشخصي كما من قبل ، تنتقل المنتوجات

www.kassioun.org

بالضرورة من يد الى يد . وعند التبـــادل ، يتنـــازل المنتج عن منتوجه . وهو لا يعرف ماذا سيحل بمنتوجه . وما ان تظهر النقود وتقوم بدور الوسيط بين المنتجين ، وما ان يظهر التاجر مع ظهور النقود ، حتى تغدو عملية التبادل اكثر تشوشاً ، ويمسي مصير المنتوجات النهائي اشد غموضاً . فالتجار كثيرون ، وما من احد منهم يعرف ما يفعله الآخرون . ومن الآن وصاعداً تنتقل البضائع ، لا من يد الى يد وحسب ، بل ايضاً من سوق الى سوق . لقد فقد المنتجون سلطانهم على كل انتاج ظروف حياتهم بالذات ، ولكن هذا السلطان لم ينتقل الى التجار . ان المنتوجات والانتـــاج تخضع لسلطـــان الصدفة .

ولكن الصدفة ليست غير احد قطبي كل واحد يسمى قطبه الثاني الضرورة . وفي الطبيعة حيث يبدو ايضاً كان الصدفة هي السائدة ، أثبتنا من زمان بعيد ، في كل ميدان بمفرده ، وجود ضرورة داخلية وقانون ملازم يشقان لنفسيهما طريقاً في اطار هذه الصدفة . ولكن ما يسري مفعوله بالنسبة للطبيعة ، يسري كذلك مفعوله بالنسبة للمجتمع . وبقدر ما يفلت نشاط اجتماعي ما ، عدد كامل من الوقائع الاجتماعية من مراقبـة الناس الواعيـة ويخـرج من تحت سلطانهم ، وبقدر ما يبدو هذا النشاط متروكاً للصدفة الصرف ، بقدر ما تشق القوانين الداخلية الملازمة له لنفسها طريقاً في اطار هذه الصدفة بحكم الضرورة الطبيعية . وامثال هذه القوانين تسيطر ايضاً على المصادفات في انتاج البضائع وتبادل البضائـــع : فهي تنتصب في وجه المنتج الفرد والمشترك الفرد في التبادل اشبه بقوى غريبة غير مفهومة في البدء ، ولا يزال ينبغي تمحيص ومعرفـــة طبيعتها . ان قوانين الانتاج البضاعي الاقتصادية هـــذه تتغير في مختلف درجات تطور هذا الشكل من اشكال الانتاج ، ولكن مرحلة الحضارة تجري كلها بالاجمال تحت سيطرتها . وفي ايامنا ايضا ،

www.kassioun.org

يسيطر المنتوج على المنتج ؛ وفي ايامنا ايضاً ، يُضبط الانتاج الاجتماعي كله ، لا حسب خطة موضوعة بصورة مشتركة ، بل بفعل قوانين عمياء تفرض نفسها كقوة عفوية ، في آخر المطاف ، وذلك في عواصف الازمات التجارية الدورية .

لقد رأينا ان قوة عمل الانسان في درجة باكرة نسبياً من تطور الانتاج تغدو قادرة على اعطاء كمية من المنتوجات تزيد بصورة ملحوظة عما هو ضروري لعيش المنتج ، وان هذه الدرجة من التطور انما هي اساساً نفس الدرجة التي يظهر فيها تقسيم العمل والتبادل بين الافراد . وقد تطلب الامر الآن القليل من الوقت لاكتشاف هذه «الحقيقة» الكبرى القائلة ان الانسان ايضاً يمكن ان يكون بضاعة ، وانه يمكن مبادلة واستهلاك قوة الانسان ، اذا تم تحويل الانسان الى عبد . وما كاد الناس يشرعون في ممارسة التبادل حتى غدوا هم بالذات سلعة للتبادل . لقد تحول المعلوم الى مجهول ، سواء شاء الناس ام ابوا .

ومع ظهور العبودية التي بلغت في عصر الحضارة اعلى درجات تطورها ، حدث اول انقسام كبير في المجتمع الى طبقة مستثمِرة وطبقة مستثمَرة . وقد دام هذا الانقسام خلال كل مرحلة الحضارة . ان العبودية هي الشكل الاول للاستثمار ، الشكل الملازم للعالم القديم ؛ واثرها جاءت : القنانة في القرون الوسطى ، والعمل المأجور في الازمنة الحديثة هذه هي اشكال الاستعباد الكبرى الثلاثة التي تتميز بها عهود الحضارة الكبرى الثلاثة ؛ ان العبودية السافرة في البدء ، والمموهة منذ أمد قصير ، ترافق دائما الحضارة .

ان درجة الانتاج البضاعي التي تبدأ منها الحضارة تتصف اقتصادياً بظهور : ١ ـ النقود المعدنية ، ومعها الرأسمال النقدي والفائدة المئوية والربا ؛ ٢ ـ والتجار كطبقة وسيطة بين المنتجين ؛ ٣ ـ والملكية الخاصة للارض والرهن العقاري ؛ ٤ ـ وعمل العبيد

www.kassioun.org

بوصفه الشكل السائد بين اشكال الانتاج . ان شكل العائلة الجديد الذي يناسب الحضارة والذي يؤكد سيادته معها نهائياً هو الزواج الاحادي ، سيادة الرجل على المرأة ، والعائلة الفردية بوصفها وحدة اقتصادية في المجتمع . ان قوة الوصل في المجتمع المتحضر انما هي الدولة التي هي في جميع المراحل النموذجية دولة الطبقة السائدة وحدها دون غيرها ، والتي تبقى في جميع الاحوال ، من حيث جوهر الامر ، آلة لقمع الطبقة المستثمَرة ، المظلومة . كذلك تتميز الحضارة بما يلي : من جهة ، توطيد التضاد بين المدينة والقرية ، بوصفه اساس كل التقسيم الاجتماعي للعمل ؛ ومن جهة اخرى ، ادخال الوصية التي يستطيع بها المالك ان يتصرف بملكيته حتى بعد موته . ان هذه المؤسسة التي تناقض النظام العشائري القديم كانت مجهولة في اثينا قبل سولون . اما في روما ، فقد اصبحت سارية المفعول في طور ابكر ، ولكننا لا نعرف بالضبط متى* . وعند الجرمان ، طبقها الكهنة لكي يستطيع الالمانيّ الصالح ان يوصي بلا عائق بتركته للكنيسة .

---

* «نظام الحقوق المكتسبة» الذي وضعه لاسال (١٦٣) يدور في قسمه الثاني بصورة رئيسية حول الموضوعة القائلة ان الوصية الرومانية قديمة بقدم روما نفسها وانه لا يوجد ابداً في تاريخ روما «زمن بلا وصية» وان الوصية ظهرت من عبادة الموتى ، حتى قبل ظهور روما . ان لاسال بوصفه هيغلياً قديماً قويماً ، لا يستخلص الاحكام القانونية الرومانية من علاقات الرومانيين الاجتماعية ، بل من «مفهوم تاملي» عن الارادة ، وهذا ما يؤدي به الى الزعم المذكور اعلاه الذي يناقض التاريخ كلياً . ولا غرابة ان نجد هذا في كتاب يخلص مؤلفه ، استناداً الى المفهوم التاملي ذاته ، الى استنتاج مفاده ان نقل الاموال في حال الوراثة كان عند الرومانيين امراً ثانوياً تماماً . ان لاسال لا يصدق اوهام الحقوقيين الرومان وحسب ، ولا سيما منهم من جاؤوا في المراحل الاولى من روما ، بل يبالغ ايضاً في هذه الاوهام ..

www.kassioun.org

ان الحضارة القائمة على هذه الدعائـــم قد حققت امورا كان المجتمع العشيري القديم عاجزاً كلياً عن القيام بها . ولكنها حققتها بتحريك احط غرائز الناس وشهواتهم ، وبانمائها بما فيه ضرر مؤهلاتهم الاخرى . فان الجشع السافل كان القوة المحركة للحضارة منذ اول يومها حتى الآن ؛ الثروة ، والثروة ايضا ، والثروة دائما ، ولكن لا ثروة المجتمع ، بل ثروة هذا الفرد الحقير المنفرد ، وهدفه الوحيد ، الحاسم . واذا كان العلم قد تطور اكثر فاكثر في احشاء هذا المجتمع وتكررت المراحل التي بلغ فيها الفن ذروة الازدهار ، فذلك لسبب واحد فقط، هو انه لولاهما لاستحالت جميع منجزات زمننا في ميدان تراكم الثروة .

وبما ان استثمار طبقة لطبقة اخرى هو اساس الحضارة ، فان كل تطورها يجري في غمار تناقض دائم . فان كل خطوة الى الامام في مضمار الانتاج تعني في الوقت نفسه خطوة الى الوراء فيما يتعلق باوضاع الطبقة المظلومة ، اي الاغلبية الهائلة . وكل خير لبعضهم هو بالضرورة شر لبعضهم الآخر ، وكل تحرر جديد لطبقة يعني اضطهاداً جديداً لطبقة اخرى . واسطع مثال على هذا انما هو استعمال الآلات الذي يعرف الجميع الآن عواقبـه . ولئن كان من المتعذر او يكاد عند البرابرة التمييز بين الحقوق والواجبات ، كما سبق ورأينا ، فان الحضارة تبين بوضوح ، حتى للغبي المطلق ، الفرق والتضاد بين الحقوق والواجبات ، وذلك بمنحها طبقة جميع الحقوق تقريباً وبالقائها جميع الواجبات تقريباً على الطبقة الاخرى.

ولكنـــه لا ينبغي ان يكون ذلك . فمـــا هو صالح للطبقة السائدة ، انمـــا ينبغي ان يكون صالحا ايضاً للمجتمع كله الذي تعتبر الطبقة السائدة انه صورتها ومثالهـــا . ولهذا ، بقدر ما تسير الحضارة الى امـام ، بقدر ما تضطر الى ان تغطي باردية الحب الظاهرات السلبية التي تولدها بصورة محتمة لا مناص منها ،

www.kassioun.org

وان تطليها بالمساحيق او ان تنكرها بصفاقة ،ــ وبكلمة ، ان تضع موضع التطبيق نفاقا عاما لم تعرفه لا اشكال المجتمع السابقة ، ولا حتى الطوران الاولان من الحضارة ، نفاقا يبلغ في آخر المطاف ذروته في الزعم القائل ان الطبقـــة المستثمِرة لا تستثمر الطبقة المظلومة الا في مصلحة الطبقة المستثمَرة وحدها ؛ واذا كانت هذه الاخيرة لا تفهم ذلك ، واذا ذهبت الى حد التمرد ، فان سلوكها هذا اسوأ من جزاء سِنِّمار تجاه المحسنين اليها اي تجاه مستثمِريها* .

وختاماً ، اليكم رأي مورغان في الحضارة :

«منذ ظهور الحضارة ، غدا نمو الثروة على درجة من الضخامـــة ، واشكالها على درجة من التنوع ، واستعمالها على درجة من الاتساع ، وادارتها في مصلحة المالكين على درجة من المهارة ، بحيث ان هذه الثروة **اصبحت قوة لا تقهر** ، تجاه الشعب . **ان العقل البشري يقف حائرا قلقا امام صنيعته بالذات** . ولكنه سياتي مع ذلك زمن يبلـغ فيـــه العقـــل البشري من القوة والقدرة ما يمكنه من السيطرة على الثروة ، ويقرر فيه على السواء موقف الدولة من الملكية التي تحميها الدولة ، وحدود حقوق المالكين . لا ريب ان مصالح المجتمع تعلو على مصالح الافراد ، وينبغي اقامة علاقات عادلة ومتناسقة بين هذه وتلك . ان مجرد السعي وراء الثروة ليس هدف البشرية النهائي اذا ظل التقدم قانون المستقبل كما كان قانون الماضي . ان الزمن الذي تصرم منذ فجر الحضارة انما هو جزء تافه من الزمن الذي عاشتـــه

---

* كنت انوي في البدء ان اورد نقد الحضارة الباهر الذي عرضـــه شارل فوريه بصورة متفرقة في مؤلفاته الى جانب نقد مورغـــان ونقدي انا . ولكن ، مع الاسف ، لا وقت عندي لذلك . انما اكتفي بالاشارة الى ان احادية الزواج وملكية الارض هما ، بنظر فوريه ، علامتا الحضـــارة المميزتان ، وان فوريه ينعت الحضارة بحرب الاغنياء ضد الفقراء . كذلك نجد عنده فهما عميقا لكون العائلات الفردية les familles incohérentes (العائلات غير المترابطة) هي الوحدات الاقتصادية في جميع المجتمعـــات العائبة التي تمزقها التناقضات .

www.kassioun.org

البشرية ، جزء تافه من الزمن الذي ستعيشه . ان هلاك المجتمع ينتصب امامنا مهدداً بوصفه خاتمة مرحلة تاريخية تشكل الثروة هدفها النهائي الوحيد ؛ لان هذه المرحلة تنطوي على عناصر دمارها بالذات . ان الديموقراطية في الادارة ، والاخاء في المجتمع ، والمساواة في الحقوق ، والتعليم العام ، كل هذا سيقدس المرحلة التالية العليا من المجتمع التي يسعى اليها الاختبار والعقل والعلم على الدوام . **وستكون بمثابة انبعاث ـ ولكن بشكل ارقى ـ للحرية والمساواة والاخاء في العشائر القديمة»** (مورغان «المجتمع القديم» ، ص ٥٥٢) (١٦٤) .

كتب بين اواخر آذار (مارس) و٢٦ ايار (مايو) ١٨٨٤

صدر في كتاب على حدة في زوريخ ، عام ١٨٨٤

يصدر حسب نص الطبعة الالمانية الرابعة لعام ١٨٩١

التوقيع : **فريدريك انجلس**

www.kassioun.org

من الدار

كتب فريدريك انجلس كتاب «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» في غضون شهرين ، من اواخر آذار (مارس) الى اواخر ايار (مايو) ١٨٨٤ . اثناء فحص مخطوطات ماركس ، اكتشف انجلس موجزا مفصلا وضعه ماركس في ١٨٨٠ و١٨٨١ عن كتاب العالم الاميركي التقدمي مورغان «المجتمع القديم» ، ويتضمن كثرة من ملاحظاته الانتقادية وموضوعاته الشخصية ، وكذلك اضافات من مصادر اخرى . وبعد ما اطلع انجلس على هذا الموجز واقتنع بان كتاب مورغان يؤكد المفهوم المادي الذي صاغه هو وماركس عن التاريخ كما يؤكد نظراتهما في المجتمع البدائي ، رأى من الضروري ان يدبج بحثا خاصا يستغل فيه على نطاق واسع ملاحظات ماركس وكذلك الوقائع وبعض الاستنتاجات الواردة في كتاب مورغان . وقد اعتبر انجلس عمله هذا «تنفيذا لوصية» ماركس «الى حد ما» . واثناء اعداد الكتاب ، استند انجلس الى مواد كثيرة ومتنوعة من دراساته في تاريخ اليونان وروما وارلنده القديمة والجرمان الاقدمين والخ . (راجع ابحاث انجلس «المارك» ، «مساهمة في تاريخ الجرمان الاقدمين» ، «عهد الافرنج» الخ .) .

لاول مرة في البحوث الماركسية ، يسلط انجلس النور في

www.kassioun.org

عمله هذا على تطور العائلة من مواقع المادية التاريخية . فهو يعتبر العائلة مقولة تاريخية ، ولهذا يكشف الصلـــة العضويـــة بين اشكالها ــ ابتداء من الزواج الجماعي القديم حتى العائلة الاحادية التي توطدت مع ظهور الملكية الخاصة ــ وبين مختلف مراحل تطور المجتمع ، ويعرض تبعية هذه الاشكال لتغير اسلوب الانتاج . وهو يبين كيف اخذ يقل تأثير عرى القرابة في النظام الاجتماعي بقدر ما كانت تتطور القوى المنتجة ، وكيف نشأ مع انتصار الملكيـــة الخاصة مجتمع «يخضع فيه النظام العائلي كليا لعلاقات الملكية» (راجعوا هذه الطبعة ، ص ص ٤ــ٥) .

وينتقد انجلس العائلة البرجوازية انتقادا صارما . ويكشف الاساس الاقتصادي لعدم مساواة المرأة في ظل سيادة الملكيـــة الخاصة ويبرهن على انه لا يمكن التوصل الى تحرير المرأة تحريرا تاما الا بالقضاء على اسلوب الانتاج الرأسمالي . ففي المجتمـــع الاشتراكي وحده ، كما يوضح انجلس ، سيتوطد نموذج جديد للعائلة ، نموذج اعلى ، قائم على المساواة التامـــة بين الجنسين ، وعلى الاحترام المتبادل والحب الحقيقي ، وذلك بفضـــل اشراك النساء على نطاق واسع في الانتاج الاجتماعي ، واقرار المساواة التامة بين النساء والرجال في جميع ميادين الحياة الاجتماعية ، وتحرير المرأة من الاقتصاد المنزلي الذي سيأخذ المجتمع على عاتقه بدرجة متعاظمة ابدا امر العناية به .

ويخصص انجلس قسما ملحوظا من مؤلفه لدراسة ظهـــور وتطور مختلف اشكال الملكية ، وتبعية مختلف اشكال النظـــام الاجتماعي لها . ويبرهن بما لا يقبل الجدل على ان مؤسسة الملكية الخاصة ليست خالدة ، وان وسائل الانتاج كانت خلال مرحلـــة طويلة من التاريخ البدائي ملكية عامة ، مشتركة . ويبين باسهاب كيف تظهر مع تطور القوى المنتجة وارتفاع انتاجية العمل ، امكانية

www.kassioun.org

الاستئثار بمنتوجات عمل الغير ، وكيف تظهر بالتالي الملكيـــة الخاصة واستثمار الانسان للانسان ، وكيف ينقسم المجتمع على هذا النحو الى طبقات متناحرة . وقد كان نشوء الدولة العاقبـــة المباشرة لكل هذا .

ان كتاب انجلس يعارض صراحة اولئك العلماء الذين حاولوا ان يصوروا الدولة بصورة قوة ما فوق الطبقات ، ومدعوة حسب زعمهم ، الى حماية مصالح جميع المواطنين بالقدر نفسه . ومن مثال نشوء الدولة في اثينا القديمة وفي روما القديمـــة وعند الجرمان ، يقدم انجلس الدليل الواضح والمقنع على ان الدولـــة كانت دائما ، ابتداء من لحظة نشوئها ، اداة لسيادة الطبقات التي تملك وسائل الانتاج . ويستعرض انجلس في مؤلفـــه مختلف الاشكال الملموسة للدولة ، ولاسيما الجمهوريـــة البرجوازيـــة الديموقراطية التي يصورها المدافعون عن الرأسمالية بصورة اعلى شكل من اشكال الديموقراطية . ويكشف انجلس الطبيعة الطبقية لهذه الجمهورية ويبين انها شكل لسيادة البرجوازية مخفي وراء واجهة ديموقراطية المظهر .

ويحذر انجلس من الاوهام البرلمانية التي كانت منتشرة آنذاك بين قسم من قادة الحركة العمالية ، ولاسيما بين العناصر الانتهازية في الاشتراكية ـ الديموقراطية الالمانية ، ويوضح انه لا يمكن لاي حريات ديموقراطية ان تؤدي بحد ذاتها الى تحرر الشغيلة مـــا دامت سلطة الرأسمال قائمة . ولكنه يؤكد في الوقت نفسه على مصلحة البروليتاريا في صيانة وتوسيع الحريات الديموقراطيـــة لانها توفر ظروفا ملائمة الى اقصى حد لتصاعد نضالها التحرري من اجل تحويل المجتمع تحويلا ثوريا .

وبعد ان يبين انجلس في كتابه كيف يتغير اسلوب انتـــاج الخيرات المادية بقدر ما تتطور القوى المنتجـــة ، وكيف يغدو

www.kassioun.org

ظهور الملكية الخاصة وانقسام المجتمع الى طبقات متضادة امرا محتما ومنطقيا في مرحلة معينة ، يطور الاستنتاج الذي صاغه مؤسسا الماركسية والقائل ان نمو القوى المنتجة باطراد في المجتمع الرأسمالي سيؤدى بالضرورة ذاتها الى تحويل الملكية الخاصة والطبقات الاستثمارية الى عقبة مباشرة بارزة امام تطور الانتاج . وهذا ما يجعل الثورة البروليتارية امرا محتما لا مناص منه ، علما بانه لا يمكن القيام بها ، كما اوضح ماركس وانجلس غير مرة ، الا بتحطيم آلة الدولة البرجوازية الاستثمارية القديمة والاستعاضة عنها بدولة من طراز جديد ، اي بديكتاتورية البروليتاريا التي هي اعلى اشكال الديموقراطية .

ان المذهب الماركسي عن الدولة الذي عرضه انجلس بهذا الشكل الكلاسيكي قد طوره لينين من جميع النواحي فيما بعد ، طبقا للعهد التاريخي الجديد ، في مؤلفه البارز «الدولة والثورة» .

نظرا لتكدس المواد الجديدة في تاريخ المجتمع البدائي ، شرع انجلس في عام ١٨٩٠ يحضر طبعة جديدة من كتابه ، هي الطبعة الرابعة . وفي سياق تحضيرها ، درس جميع المطبوعات الجديدة في هذه المسألة ولاسيما ابحاث العالم الروسي كوفاليفسكي ، وادخل في النص الاولي تعديلات وتغييرات كثيرة ، وكذلك اضافات هامة ، ولاسيما في الفصل عن العائلة ، آخذا بعين الاعتبار احدث منجزات علم الآثار والاتنوغرافيا (اهم التعديلات الواردة في الطبعة الرابعة اشير اليها في الطبعة الحالية في آخر الصفحات) . ولكن هذه التغييرات والتدقيقات لم تلمس استنتاجات انجلس التي جاءت معطيات العلم الجديدة تؤكد صحتها مرة اخرى ، وقد احتفظت هذه الاستنتاجات باهميتها ودلالتها فيما بعد ؛ وقد بيّن تطور العلم لاحقا كل صحة الموضوعات الاساسية الواردة في مؤلف انجلس .

www.kassioun.org

صدرت الطبعة الرابعة المنقحة والمضاف اليها من كتـــاب انجلس في شتوتغارت في اواخر ١٨٩١ ، وبعد ذلك لم يطرأ على الكتاب اي تعديل . ولهذه الطبعة كتب انجلس كذلك مقدمـــة جديدة (راجعوا الطبعة الحالية ، ص ص ٦ــ٢٣) .

تصدر الطبعة الحالية وفقا للطبعة الالمانية الرابعة الصادرة في عام ١٨٩١ مع مقدمة الطبعة الاولى والطبعة الرابعة .

www.kassioun.org

www.kassioun.org

ملاحظات

١ – المقصود هنا « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » الذي وضعه كارل ماركس . – ص ٤ .

٢ – المقصود كتاب E. A. Freeman, "Comparative Politics". London, 1873 (فريمان . « السياسة المقارنة » . لندن ، ١٨٧٣) . – ص ٥ .

٣ – E. B. Tylor "Researches into the Early History of Manking and the Development of Civilisation". London, 1865 (تايلور . « ابحاث في تاريخ البشرية البدائي ونشوء الحضارة » . لندن ، ١٨٦٥) . – ص ٨ .

٤ – J. J. Bachofen. "Das Mutterrecht. Eine Untersuchung über die Gynaikokratie der alten Welt nach ihrer religiösen und rechtlichen Natur". Stuttgart, 1861. (باهوفن . « حق الام . بحث في حكم النساء في العالم القديم على اساس طبيعته الدينية والحقوقية » . شتوتغارت ، ١٨٦١) . – ص ٨ .

٥ – J. F. Mac-Lennan ."Studies in Ancient History comprising a Reprint of "Primitive Marriage. An Inquiry into the Origin of the Form of Capture in Marriage Ceremonies"". London and New-York, 1886, p. 124-125. (ماك ـ لينان – « دراسات في التاريخ القديم تشمل اعادة طبع « الزواج البدائي . بحث في اصل طقس الخطف في حفلات الزواج » . لندن ونيويورك، ١٨٨٦، ص ص ١٢٤ – ١٢٥) . – ص ١٤ .

www.kassioun.org

٦ – R. G. Latham.“ Descriptive Ethnology”. Vol. I-II, London, 1859.
(ليتام « الاتنولوجيا الوصفية » . المجلدان الاول والثاني . لندن ،
١٨٥٩) . – ص ١٤ .

٧ – L. H. Morgan. “League of the Ho-dé-no-sau-nee or Iroquois”.
Rochester, 1851 (مورغان . « عصبة هو – دي – نو – سو – ني او
الايروكوا » روتشستر ، ١٨٥١) . – ص ١٤ .

٨ – J. Lubbock. “The Origin of Civilisation and the Primitive
Condition of Man. Mental and Social Condition of Savages”. London,
1870. (ليبوك . « اصل الحضارة وحالة الانسان البدائية . اوضاع
المتوحشين الفكرية والاجتماعية » . لندن ، ١٨٧٠) . – ص ١٦ .

٩ – L. H. Morgan. “Systems of Consanguinity and Affinity of the
Human Family”. Washington, 1871. (ل . هـ . مورغان . « انظمة القرابة
بالعصب والمصاهرة في العائلة البشرية ». واشنطن، ١٨٧١) . – ص ١٧ .

١٠ – A. Giraud-Teulon. “Les origines de la famille”. Genéve, Paris,
1874. J. Lubbock. “The Origin of Civilisation and the Primitive
Condition of Man. Mental and Social Condition of Savages”.
Fourth Ed. London, 1882. (جيرو – تولون . « اصل العائلة » .
جينيف وباريس . ١٨٧٤ . ليبوك . « اصل الحضارة وحالة الانسان
البدائية . اوضاع المتوحشين الفكرية والاجتماعية » . الطبعة الرابعة . لندن،
١٨٨٢) . – ص ١٩ .

١١ – L. H. Morgan. “Ancient Society, or Researches in the Lines of
Human Progress from Savagery through Barbarism to Civilisation”.
London, 1887. (ل . هـ . مورغان . « المجتمع القديم او البحث في خطوط
التقدم البشري من الوحشية عبر البربرية الى الحضارة » . لندن، ١٨٧٧) .
– ص ١٩ .

١٢ – L. H. Morgan. “Ancient Society”. London, 1877, p. 19
(ل . هـ . مورغان . « المجتمع القديم » ، لندن ١٨٧٧ ، ص ١٩) .
ص ٢٤ .

www.kassioun.org

١٣ – البويبلو ، اسم مجموعة من قبائل الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تعيش في اراضي المكسيك الجديدة (حالياً المنطقة الجنوبية الغربية من الولايات المتحدة الاميركية والمنطقة الشمالية من المكسيك) وكانت تجمع بينها وحدة التاريخ والحضارة . هذا الاسم ، المشتق من الكلمة الاسبانية pueblo (شعب ، قوم ، مشاعة) ، اطلقه عليهم الفاتحون الاسبان نظراً للطابع الخاص لمقاماتهم التي كانت عبارة عن بيوت – قلاع مشاعية كبيرة يبلغ ارتفاعها في حدود ارتفاع بيت من ٥ او ٦ طوابق ويسكنها عدد من الناس في حدود الف شخص ؛ كذلك أطلق هذا الاسم على مقامات هذه القبائل . – ص ٢٨ .

١٤ – يقصد انجلس كتاب غايوس يوليوس قيصر « مذكرات عن حرب الغال » وكتاب بوبليوس كورنيليوس تاقيطس « جرمانيا » . – ص ٣١ .

١٥ – استخدم انجلس ، عند اعداد الطبعة الاولى من مؤلفه ، كتابي ماك ـ لينان التاليين : "Primitive Marriage. An Inquiry into the Origin of the Form of Capture in Marriage Ceremonies". Edinburgh, 1865; "Studies in Ancient History comprising a Reprint of "Primitive Marriage. An Inquiry into the Origin of the Form of Capture in Marriage Ceremonies"" London, 1876; وفيما بعد ، اخذ انجلس كذلك بالحسبان ، عند اعداد الطبعة الرابعة من كتابه (عام ١٨٩١) ، الطبعة الجديدة لكتاب ماك ـ لينان الاخير الصادرة في لندن ونيويورك عام ١٨٨٦ . – ص ٣٤ .

١٦ – L. H. Morgan. "Ancient Society". London, 1877, p. 435 – 436 (ل . ه . مورغان . « المجتمع القديم » . لندن ، ١٨٧٧ ، ص ص ٤٣٥ – ٤٣٦) . – ص ٣٥ .

١٧ – كارل ماركس . « ملخص كتاب لويس ه . مورغان « المجتمع القديم »» . – ص ٣٥ .

١٨ – المقصود هنا كتاب J. J. Bachofen. "Das Mutterrecht. Eine Untersuchung über die Gynaikokratie der alten Welt nact ihrer religiösen und rechtlichen Natur". Stuttgart, 1861. (باهوفن. « حق الام. بحث في حكم النساء في العالم القديم على اساس طبيعته الدينية والحقوقية ». شتوتغارت ، ١٨٦١) . – ٣٦ .

www.kassioun.org

١٩ – Ch. Letourneau. "L'évolution du mariage et de la famille". Paris, 1888. (ش . ليتورنو . « تطور الزواج والعائلة » . باريس ، ١٨٨٨) . – ص ٣٧ .

٢٠ – E. Westermarck. "The History of Human Marriage". London and New-York, 1891 (فسترمارك. « تاريخ الزواج البشري » لندن ونيويورك، ١٨٩١) . – ص ٣٨ .

٢١ – رأي سوسور هذا ورد في كتاب . A. Giraud-Teulon. "Les origines du mariage et de la famille". Geneve, Paris, 1884, p. XV (جيرو – طولون. « اصل الزواج والعائلة ». جينيف وباريس، ١٨٨٤، ص ١٥). – ص ٣٨ .

٢٢ – Ch. Letourneau. "L'évolution du mariage et de la famille". Paris, 1888, p. 41. (ش . ليتورنو . « تطور الزواج والعائلة » . باريس ، ١٨٨٨ ، ص ٤١) . – ص ٣٨ .

٢٣ – A. Espinas. "Des sociétés animales". Paris, 1877 (١. ايسبيناس. «في المجتمعات الحيوانية » باريس ، ١٨٧٧) . يستشهد انجلس بايسبيناس نقلا عن الصفحة ٥١٨ من كتاب جيرو – طولون (راجعوا الملاحظة رقم ٢٠) الذي ورد فيه مقطع من هذا البحث كملحق) . – ص ٣٨ .

٢٤ – H. H. Bancroft. "The Native Races of the Pacific States of North America". Vol. I-V, New-York, 1875. (هـ. هـ. بانكروفت . « العروق الاصلية في ساحل المحيط الهادى من اميركا الشمالية « المجلدات ١ – ٥ . نيويورك ، ١٨٧٥) . – ٤٢ .

٢٥ – E. Westermarck. "The History of Human Marriage", London and New York, 1891, p. 70-71. (فسترمارك . « تاريخ الزواج البشري ». لندن ونيويورك ، ١٨٩١ ، ص ص ٧٠ – ٧١) . – ص ٤٣ .

٢٦ – رسالة ماركس هذه لم تصل الينا . ويشير اليها انجلس في رسالة الى كاوتسكي بتاريخ ١١ نيسان (ابريل) ١٨٨٤ . – ص ٤٤ .

www.kassioun.org

٢٧ – المقصود هنا نص الرباعية الاوبيرالية « حلقة نيبيلونغ » التي كتبها الموسيقار فاغنر بنفسه استناداً الى الملحمة السكاندينافية « ايدا » والملحمة الالمانية « اغنية نيبيلونغ » . راجعوا R. Wagner. "Der Ring des Nibelungen, erster Tag, die Walküre", zweiter Aufzug (ر . فاغنر . « حلقة نيبيلونغ ، اليوم الاول ، « فالكيريا » ، الفصل الثاني) .

« اغنية نيبيلونغ » – اكبر اثر للملحمة البطولية الشعبية الالمانية ؛ انشئ على اساس الاساطير والحكايات الجرمانية القديمة من مرحلة ما يسمى بهجرة الشعوب الكبرى . (من القرن الثالث الى القرن الخامس) . اتخذت هذه القصيدة الملحمية شكلها الذي وصلت به الينا حوالي عام ١٢٠٠ . – ص ٤٤ .

٢٨ – « ايدا » – مجموعة من الحكايات والاغاني البطولية والميثولوجية للشعوب السكاندينافية . بقيت بصورة مخطوطة من القرن الثالث عشر اكتشفها في عام ١٦٤٣ الاسقف الاسلندي سفينسون (« ايدا الكبرى ») وبصورة بحث في شعر السكالد وضعه في مستهل القرن الثالث عشر الشاعر والمؤرخ سنوري ستورلوسون (« ايدا الصغرى ») . صورت اغاني « ايدا » حالة المجتمع السكاندينافي في مرحلة تفسخ النظام العشائري وهجرة الشعوب. وهي تتضمن شخصيات ومواضيع من ابداع قدماء الجرمان الشعبي .

« اوغيسدريكا » – احدى اغاني « ايدا الكبرى » ؛ وهي تعود الى نصوص للمجموعة مكتوبة في زمن اكثر تأخراً . وهنا يورد انجلس مقتطفات من المقطعين ٣٢ و٣٦ من هذه الاغنية . – ص ٤٥ .

٢٩ – آس وفان ، مجموعتان من آلهة في الميثولوجيا السكاندينافية .

« ساغا اينغلينغ » – **الساغا الاولى** (حكاية ، اسطورة) – من كتاب عن الملوك النروجيين (منذ غابر الازمنة حتى القرن الثاني عشر) للشاعر والمؤرخ الاسلندي سنوري ستورلوسون من القرون الوسطى ، "Heimskringla" (« الحلقة الارضية ») موضوع في النصف الاول من القرن الثالث عشر على اساس الاخبار التاريخية عن الملوك النروجيين والساغات العشيرية الاسلندية والنروجية . وهنا يورد انجلس مقتطفاً من الفصل الرابع من هذه الساغا . – ص ٤٥ .

www.kassioun.org

L. H. Morgan. "Ancient Society". London, 1877, p. 425. — ٣٠
— (ل . هـ . مورغان . « المجتمع القديم » . لندن ، ١٨٧٧ . ص ٤٢٥ .)
ص ٤٦ .

J. J. Bachofen. "Das Mutterrecht". Stuttgart. 1861, S. XXIII, 385. — ٣١
(باهوفن . « حق الام . » شتوتغارت ، ١٨٦١ ، ص ٢٣ ، ص ٣٨٥
وغيرها) . — ص ٤٩ .

٣٢ — كارل ماركس . « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » . —
ص ٤٩ .

٣٣ — يوليوس قيصر . « مذكرات عن حرب الغال » . الكتاب الخامس . الفصول
١٤ — ٥ ٤ . — ص ٤٩ .

"The People of India". Edited by J. F. Watson and J. W. — ٣٤
Kaye. Vol. I—VI. London, 1868-1872. (« شعب الهند». منشورات
ج. ف . وطسون وج . د . كاي . المجلدات ١ — ٦ . لندن ،
١٨٦٨ — ١٨٧٢) . هنا يورد انجلس مقتطفاً من المجلد الثاني من هذه
الطبعة ، ص ٨٥ . — ص ٥٠ .

٣٥ — المقصود هنا طبقات الزواج او الفروع وهي مجموعات خاصة كانت تنقسم
اليها اغلبية القبائل الاوسترالية . لم يكن بوسع الرجال في كل مجموعة ان
يتزوجوا الا من نساء مجموعة اخرى معينة . وكان عدد المجموعات في كل
قبيلة يتراوح بين ٤ و ٨ . — ص ٥٠ .

L. H. Morgan. "Systems of Consanguinity and Affinity of the — ٣٦
Human Family". Washington, 1871. (ل . هـ . مورغان . « انظمة
القرابة بالمصب والمصاهرة في العائلة البشرية » . واشنطن ، ١٨٧١) .
— ص ٥٢ .

٣٧ — نتائج البحوث التي اجراها فايسون مع هاويت وردت في كتاب
L. Fison and A. W. Howitt. "Kamilaroi and Kurnai".
Melbourne, Sydney, Adelaide and Brisbane, 1880.
(ل . فايسون وا . و . هاويت « كاميلاروى وكورناي » . ملبورن وسيدني
واديلاييد وبريسبان ، ١٨٨٠) . — ص ٥٣ .

www.kassioun.org

٣٨ – L. H. Morgan. "Ancient Society". London, 1877, p. 459.
(ل . ه . مورغان . « المجتمع القديم » . لندن ، ١٨٧٧ ، ص ٤٥٩) .
– ص ٥٨ .

٣٩ – يستشهد انجلس برسالة رايت حسب المقطع الوارد منها في كتاب مورغان "Ancient Society". London, 1877, p. 455. مورغان ه. ل. راجعوا)
« المجتمع القديم » لندن ، ١٨٧٧ ، ص ٤٥٥) . وقد نشرت هذه الرسالة (وتاريخها الصحيح ١٩ ايار (مايو) ١٨٧٤ ، لا ١٨٧٣ كما اورد مورغان) بنصها الكامل في مجلة "American Anthropologist", New Series, Menasha, Wisconsin, U.S.A., 1933, N 1, p. 138-140.
(« الانتروبولوجي الاميركي ». السلاسل الجديدة . ميناشا . وسكونسن . الولايات المتحدة الاميركية ، ١٩٣٣ ، العدد الاول ، ص ص ١٣٨ – ١٤٠) . – ص ٦٠ .

٤٠ – H. H. Bancroft. "The Native Races of the Pacific States of North America". Vol. I, New York, 1875, p. 352-353.
(بانكروفت . « العروق الاصلية في ولايات اميركا الشمالية على المحيط الهادى » . المجلد الاول ، نيويورك ، ١٨٧٥ . ص ص ٣٥٢ – ٣٥٣ . – ص ٦١ .

٤١ – الساتورنالات ، اعياد سنوية في روما القديمة كانت تقام تكريماً للاله ساتورن (زحل) في مرحلة الانقلاب الشمسي الشتوي لمناسبة نهاية الاعمال الزراعية . وفي هذه الاعياد ، كانت تقام المآدب والطقوس العربيدة على نطاق جماهيري ؛ وكان العبيد يشتركون في الساتورنالات وكانوا يسمحون لهم فيها بالجلوس الى طاولة واحدة مع الاحرار . وفي ايام الساتورنالات ، كانت تسود حرية العلاقات الجنسية . وقد اتخذت كلمة « الساتورنالات » معنى يدل على مآدب العربدة والسكر وحفلات التهتك والفجور . – ص ٦٢ .

٤٢ – المقصود هنا الكتاب الذي كتبه اغاسيس مع زوجته Professor and Mrs. Louis Agassiz. "A Journey in Brazil". Boston and New York, 1886.
(البروفسور والسيدة لويس اغاسيس . « رحلة في البرازيل ». بوسطن ونيويورك ، ١٨٨٦) . صدرت الطبعة الاولى من هذا الكتاب في ١٨٦٨ . – ص ٦٣ .

www.kassioun.org

٤٣ – المقصود هنا ما يسمى « بقرار غوادالوب » الصادر في ٢١ نيسان (ابريل) ١٤٨٦ – اي قرار التحكيم الذي اصدره الملك الاسباني فردبناند الخامس الكاثوليكي تحت ضغط الانتفاضة الفلاحية في قطالونيا . وقد برز الملك في هذه المناسبة كحكم بين الفلاحين المنتفضين وبين الاقطاعيين . نص القرار على الغاء ارتباط الفلاح بالارض وابطال عدد من اشد الاتاوات الاقطاعية مدعاة لكره الفلاحين ، بما فيها حق الليلة الاولى ؛ ونص بالمقابل على الزام الفلاحين بدفع تعويضات كبيرة . – ص ٦٥ .

٤٤ – S. Sugenheim. "Geschichte der Aufhebung der Leibeigenschaft und Hörigkeit in Europa bis um die Mitte des neunzehnten Jahrhunderts". St. Petersburg, 1861. (س . زوغنهايم . « تاريخ الغاء حق القنانة والتبعية الشخصية في اوروبا حتى اواسط القرن التاسع عشر ضمناً » . سانت بطرسبورغ ، ١٨٦١) . – ص ٦٥ .

٤٥ – كارل ماركس . « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » . – ص ٧٠ .

٤٦ – كارل ماركس . « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » . – ص ٧٠ .

٤٧ – M. Kovalevsky. "Tableau des origines et de l'évolution de la famille et de la propriété". Stockholm, 1890. (م . كوفاليفسكي . « بيان عن اصل وتطور العائلة والملكية » . ستوكهلم ، ١٨٩٠) . – ص ٧١ .

٤٨ – L. H. Morgan. "Ancient Society". London, 1877, p. 465-466 (ل . هـ . مورغان . « المجتمع القديم » . لندن ، ١٨٧٧ ، ص ص ٤٦٥ – ٤٦٦) . – ص ٧١ .

٤٩ – L. H. Morgan. "Ancient Society". London, 1877, p. 470. (ل . هـ . مورغان . « المجتمع القديم » . لندن ، ١٨٧٧ ، ص ٤٧٠) . – ص ٧٢ .

٥٠ – كارل ماركس . « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » . – ص ٧٢ .

www.kassioun.org

٥١ – المقصود هنا بحث كوفاليفسكي « الحق البدائي . الطبعة الاولى . المشيرة » . موسكو ، ١٨٦٦ . في البحث يستشهد بمعطيات اوردها اورشانسكي في عام ١٨٧٥ ويفيمنكو في عام ١٨٧٨ عن المشاعة العائلية في روسيا . – ص ٧٤ .

٥٢ – أطلق اسم « حقيقة » ياروسلاف على القسم الاول من الصيغة الاولى القديمة « للحقيقة الروسية » اي لمجموعة قوانين روسيا القديمة ، التي ظهرت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، على اساس حق العرف والعادة في ذلك الزمن ، والتي كانت تعكس العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في مجتمع ذلك الزمن . – ص ٧٤ .

٥٣ – القوانين الدالماتية ، مجموعة قوانين كانت سارية المفعول من القرن الخامس عشر الى القرن السابع عشر في بوليتسا (قسم من دالماتيا) ؛ وهي معروفة ايضاً باسم « نظام بوليتسا » . – ص ٧٤ .

٥٤ – A. Heusler. "Institutionen des Deutschen Privatrechts", B. II, Leipzig, 1886, S. 271. (هوسلر . « المبادئ الاساسية للحق الخاص الالماني » . المجلد الثاني . ليبزيغ ، ١٨٦٦ ، ص ٢٧١) . – ص ٧٤ .

٥٥ – اشارة نيارخ المذكورة هنا تجدونها في مؤلف سترابون « الجغرافية » ، الكتاب الخامس عشر ، الفصل الاول . – ص ٧٤ .

٥٦ – Calpullis (كالبوليس) ، طوائف عائلية عند الهنود الحمر في المكسيك في مرحلة استيلاء الاسبان على هذا البلد . كل طائفة عائلية (calpulli) (كالبولي) كان لجميع اعضائها اصل واحد مشترك وكانت تملك قطاعاً مشتركاً من الارض لا يجوز التنازل عنه ولا قسمته بين الورثة . وصف الونسو سوريتا calpullis في مؤلفه "Rapport sur les différentes classes de chefs de la Nouvelle-Espagne, sur les lois, les moeurs des habitants, sur les impôts établis avant et depuis la conquète, etc., etc.". (« تقرير عن مختلف فئات الزعماء في اسبانيا الجديدة وعن القوانين وعن اخلاق السكان وعن الضرائب المفروضة قبل الفتح وبعده ، والخ . ، والخ .. ») المنشور للمرة الاولى في كتاب "Voyages, relations et mémoires originaux pour servir à l'histoire de la découverte de

www.kassioun.org

l'Amérique, publiés pour la premiere fois en français, par H. Ternaux-Compans". Vol. 11, Paris, 1840, pp. 50-64.
(« رحلات ، وتقارير ومذكرات اصلية تتعلق بتاريخ اكتشاف اميركا ونشرها للمرة الاولى بالفرنسية ترنو – كومبان » . المجلد ١١ . باريس ، ١٨٤٠ ، ص ص ٥٠ – ٦٤) . – ص ٧٥ .

٥٧ – المقصود هنا مقالة كونوف Dorf – und "Die altperuanischen Markgenossenschaften" («المشاعات القروية والماركية البيروانية القديمة») المنشورة في مجلة « Ausland » في ٢٠ و٢٧ تشرين الاول (اكتوبر) و٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٨٩٠ .
"Das Ausland" (« داس اوسلاند » – « البلدان الاجنبية ») ، مجلة المانية في مسائل الجغرافية والاتنوغرافية وعلم الطبيعة . صدرت من عام ١٨٢٨ حتى عام ١٨٩٣ . ابتداء من ١٨٧٣ صدرت في شتوتغارت . – ص ٧٥ .

٥٨ – المقصود هنا المادة ٢٣٠ من القانون المدني ، الصادر في عهد نابليون عام ١٨٠٤ . – ص ٧٧ .

٥٩ – كارل ماركس. « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » . – ص ٧٨ .

٦٠ – هوميروس . « الاوذيسة » . النشيد الاول . – ص ٧٨ .

٦١ – اسخيلوس . « اوريستية . اغممنون » . – ص ٧٨ .

٦٢ – بلوتارك . «امثال الاسبرطيات». الفصل الخامس. راجعوا كذلك G. F. Schoemann. "Griechische Alterthümer", Bd. I, Berlin, 1855, S. 268.
(غ . ف . شومان . « الازمنة القديمة اليونانية » . المجلد الاول، برلين ، ١٨٥٥ ، ص ٢٦٨) . – ص ٧٩ .

٦٣ – الاسبرطيون ، مواطنون كاملو الحقوق في اسبرطة القديمة . الهيلوت ، سكان اسبرطة القديمة المحرومون من الحقوق ، والمربوطون بالارض والملزمون بتقديم اتاوات معينة في صالح ملاكي الاراضي الاسبرطيين . لم يختلف وضع الهيلوت في شيء عن وضع العبيد . – ص ٨٠ .

٦٤ – ارستوفانس . « النساء في عيد فسموفوريا » . – ص ٨٠ .

www.kassioun.org

٦٥ – هيرودوتس . « التاريخ » . الكتاب الثامن . الفصل ١٠٥ . راجعوا كذلك W. Wachsmuth, "Hellenische Alterthumskunde aus dem Gesichtspunkte des Staates", Th. II, Abth. II, Halle, 1830, S. 77. (و . فاكسموت . « دراسة الازمنة القديمة الهيلينية على صعيد انظمتها السياسية». القسم الثاني ، الباب الثاني ، هالة ، ١٨٣٠ ، ص ٧٧) . – ص ٨٠ .

٦٦ – اوريبيدس . « اوريست » . – ص ٨٠ .

٦٧ – يورد انجلس فكرة ظهرت في مؤلف ماركس وانجلس « الايديولوجية الالمانية » . – ص ٨٢ .

٦٨ – L. H. Morgan. "Ancient Society". London, 1877, p. 504. (ل . هـ . مورغان . « المجتمع القديم » . لندن ، ١٨٧٧ ، ص ٥٠٤) . – ص ٨٣ .

٦٩ – الهييرودول Hiérodule ، في اليونان القديمة والمستعمرات اليونانية ، العبيد والعبدات التابعون للهياكل . في كثير من الانحاء ، ولا سيما في مدن آسيا الصغرى وفي كورنثيا ، كانت النساء الهييرودول يتعاطين الدعارة في الهياكل . – ص ٨٣ .

٧٠ – تاقيطس . « جرمانيا » ، الفصلان ١٨ و ١٩ . – ص ٨٦ .

٧١ – اميان مرسيللان . « التاريخ في ٣١ كتاباً » . الكتاب الحادي والثلاثون ، الفصل التاسع . بروكوبيوس من قيصرية . « الحرب ضد القوط » ، الكتاب الثاني ، الفصل الرابع عشر . (الكتاب السادس من « تاريخ حروب يوسطينيانوس ضد الفرس والفندال والقوط ») . – ص ٨٧ .

٧٢ – المقصود شعر التروبادور (المغنين الجوالين) في فرنسا الجنوبية اواخر القرن الحادي عشر حتى اوائل القرن الثالث عشر) . – ص ٨٨ .

٧٣ – هنا يحور انجلس مقطعاً من مؤلف شارل فوريه "Théorie de l'unité universelle". Vol. III, 2-me éd., Oeuvres complètes, t. IV, Paris, 1841, p. 120. (شارل فوريه . « نظرية وحدة الكون » ، المجلد الثالث . الطبعة الثانية . المؤلفات الكاملة ، المجلد الرابع ، باريس ، ١٨٤١ ، ص ١٢٠) . صدرت الطبعة الاولى من هذا المؤلف تحت اسم

www.kassioun.org

"Traité de l'association domestique-agricole", T. I-II, Paris — Londres, 1882. (« بحث في الرابطة البيتية الزراعية » . المجلدان الاول والثاني، باريس ، ١٨٢٢) . — ص ٩٠ .

٧٤ — دفنيس وكلويا — بطلا رواية يونانية من القرنين الثاني والثالث . لم تبق عن مؤلفها لونغ اي معلومات . — ص ٩٧ .

٧٥ — « اغنية نيبيلونغ » . الاغنية العاشرة . — ص ٩٩ .

٧٦ — « غودرون » (او « كودرون ») — قصيدة ملحمية المانية من القرن الثالث عشر . — ص ٩٩ .

٧٧ — H. S. Maine. "Ancient Law: its Connection with the Early History of Society, and its Relation to Modern Ideas" (هنري سامنر ماين . « القانون القديم : صلته مع التاريخ الباكر للمجتمع ، وعلاقته بالمفاهيم القانونية العصرية ») ؛ صدرت الطبعة الاولى من هذا المؤلف في لندن عام ١٨٦١ ؛ المقطع الذي اشار اليه انجلس ورد في الصفحة ١٧٠ من هذه الطبعة . — ص ١٠١ .

٧٨ — كارل ماركس وفريدريك انجلس. « بيان الحزب الشيوعي » . الفصل الاول . — ص ١٠١ .

٧٩ — L. H. Morgan. "Ancient Society". London, 1877, p. 491-492. (ل . هـ . مورغان . « المجتمع القديم » . لندن ، ١٨٧٧ ، ص ص ٤٩١ — ٤٩٢) . — ص ١٠٧ .

٨٠ — راجعوا الملاحظة رقم ٣٦. — ص ١٠٨ .

٨١ — يورد انجلس الاستشهاد نقلا عن « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » لكارل ماركس . — ص ١١٤ .

٨٢ — المقصود هنا استيلاء الفاتحين الاسبان على المكسيك في سنوات ١٥١٩ — ١٥٢١ . — ص ١١٦ .

٨٣ — L. H. Morgan. "Ancient Society". London, 1877, p. 115. (ل . هـ . مورغان . « المجتمع القديم » . لندن ، ١٨٧٧ ، ص ١١٥) . — ص ١١٨ .

www.kassioun.org

٨٤ – هنا وفيما بعد ، يقصد انجلس كتاب تاقيطس « جرمانيا » . – ص ١٢٠ .

٨٥ – المكسيكيون الجدد . راجعوا الملاحظة رقم ١٣. – ص ١٢٢ .

٨٦ – المقصود هنا مؤلفات غيورغ لودفيغ موريز : "Einleitung zur Geschichte der Mark-, Hof-, Dorf- und Stadt-Verfassung und der öffentlichen Gewalt". München, 1854. (« مقدمة لتاريخ نظام المارك والعائلة والقرية والمدينة والسلطة العامة » . مونيخ ، ١٨٥٤) ؛ "Geschichte der Markenverfassung in Deutschland". Erlangen, 1856. (« تاريخ نظام المارك في المانيا » . ارلنغن ، ١٨٥٦) ؛ Geschichte der Fronhöfe, der Bauernhöfe und der Hofverfassung in Deutschland". Bd. I-IV, Erlangen, 1862-1863. (« تاريخ دور الاسياد ودور الفلاحين ونظام العائلة في المانيا » . المجلدات ١ – ٤ . ارلنغن ، ١٨٦٢ – ١٨٦٣) ؛ "Geschichte der Dorfverfassung in Deutschland". Bd. I-II,Erlangen, 1865-1866. (« تاريخ نظام القرية في المانيا » . المجلدان الاول والثاني . ارلنغن ، ١٨٦٥ – ١٨٦٦) . "Geschichte der Städteverfassung in Deutschland", Bd. I-IV, Erlangen, 1869-1871. (« تاريخ نظام المدينة في المانيا ». المجلدات ١–٤ ، ارلنغن ، ١٨٦٩–١٨٧١). – ١٢٤ .

٨٧ – « الامة المحايدة » ، هكذا كان يسمى في القرن السابع عشر الحلف العسكري بين بضع قبائل من الهنود الحمر كانت لها صلة قرابة بقبائل الايروكوا وكانت تعيش عند الضفة الشمالية من بحيرة يري . وقد كان المستعمرون الفرنسيون هم الذين اطلقوا هذا الاسم على هذا الحلف لأنه بقي على الحياد في الحروب بين قبائل الايروكوا الصرف وقبائل الهورون . – ص ١٢٦ .

٨٨ – المقصود هنا نضال التحرر الوطني الذي خاضه الزولو والنوبيون ضد الاستعماريين البريطانيين .

هاجم البريطانيون قبائل الزولو في كانون الثاني (يناير) ١٨٧٩ ؛ ولكن قبائل الزولو ظلت ، برئاسة زعيمها كتشفايو ، تقاوم بصلابة خارقة

www.kassioun.org

طوال نصف سنة . ولم يستطع البريطانيون احراز النصر الا بعد جملة من المعارك ، وبفضل تفوقهم الساحق في الاسلحة . ولم يستطيعوا اخضاع الزولو لسَيطرتهم نهائياً الا فيما بعد ، في عام ١٨٨٧ ، باستغلالهم الحرب التي استثاروها بين مختلف قبائل الزولو ودامت بضع سنوات .

في عام ١٨٨١ نشبت ثورة التحرر الوطني التي اشترك فيها النوبيون والعرب والقوميات الاخرى في السودان برئاسة محمد احمد بن عبد الله المهدي ، واحرزت نجاحات خاصة في ١٨٨٣ و١٨٨٤ ، وذلك حين تم تحرير اراضي السودان كلها تقريباً من قوات المستعمرين البريطانيين التي كانت قد تغلغلت في السودان في السبعينيات . اثناء الثورة ، تشكلت دولة مهدية مركزية مستقلة . ولم تستول قوات المستعمرين البريطانيين على السودان الا في عام ١٨٩٩ ، وذلك باستغلالها ضعف هذه الدولة الداخلي من جراء الحروب المتواصلة والمنازعات بين القبائل ، وكذلك باعتمادها على التفوق الساحق في الاسلحة . — ص ١٢٦ .

٨٩ — G. Grote. "A History of Greece". Vol. I-XII. (جورج غروت . « تاريخ اليونان » . المجلدات ١ — ١٢) . صدرت الطبعة الاولى من هذا المؤلف في لندن في سنوات ١٨٤٦ — ١٨٥٦ ؛ المقطع المذكور هنا ورد في الصفحتين ٥٤ و ٥٥ من المجلد الثالث الصادر في لندن عام ١٨٦٩) . — ص ١٢٩ .

٩٠ — المقصود هنا خطاب ديموسفينس في المحكمة ضد اوبوليد . وقد اشير في هذا الخطاب الى العادة القديمة التي تقضي بألا يدفن في المدافن العشائرية غير ابناء العشيرة المعنية . — ص ١٢٩ .

٩١ — كارل ماركس . « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان «المجتمع القديم » » . — ص ١٣٠ .

٩٢ — المقطع الذي اشار اليه انجلس هنا من مؤلف للفيلسوف اليوناني القديم ديكيارخ لم يصل الينا ، ورد في كتاب فاكسموت "Hellenische Alterthumskunde aus dem Geschichtspunkte des Staates". Th. I, Abth. I, Halle, 1826, S. 312. («دراسة الازمنة القديمة الهيللينية على صعيد انظمتها السياسية». القسم الاول . الباب الاول . هاله، ١٨٢٦ . ص ٣١٢) . — ص ١٣٠ .

www.kassioun.org

٩٣ – W. A. Becker. "Charikles. Bilder altgriechischer Sitte. Zur genaueren Kenntniss des griechischen Privatlebens". Th. II, Leipzig, 1840, S. 447. (ولهلم ادولف بيكر . « خاريكل . لوحات عن الاخلاق اليونانية القديمة ، لأجل الاطلاع بمزيد من التفصيل على حياة اليونانيين الخاصة » . القسم الثاني . ليبزيغ ، ١٨٤٠ . ص ٤٤٧) . – ص ١٣١ .

٩٤ – كارل ماركس . « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » . – ص ١٣٢ .

٩٥ – G. Grote. "A History of Greece". A New Ed., vol. III, London, 1869, p. 66. (جورج غروت . « تاريخ اليونان ». طبعة جديدة. المجلد الثالث ، لندن ، ١٨٦٩ ، ص ٦٦) . – ص ١٣٢ .

٩٦ – كارل ماركس . « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » . – ص ١٣٢ .

٩٧ – G. Grote, "A History of Greece", A New. Ed., vol. III, London, 1869, p. 60. (جورج غروت . « تاريخ اليونان » . طبعة جديدة ، المجلد الثالث ، لندن ، ١٨٦٩ ، ص ٦٠) . اورد ماركس الاستشهاد (مع ملاحظات بين هلالين) في مؤلفه « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان » المجتمع القديم » » . – ص ١٣٣ .

٩٨ – كارل ماركس . « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » . – ص ١٣٤ .

٩٩ – G. Grote. "A History of Greece". A New Ed., vol. III, London, 1869, p. 58-59. (جورج غروت . « تاريخ اليونان ». طبعة جديدة . المجلد الثالث ، لندن ، ١٨٦٩ . ص ص ٥٨ – ٥٩) . – ص ١٣٤ .

١٠٠ – هوميروس . « الالياذة » ، النشيد الثاني . – ص ١٣٤ .

١٠١ – المقصود هنا مؤلف Fustel de Coulanges. "La cité antique". livre III, chap. I. (فوستيل دي كولانج. « المشاعة المدنية القديمة » ، الكتاب الثالث ، الفصل الاول . صدرت الطبعة الاولى من هذا المؤلف في باريس وستراسبورغ عام ١٨٦٤) . – ص ١٣٥ .

www.kassioun.org

١٠٢ – ديونيسيوس الهاليكارناسي . « تاريخ روما القديم » . الكتاب الثاني . الفصل الثاني عشر . – ص ١٣٦ .

١٠٣ – اسخيلوس . « سبعة ضد ثيبه » . – ص ١٣٦ .

١٠٤ – G. F. Schoemann. "Griechische Alterthümer". Bd. I, Berlin, 1855, S. 27. (غ . ف . شومان « الازمنة القديمة اليونانية » . المجلد الاول ، برلين ، ١٨٥٥ ، ص ٢٧) . – ص ١٣٧ .

١٠٥ – W. E. Gladstone. "Juventus Mundi. The Gods and Men of the Heroic Age", chap. 11. المقصود هنا كتاب (و . ى . غلادستون . « شباب العالم . الآلهة والناس في العصر البطولي » ، الفصل الحادي عشر) ؛ صدرت الطبعة الاولى من هذا المؤلف في لندن عام ١٨٦٩ . – ص ١٣٧ .

١٠٦ – كارل ماركس . « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » ؛ المقطع المذكور ورد في كتاب : L. H. Morgan, "Ancient Society". London, 1877, p. 248. (ل. هـ. مورغان « المجتمع القديم » ، لندن ، ١٨٧٧ ، ص ٢٤٨) . – ص ١٣٧ .

١٠٧ – هوميروس . « الالياذة » ، النشيد الثاني . – ص ١٣٨ .

١٠٨ – كارل ماركس . « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » . – ص ١٣٩ .

١٠٩ – ثوقيديس . « تاريخ حرب البيلوبونيز » . الكتاب الاول ، الفصل الثالث عشر . – ص ١٤٠ .

١١٠ – ارسطو . « السياسة » . الكتاب الثالث ، الفصل العاشر . – ص ١٤٠ .

١١١ – المقصود هنا منح الطبقة الرابعة من مواطني آثينا – « الفيت » (وهم مواطنون احرار ولكنهم معدمون) حق شغل الوظائف المدنية ، الامر الذي ينسبه قسم من المصادر الى اريستّدس . (القرن الخامس ق . م .) . – ص ١٥١ .

١١٢ – المقصود هنا metéques (الميتيك او الموالي) اي الغرباء الذين كانوا يسكنون في الاتيك بصورة دائمة ؛ كان هؤلاء احراراً ، ولكنهم لم يكونوا يتمتعون بحقوق المواطنين الاثينيين (حق شغل الوظائف العامة ، الاشتراك في الجمعية الشعبية ، امتلاك الاموال غير المنقولة ، الخ ..) . كان الميتيك يتعاطون

www.kassioun.org

بصورة رئيسية الحرف والتجارة ، وكانوا ملزمين بدفع ضريبة خاصة ، وباتخاذ « حماة » لهم من عداد المواطنين الكاملي الحقوق ؛ وبواسطة هؤلاء ، كان يمكنهم مراجعة هيئات الحكم . — ص ١٥٢ .

١١٣ — في سنوات ٥١٠ — ٥٠٧ ق . م . ، ترأس كليسفن ، ممثل عشيرة الكميونيد ، نضال ديموس (شعب) آثينا ضد سيطرة الاريستقراطية العشائرية القديمة ؛ وبالنتيجة ، اطيح بهذه السيطرة ؛ واجريت اصلاحات ترمي الى تصفية بقايا النظام العشائري . — ص ١٥٢ .

١١٤ — L. H. Morgan. "Ancient Society", London. 1877, p. 271. (لويس هنري مورغان . « المجتمع القديم »، لندن، ١٨٧٧، ص ٢٧١) . — ص ١٥٣ .

١١٥ — في عام ٥٦٠ ق . م . استولى بيسيستراتس ، ممثل العشيرة الاريستقراطية المفتقرة، على السلطة في آثينا، واقام نظام الحكم الفردي — حكم الاستبداد . دام هذا النظام مع انقطاعات (فقد طرد بيسيستراتس مرتين من آثينا وعاد اليها من جديد) حتى وفاة بيسيستراتس في عام ٥٢٧ ق . م . ، وبعد ذلك حتى عام ٥١٠ ق . م . عندما طرد ابنه هيبياس، واعيدت في آثينه بعد فترة وجيزة سيادة ديموقراطية مالكي العبيد برئاسة كليسفين . ان نشاط بيسيستراتس ، الهادف الى الدفاع عن ملاكي الاراضي الصغار والمتوسطين ضد الاريستقراطية المشائرية ، لم يسفر عن تغييرات جدية في تركيب الدولة الاثينية السياسي . — ص ١٥٦ .

١١٦ — قوانين الالواح الاثني عشر . اقدم آثار الحق الروماني . وضعت في اواسط القرن الخامس قبل الميلاد نتيجة للنضال بين العوام والخواص وحلت محل حق العرف والعادة الساري المفعول في روما قبل ذاك . وقد عكست هذه القوانين تطورات التمايز الطبقي في المجتمع الروماني على اساس الملكية ، وتطورات نظام الرق ونشوء دولة مالكي العبيد (دولة الرق) . كتبت القوانين على اثني عشر لوحاً . — ص ١٥٧ .

١١٧ — المقصود هنا المعركة التي دارت رحاها في غاب توتوبورغ (عام ٩ ميلادي) بين القبائل الجرمانية الثائرة على الفاتحين الرومانيين وبين القوات الرومانية

17*

www.kassioun.org

التي كانت تحت قيادة فار . انتهت المعركة بهزيمة الرومانيين ومقتل قائدهم العسكري . — ص ١٥٨ .

١١٨ — انتخب ابيوس كلوديوس في عام ٤٥١ وعام ٤٥٠ ق . م . في لجنة العشرة (الديسمفيرين) التي كان قد عهد اليها بوضع القوانين التي اشتهرت فيما بعد بقوانين الالواح الاثني عشر . وقد خولت اللجنة ، اثناء قيامها بمهمتها ، كامل السلطة ؛ وعند انتهاء الاجل المعين ، حاول ابيوس كلوديوس مع الديسمفيرين الآخرين تمديد سلطة اللجنة بالاغتصاب حتى عام ٤٤٩ ضمناً . ولكن استبداد وعنف الديسمفيرين ، ولاسيما منهم ابيوس كلوديوس ، دفعا البليبس (العامة) الى القيام بانتفاضة ادت الى اسقاط الديسمفيرين . وقد زج بابيوس كلوديوس في السجن ، حيث توفي بعد مدة قصيرة . — ص ١٥٩ .

١١٩ — الحرب البونيكية الثانية (٢١٨ — ٢٠١ ق . م .) — احدى الحروب التي دارت رحاها بين دولتين من اكبر دول مالكي العبيد في الازمنة القديمة هما روما وقرطاجا من اجل بسط السيطرة في القسم الغربي من البحر الابيض المتوسط ، ومن اجل فتح الاراضي الجديدة وامتلاك العبيد . انتهت الحرب بهزيمة قرطاجا . — ص ١٥٩ .

١٢٠ — هنا يورد انجلس من جديد الملاحظة التي ابداها ماركس بصدد العشيرة اليونانية (راجعوا الملاحظة رقم ٩١) . — ص ١٦٠ .

١٢١ — Th. Mommsen, "Römische Forschungen". 2 Aufl., Bd. I, Berlin, 1864. (مومزن ت . « الدراسات الرومانية » . الطبعة الثانية ، المجلد الاول ، برلين ، ١٨٦٤) . — ص ١٦٠ .

١٢٢ — تيطس ليفيوس . « تاريخ روما منذ تأسيس المدينة » . — ص ١٦١ .

١٢٣ — يستشهد لانغه في كتابه "Römische Alterthümer". Bd. I, Berlin, 1856. S. 195 (« الازمنة القديمة الرومانية » برلين ، ١٨٥٦ . ص ١٩٥) يبحث ف . ا . هوشكه "De Privilegiis Feceniae Hispalae senatusconsulto concessis" (Liv. XXXIX, 19), Gottingae, 1822. (فيليب ادوارد هوشكه . « بصدد منح فيتسينيا حيسبالا امتيازات بقرار من مجلس الشيوخ (الكتاب التاسع والثلاثون ، الفصل التاسع عشر) » . غوتنغن ، ١٨٢٢) . — ص ١٦٤ .

www.kassioun.org

١٢٤ – B. G. Niebuhr. "Römische Geschichte", Th. I-III (برتولد غيورغ نيبور . « تاريخ روما » الاقسام الاول والثاني والثالث) ؛ يورد انجلس مقطعاً من القسم الاول الذي صدرت طبعته الاولى في برلين عام ١٨١١ . – ص ١٦٦ .

١٢٥ – Th. Mommsen. "Römische Geschichte". Bd. I, Buch I, Kap. 6. (مومزن ت. « تاريخ روما » . المجلد الاول، الكتاب الاول، الفصل السادس) ؛ صدرت الطبعة الاولى للمجلد الاول من هذا المؤلف في ليبزيغ عام ١٨٥٤ .– ص ١٦٧ .

١٢٦ – Dureau de la Malle. "Économie politique des Romains". T. I-II, Paris, 1840. (دورو دي لا مال . « الاقتصاد السياسي عند الرومان » . المجلدان الاول والثاني . باريس ، ١٨٤٠) . والمقصود هنا الجداول المقارنة الواردة في نهاية المجلد الاول عن المقاييس القديمة والجديدة ، وكذلك عن الوحدات النقدية . – ص ١٧٠ .

١٢٧ – J. F. Mac- Lennan. "Primitive Marriage". Edinburgh, 1865. (ماك – لينان . « الزواج البدائي » . ادنبورغ ، ١٨٦٥) . – ص ١٧٢ .

١٢٨ – M. Kovalevsky. "Tableau des origines et de l'évolution de la famille et de la propriété". Stockholm, 1890. (كوفاليفسكي . « بيان حول اصل وتطور العائلة والملكية » . ستوكهلم ، ١٨٩٠) . – ص ١٧٢.

١٢٩ – انجز الانجليز عملية استيلائهم على منطقة ويلس في عام ١٢٨٣ . ولكن ويلس ظلت بعد ذلك محتفظة بالحكم الذاتي . وقد ضمت نهائياً الى انجلترا في اواسط القرن السادس عشر . – ص ١٧٢ .

١٣٠ – في ١٨٦٩ و ١٨٧٠ ، عمل انجلس على كتابة بحث كبير في تاريخ ارلنده ، ولكنه لم ينجزه . ولمناسبة دراسة تاريخ السلت درس انجلس قوانين ويلس القديمة ايضاً . – ص ١٧٣ .

١٣١ – يستشهد انجلس بكتاب : "Ancient Laws and Institutes of Wales" Vol. I. 1841, p. 93. (« القوانين والمؤسسات القديمة في ويلس » . المجلد الاول ، عام ١٨٤١ ، ص ٩٣) . – ص ١٧٤ .

www.kassioun.org

١٣٢ – في ايلول (سبتمبر) ١٨٩١ قام انجلس برحلة الى اسكتلنده وارلنده . – ص ١٧٦ .

١٣٣ – في ١٧٤٥ و١٧٤٦ ، قامت الكلانات (العشائر) الجبلية في اسكتلنده بانتفاضة ضد عمليات التضييق وانتزاع الاراضي ، التي كانت تجري في مصلحة الاريستقراطية العقارية الانجلو ـ اسكتلندية وفي مصلحة البرجوازية الانجلو ـ اسكتلندية . قاتل الجبليون من اجل الاحتفاظ بالتنظيم العشائري القديم . الا ان قسماً من نبلاء اسكتلنده الجبلية ممن لهم مصلحة في الحفاظ على النظام الكلاني البطريركي الاقطاعي استغل استياء الجبليين واعلن ان هدف الانتفاضة هو اعادة سلالة ستيوارت الى العرش الانجليزي . في البدء ، احرز جيش المنتفضين نجاحات قصيرة الاجل ، ولكنه هزم في نهاية المطاف . بعد قمع الانتفاضة ، قضي على النظام العشائري في اسكتلنده الجبلية ، وتمت تصفية بقايا الملكية العشائرية للارض . واشتدت وتسارعت عملية طرد الفلاحين الاسكتلنديين من الاراضي ، والغيت المحاكم العشائرية ، ومنعت بعض العادات العشائرية . – ص ١٧٦ .

١٣٤ – L. H. Morgan. "Ancient Society". 1877, p. 357, 358. – ص ١٧٧ .

١٣٥ – Beda Venerabilis "Historia ecclesiastica gentis Anglorum". (بيدا الملقب بالبار . « تاريخ الانجليز الكنسي » . الكتاب الاول ، الفصل الاول . – ص ١٧٧ .

١٣٦ – يوليوس قيصر . « مذكرات عن حرب الغال » . الكتاب السادس . الفصل الثاني والعشرون . – ص ١٧٨ .

١٣٧ – « الحق الالماني » ، مجموعة من قوانين العرف والعادة عند حلف الالمان القبلي الجرماني الذي كان يشغل منذ القرن الخامس اراضي (alamans) الالزاس وسويسرا الشرقية والمانيا الجنوبية الغربية حاليا . تعود المجموعة الى اواخر القرن السادس وبداية القرن السابع والى القرن الثامن . وهنا يستشهد انجلس بالقانون ٨١ (٨٤) من « الحق الالماني ». – ص ١٧٨ .

١٣٨ – المقصود هنا مؤلفا كوفاليفسكي . « الحق البدائي . الطبعة الاولى . العشيرة » موسكو ، ١٨٦٦ ومؤلف "Tableau des origines et de l'évolu-

www.kassioun.org

ص — tion de la famille et de la propriété". Stockholm, 1890.
. ١٧٨

١٣٩ — « نشيد هيلديبراند » ، قصيدة بطولية ، اثر من الشعر الملحمي الالماني القديم من القرن الثامن ؛ بقيت منها مقاطع . — ص ١٧٩ .

١٤٠ — تاقيطس . « جرمانيا » . الفصل السابع . — ص ١٨٠ .

١٤١ — ديودوروس الصيقلي . « المكتبة التأريخية » . الكتاب الرابع . الفصل الرابع والثلاثون ، صص ٤٣ — ٤٤ . — ص ١٨١ .

١٤٢ — « Völuspâ » (« رؤيا النبية ») — نشيد من « ايدا الكبرى » (راجعوا الملاحظة رقم ٢٨) . — ص ١٨١ .

١٤٣ — المقصود هنا المؤلفان التاليان : A. Ch. Bang. "Völuspâ og de sibyllinske orakler". 1879 (أ . ك . بانغ . « رؤيا النبية وتكهنات المرافة » ، ١٨٧٩) ؛ S. Bugge. "Studier over de nordiske Gude — og Heltesagns Oprindelse". Kristiania, 1881-1889 (س . بوغه . « لمحات في مسألة اصل الساغات السكاندينافية عن الآلهة والابطال » . كريستيانيا ، ١٨٨١ — ١٨٨٩) . — ص ١٨١ .

١٤٤ — G. L. Maurer. "Geschichte der Städteverfassung in Deutschland". Bd. I, Erlangen, 1869. — ص ١٨٢ .

١٤٥ — انتفاضة القبائل الجرمانية والغالية بقيادة زيفيليس ضد السيادة الرومانية بسبب تزايد الاتاوات ، واستفحال عمليات التجنيد في الجيش ، واستهتار الموظفين الرومانيين جرت في ٦٩ — ٧٠ (في ٦٩ — ٧١ ، كما يقول بعض المصادر الاخرى) . شملت الانتفاضة قسماً كبيراً من بلاد الغال والمقاطعات الجرمانية الخاضعة لروما ، وهددت روما بخطر خسارة هذه الاراضي . بعد النجاحات في البدء ، مني المنتفضون ببضع هزائم واضطروا الى عقد الصلح مع روما . — ص ١٨٣ .

١٤٦ — يوليوس قيصر . « مذكرات عن حرب الغال » . الكتاب الرابع ، الفصل الاول . — ص ١٨٤ .

١٤٧ — تاقيطس . « جرمانيا » . الفصل السادس والعشرون . — ص ١٨٥ .

www.kassioun.org

١٤٨ – "Codex Laureshamensis" («سجلات لورش»)، مجموعة من نسخ امتيازات دير لورش ومن شهادات الهبات له . تأسس الدير في النصف الثاني من القرن الثامن في دولة الافرنج ، غير بعيد عن مدينة ورمس وكان عبارة عن ملكية اقطاعية كبيرة في المانيا الجنوبية الغربية . تم جمع المجموعة في القرن الثاني عشر ، وهي من اهم المصادر في تاريخ ملكية الارض الفلاحية والاقطاعية في القرنين الثامن والتاسع . – ص ١٨٧ .

١٤٩ – بلينوس . « التاريخ الطبيعي في ٣٧ كتاباً » . الكتاب الثامن عشر ، الفصل السابع عشر . – ص ١٨٨ .

١٥٠ – بلينوس . « التاريخ الطبيعي في ٣٧ كتاباً » . الكتاب الرابع ، الفصل الرابع عشر . – ص ١٩٣ .

١٥١ – ليوتبراند من كريمونا « الثواب والعقاب » . الكتاب السادس ، الفصل السادس . – ص ١٩٨ .

١٥٢ – سلفيان من مرسيليا . "De gubernatione dei" (« في حكم الاله ». الكتاب الخامس ، الفصل الثامن) . – ص ١٩٩ .

١٥٣ – Bénéfice (من اللاتينية bēnēficium وتعني : عمل خير ، منحة ، هبة ، احسان) ، شكل من وهب الاراضي انتشر واسع الانتشار في دولة الافرنج في النصف الاول من القرن الثامن . كانت قطعة الارض المنقولة الى الغير بشكل هبة bénéfice تنتقل مع الفلاحين الاقنان العائشين فيها الى الموهوب (bénéficiaire) لأجل التمتع بها مدى الحياة ، شرط ان يقوم بخدمات معينة ، هي في اغلب الاحيان خدمات عسكرية . في حال وفاة الواهب او الموهوب ، وكذلك في حال عدم قيام الموهوب بالتزاماته واهماله استثمارته ، كان ينبغي اعادة الهبة الى الواهب او الى ورثته ؛ وكان تجديد علاقات الهبة يقتضي تجديد عملية الهبة . ولم تكن السلطة الملكية وحدها تلجأ الى توزيع الهبات ، بل ايضاً الكنيسة وكبار ذوي النفوذ . أسهم نظام الهبة في تكوين طبقة الاقطاعيين ، ولا سيما منهم النبلاء الصغار والمتوسطين ، وفي تحويل جماهير الفلاحين الى اقنان ، وفي تطوير علاقات التبعية الاقطاعية وتسلسل المراتب الاقطاعي . فيما بعد اخذت الهبات bénéfices تتحول الى اقطاعات وراثية .

www.kassioun.org

وقد كشف انجلس في مؤلفه « عهد الافرنج » دور نظام الهبة في تاريخ تكوين الاقطاعية . — ص ٢٠٢ .

١٥٤ — كونتات الدوائر (Gaugrafen) ، في دولة الافرنج موظفون ملكيون معينون على رأس الدوائر او الكونتيات . كانوا يتمتعون بالسلطة القضائية ويحصلون الضرائب ويشرفون على القوات المسلحة ويقودونها ابان الحملات . لقاء خدماتهم ، كانوا يتقاضون ثلث الايرادات الملكية في الدائرة المعنية ، ويكافأون بقطع من الارض . فيما بعد اخذ الكونتات يتحولون بالتدريج من موظفين يعينهم الملك الى اسياد اقطاعيين كبار يملكون السلطة المطلقة ولا سيما بعد عام ٨٧٧ ، اي بعد ان اقر رسمياً نقل وظيفة الكونت بالوراثة . — ص ٢٠٣ .

١٥٥ — المقصود هنا بوليبتيك (وصف للملكيات العقارية والسكان والايرادات) دير سان جرمان دي بري ، المعروف باسم « بوليبتيك رئيس الدير ارمينون » . يورد انجلس المعطيات من البوليبتيك ، على ما يبدو ، من كتاب P. Roth. "Geschichte des Beneficialwesens von den ältesten Zeiten bis ins zehnte Jahrhundert". Erlangen, 1850, S. 378. (ب. روت . « تاريخ نظام الهبة منذ الازمنة القديمة حتى القرن العاشر » . ارلنغن ، ١٨٥٠ ، ص ٣٧٨) . — ص ٢٠٣ .

١٥٦ — الانغاري angarie ، اتاوات كانت مفروضة في الامبراطورية الرومانية على السكان وتلزمهم بتقديم الخيل والحمالين لاجل خدمة النقليات الحكومية . فيما بعد ، اكتسبت هذه الاتاوات طابعاً اوسع وصارت عبئاً مرهقاً على السكان . — ص ٢٠٤ .

١٥٧ — العهدة Commende (من اللاتينية Commendare عهد ، اوكل) ، شكل من الاشكال المنتشرة في اوروبا ابتداء من القرنين الثامن والتاسع لانتقال الفلاحين الى ما تحت « حماية » (« عهدة ») الاقطاعيين ، او لانتقال الاقطاعيين الصغار الى ما تحت « حماية » (« عهدة ») الاقطاعيين الكبار بشروط معينة (مثلا ، تأدية الخدمة العسكرية وغيرها من الخدمات في مصلحة « الحامي » ، تسليم العاهد ارضه وحصوله عليها من جديد بصورة وضع يد مشروط) . كانت العهدة تعني بالنسبة للفلاحين الذين كانوا يكرهونهم بالقوة في كثير من

www.kassioun.org

الاحيان على هذا العمل ، فقدان الحرية الشخصية ، وتعني بالنسبة للاقطاعيين الصغار الدخول في علاقات تبعية حيال الاقطاعيين الكبار ، فأسهمت بالتالي من جهة في تحويل الفلاحين الى اقنان ، ومن جهة اخرى في توطيد نظام المراتب الاقطاعي . — ص ٢٠٦ .

١٥٨ — Ch. Fourier. "Théorie des quatre mouvementes et des destinées générales", 3-me éd., Oeuvres complètes, t. I, Paris, 1846, p. 220. (شارل فوريه. «نظرية الحركات الاربع والمصائر العامة». الطبعة الثالثة. المؤلفات الكاملة . المجلد الاول ، باريس ، ١٨٤٦ ، ص ٢٢٠) . صدرت الطبعة الاولى من هذا المؤلف تحت اسم مغفل في مدينة ليون عام ١٨٠٨ . — ص ٢٠٧ .

١٥٩ — « نشيد هيلديبراند » . راجعوا الملاحظة رقم ١٣٩ . — ص ١٧٩ . في عام ١٠٦٦ دارت في هاستينغس رحى معركة بين قوات غليوم دوق نورمنديا التي اقتحمت انجلترا ، وبين الانجلو ساكسونيين . كانت القوات الانجلو ـ ساكسونية لا تزال تحتفظ في تنظيمها العسكري برواسب النظام المشاعي وكانت اسلحتها بدائية ، فمنيت بالهزيمة ، وقتل ملكها هارولد في المعركة . واصبح غليوم ملك انجلترا باسم غليوم الاول الفاتح . — ص ٢١٥ .

١٦٠ — كارل ماركس . « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » . — ص ٢١٧ .

١٦١ — ديتمارشن ، مقاطعة في القسم الجنوبي الغربي من شليسفيغ ـ غولشتين الحالية . فيما مضى ، سكنها الساكسون ؛ في القرن الثامن استولى عليها شارلمان الكبير ؛ فيما بعد ، صارت في ملكية مختلف الاقطاعيين الدينيين والدنيويين . منذ اواسط القرن الثاني عشر ، اخذ سكان ديتمارشن الذين كانت الهيمنة بينهم للفلاحين الاحرار ، ينالون الاستقلال تدريجياً ، ثم تمتعوا عملياً بالاستقلال منذ مستهل القرن الثالث عشر حتى اواسط القرن السادس عشر صادين بنجاح المحاولات التي قام بها ملوك الدانمارك ودوقات غولشتين غير مرة لاخضاع هذه المنطقة . وسار التطور الاجتماعي في ديتمارشن بنحو اصيل جداً : فان طبقة النبلاء المحلية القديمة قد زالت عملياً نحو القرن الثالث عشر ؛ وفي مرحلة الاستقلال ، كانت ديتمارشن عبارة عن مجموعة من المشاعات الفلاحية

www.kassioun.org

ذات الحكم الذاتي اساسها في كثير من الحالات العشائر الفلاحية القديمة . حتى القرن الرابع عشر ، كانت السلطة العليا في ديتمارشن تعود الى جمعية جميع ملاكي الاراضي الاحرار ، ثم انتقلت الى ثلاث هيئات منتخبة . في عام ١٥٥٩ ، حطمت قوات الملك الدانماركي فريدريك الثاني والدوقين الغولشتينيين يوهان وادولف مقاومة سكان ديتمارشن ، وتقاسم المنتصرون المقاطعة . ولكن نظام المشاعات والحكم الذاتي الجزئي ظلا قائمين في ديتمارشن حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر . — ص ٢٢٤ .

١٦٢ — G. W.F. Hegel. "Grundlinien der Philosophie des Rechts". §§ 257, 360 (هيغل . « اسس فلسفة الحق » . الفقرة ٢٥٧ و٣٦٠) . صدرت الطبعة الاولى من هذا المؤلف في برلين عام ١٨٢١ . — ص ٢٢٤ .

١٦٣ — F. Lassalle. "Das System der erworbenen Rechte". Th. II. "Das Wesen des Römischen und Germanischen Erbrechts in historisch-philosophischer Entwickelung". (فرديناند لاسال . « نظام الحقوق المكتسبة » . القسم الثاني . « كنه الحق الوراثي الروماني والجرماني في التطور الفلسفي التاريخي ») ؛ صدرت الطبعة الاولى من هذا المؤلف في ليبزيغ عام ١٨٦١ . — ص ٢٣٣ .

١٦٤ — المقطع المذكور يورده ماركس جزئياً في مؤلفه « ملخص كتاب لويس هـ . مورغان « المجتمع القديم » » . — ص ٢٣٦ .

www.kassioun.org

www.kassioun.org

دليل الاسماء

ابيوس كلوديوس (توفي حوالي ٤٤٨ ق . م .)ـ رجل دولة روماني ، قنصل (عام ٤٧١ ، عام ٤٥١) احد اعضاء لجنة القضـــاة العشر (٤٥١ـ٤٥٠) التي اصدرت قوانين الالواح الاثني عشر ؛ سعى وراء السلطة الديكتاتورية .ـ ص ١٥٩ .

ارتحششتا ـ اسم ثلاثة من ملوك فارس من سلالة الاحمينيديين . ارتحششتا الاول (حكم من حوالي عام ٤٦٥ الى حوالي عام ٤٢٥ ق . م .) ، ارتحششتا الثاني (حكم من حوالي ٤٠٥ الى حوالي ٣٥٩ ق . م .) ، ارتحششتـــا الثالث (حكـــم من حوالي ٣٥٩ الى حوالي ٣٣٨ ق . م .) .ـ ص ١٦٧ .

ارستوفانس (حوالي ٤٤٦ـ حوالي ٣٨٥ ق . م .)ـ مؤلف مسرحي في اليونان القديمة . وضع مسرحيات هزلية سياسية .ـ ص ٨٠ .

ارسطو (٣٨٤ـ٣٢٢ ق . م .) فيلسوف وعالم يوناني قديم تشمل مؤلفاته المعارف المتوفرة في زمنه جميعها تقريبا . تارجح في الفلسفة بين المادية والمثالية .ـ ص ١٤٠ .

اريستون (القرن الســـادس ق . م .)ـ ملك اسبرطـــة (٥٧٤ـ٥٢٠ ق . م .) ، شارك انكسندريداس في الحكم .ـ ص ٧٩ .

اريستيدس (حوالي ٥٤٠ـ٤٦٧ ق . م .) سياسي وقائد عسكري ؛ ممثل الاريستقراطيين مالكي العبيد في آثينا .ـ ص ١٥١ .

www.kassioun.org

اسخيلوس (٥٢٥ـ٤٥٦ ق . م .) ـ مؤلف مسرحي يوناني قديم بارز . له مسرحيات ماساوية كلاسيكية . ـ ص ص ٩ ، ٧٨ ، ١٣٦ .

اغاسيس (Agassiz) لويس جان رودولف (١٨٠٧ـ١٨٧٣) ـ عالم طبيعيات سويسري . رحالة . ابتداء من عام ١٨٤٦ ، عاش في الولايات المتحدة الاميركية ؛ في مفاهيمه عن العلوم الطبيعية ، تمسك بنظرات في منتهى الرجعية . ـ ص ٦٣ .

الاسكندر ذو القرنين (٣٥٦ـ٣٢٣ ق . م .) ـ قائد عسكري شهير ورجل دولة في العالم القديم . ـ ص ٧٤ .

اميان مرسيللان (حوالي ٣٣٢ـحوالي ٤٠٠) ـ مؤرخ روماني . واضع كتاب «التاريخ» ، الذي يشمل تاريخ روما من عام ٩٦ الى عام ٣٧٨ . ـ ص ٨٧ ، ١٢٠ .

اناكريونت (النصف الثاني من القرن السادس ق . م .) ـ شاعر غنائي في اليونان القديمة . ـ ص ٩٧ .

انجلس فريدريك (١٨٢٠ـ١٨٩٥) . ص ص ٣ـ٥ ، ٨٢ ، ٢٣٦ .

انكسندريداس (القرن السادس ق . م .) ـ ملك اسبرطة ، حكم ابتداء من عام ٥٦٠ ق . م . ، شارك اريستون في الحكم . ـ ص ٧٩ .

اودواكر (حوالي ٤٣٤ـ٤٩٣) ـ احد قادة القبائل الجرمانية في خدمة اباطرة الرومان الغربيين . في عام ٤٧٦ خلع امبراطور روما روملوس اوغسطولوس ، واصبح ملك اول مملكة «بربرية» في اراضي ايطاليا . ـ ص ١٩١ .

اوريبيدس (حوالي ٤٨٠ـحوالي ٤٠٦ ق . م .) ـ مؤلف مسرحي بارز في اليونان القديمة . مؤلف مسرحيات ماساوية كلاسيكية . ـ ص ٨٠ .

اوغسطوس (٦٣ ق . م . ـ ١٤ م .) ـ امبراطور روماني (٢٧ ق . م . ـ ١٤ م .) . ـ ص ص ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٩٣ .

www.kassioun.org

اولفيلا (فلفيلا) (حوالي ٣١١ـ٣٨٣) ـ قائد ديني وسياسي من القوط الغربيين ، اسقف ؛ ادخل القوط في الدين المسيحي . اسس الابجدية القوطية . ترجم الكتاب المقدس الى اللغة القوطية . ـ ص ١٦٧ .

ايرمينون (Irminon) (توفي حوالي ٨٢٦) ـ رئيس دير سان ـ جرمان ـ دي بري (٨١٢ـ٨١٧) . ـ ص ٢٠٣ .

ايسبيناس (Espinas) الفرد فكتور (١٨٤٤ـ١٩٢٢) ـ فيلسوف وعالم اجتماعي فرنسي برجوازي . نصير نظرية التطور . ـ ص ص ٣٨ـ٣٩ .

بانغ (Bang) انطون كريستيان (١٨٤٠ـ١٩١٣) ـ لاهوتي نروجي . وضع ابحاثا في الميثولوجية السكاندينافية وفي تاريخ المسيحية في النروج . ـ ص ١٨١ .

بانكروفت (Bancroft) ، هيوبرت هاو (١٨٣٢ـ١٩١٨) ـ مؤرخ اميركي . وضع ابحاثا في التاريخ والاتنوغرافيا لاميركا الشمالية والوسطى . ـ ص ص ٤٢ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٢١٠ .

باهوفن (Bachofen) يوهان يعقوب (١٨١٥ـ١٨٨٧) ـ مؤرخ وحقوقي سويسري . صاحب كتاب «حق الام» . ـ ص ص ٦ ، ٨ـ١٢ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٠ ، ١٠٥ .

برسيوس (٢١٢ـ١٦٦ ق . م .) ـ ملك مقدونيا الاخير (١٧٩ـ١٦٨ ق . م . مع انقطاعات) . ـ ص ١٩٣ .

بروكوبيوس من قيصرية (اواخر القرن الخامس ـ حوالي ٥٦٢) . مؤرخ بيزنطي . اشترك في جملة من الحملات الحربية التي وصفها في مؤلفه من ٨ كتب «تاريخ حروب يوسطينيانوس ضد الفرس والفندال والقوط» . ـ ص ٨٧ .

بلوتارك (حوالي ٤٦ـ حوالي ١٢٥) . كاتب اخلاقي يوناني قديم . مؤلف كتاب «سير الحياة المقارنة» عن القادة اليونانيين والرومانيين البارزين بقي منها ٥٠ سيرة حياة . يحتوي الكتاب مادة تاريخية كبيرة . ـ ص ٧٩ .

www.kassioun.org

بايخرودر (Bleichröder) غرسون (١٨٢٢ـ١٨٩٣) ـ مالي الماني . رئيس (مدير) مصرف كبير في برلين . المصرفي الشخصي لبيسمارك ، ومستشاره غير الرسمي في الشؤون المالية ووسيطه في مختلف المضاربات . ـ ص ٢٢٩ .

بلينوس (غاي بلينوس سيكوند) (٢٣ـ٧٩) ـ عالم روماني في الطبيعيات . مؤلف «التاريخ الطبيعي» في ٣٧ كتاباً . ـ ص ١٨٨ ، ١٩٣ .

بوغه (Bugge) ايلزيوس صوفوس (١٨٣٣ـ١٩٠٧) ـ عالم لغوي نروجي ، استاذ بمدينة كريستيانيا (اوسلو) . وضع دراسات في الادب السكانديناني القديم والميثولوجيا السكاندينافية . ـ ص ١٨١ .

بيدا الملقب بالبار (حوالي ٦٧٣ـ٧٣٥) ـ عالم وراهب انجلوساكسوني ، لاهوتي ومؤرخ . ـ ص ١٧٧ .

بيسمارك (Bismarck) اوتو (١٨١٥ـ١٨٩٨) . رجل دولة بروسي . مستشار الامبراطورية الالمانية (١٨٧١ـ١٨٩٠) . وحّد المانيا بالعنف تحت زعامة بروسيا . ـ ص ص ٧٩ ، ٢٢٩ .

بيسيستراتس (حوالي ٦٠٠ـ٥٢٧ ق . م .) طاغية اثينة (٥٦٠ـ٥٢٧ ق . م . مع انقطاعات) . ـ ص ١٥٦ .

بيكر (Becker) ولهلم ادولف (١٧٩٦ـ١٨٤٦) . مؤرخ الماني . بروفسور في جامعة ليبزيغ . وضع ابحاثاً في التاريخ القديم . ـ ص ١٣٠ .

تاقيطس (بوبليوس كورنيليوس تاقيطس) (حوالي ٥٥ ـ حوالي ١٢٠) ـ مؤرخ روماني كبير جداً . مؤلف «جرمانيا» و «التواريخ» و «الحوليات» . ـ ص ص ٥ ، ١٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٨٦ ، ١٢٠ ، ١٨٠ ، ١٨٢ـ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٢ .

تايلور (Tylor) ادوارد برنيت (١٨٣٢ـ١٩١٧) عالم انتروبولوجي بريطاني . مؤرخ في ميدان الثقافة البدائية . ـ ص ٨ .

تركوينوس المتكبر (٥٣٤ـحوالي ٥٠٩ ق . م .) ـ ملك شبه اسطوري (الملك الاخير ، السابع) في روما القديمة . تقول الحكايات انه طرد

www.kassioun.org

من روما بنتيجة انتفاضة شعبية قضي بعدها على السلطة الملكيـــة واقيم النظام الجمهوري .ـ ص ص ١٦٨ ، ١٧١ .

تيباريوس (٤٢ ق . م .ـ٣٧ م .) ـ امبراطور روماني (١٤ـ٣٧) .ـ ص ١٦٧ .

تيودوريخ اسم ثلاثة ملوك من القوط : ملكا القوط الغربيين ـ تيودوريـــخ الاول (حكم من عام ٤١٨ تقريباً الى عام ٤٥١) وتيودوريخ الثاني (حكم من عام ٤٥٣ تقريبا الى عام ٤٦٦) وملك القوط الشرقيين تيودوريخ (حكم من عام ٤٧٤ الى عام ٥٢٦) .ـ ص ١٦٧ .

ثوقيديدس (حوالي ٤٦٠ـ حوالي ٣٩٥ ق . م .) ـ من المؤرخين اليونانيين القدامى . مؤلف «تاريخ حرب البيلوبونيز» .ـ ص ١٤٠ .

ثيوكريتوس ـ شاعر يوناني قديم من القرن الثالث ق . م. ـ ص ٩٧ .

جيرو ـ طولون (Giraud-Teulon) الكسيس (ولد في ١٨٣٩) ـ بروفسور في التاريخ في جينيف .ـ ص ص ١٩ ، ٢٢ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٧٧ .

داروين (Darwin) تشارلز روبرت (١٨٠٩ـ١٨٨٢) بيولوجـــي مادي انجليزي . مؤسس النظرية العلمية في تطور العالم العضوي .ـ ص ٢٠ .

دورو دي لا مال (Dureau de La Malle) ادولف جول سيزار اوغســـت (١٧٧٧ـ١٨٥٧) ـ شاعر ومؤرخ فرنسي .ـ ص ١٧٠ .

ديكيارخ (القرن الرابع ق . م .) ـ عالم يوناني قديم . تلميذ ارسطـــو . مؤلف جملة من البحوث التاريخية والسياسية والفلسفية والجغرافية وغيرها .ـ ص ١٣٠ .

ديموستينس (٣٨٤ـ٣٢٢ ق . م .) ـ خطيب بـــارز وقائد سياسي في اليونان القديمة . زعيم الحزب المعادي لمقدونيا في آثينا . نصير ديموقراطية مالكي العبيد .ـ ص ١٢٩ .

ديودوروس الصيقلي (حوالي ٨٠ـ٢٩ ق . م .) ـ مؤرخ يوناني قديم . مؤلف بحث في التاريخ العالمي اسمه «المكتبـــة التاريخية» .ـ ص ص ١٨٠ ، ١٩٢ .

www.kassioun.org

ديونيسيوس الهاليكارناسي (القرن الاول ق . م .ـ القرن الاول م .)ـ مؤرخ وعالم بيان يوناني قديم . مؤلف كتاب «تاريخ روما القديم» .ـ ص ١٣٦ .

رافه هنري ـ صحفي فرنسي . مترجم اعمال انجلس الى الفرنسية .ـ ص ٧ .

رايت (Wright) اشير (١٨٠٣ـ١٨٧٥) ـ مرسل اميركي . من ١٨٣١ الى ١٨٧٥ عاش بين الهنود الحمر من قبيلة سينيكا . وضع قاموساً بلغتهم .ـ ص ٦٠ .

زوغنهيم (Sugenheim) صموئيل (١٨١١ـ١٨٧٧) ـ مؤرخ الماني .ـ ص ٦٥ .

زيفيليس يوليوس (القرن الاول) ـ زعيم قبيلة الباتافيين الجرمانية . ترأس انتفاضة القبائل الجرمانية والغالية ضد السيادة الرومانية (٦٩ـ٧٠ او ٦٩ـ٧١) .ـ ص ١٨٣ .

سرفيوس توليوس (٥٧٨ـ٥٣٤ ق . م .) ـ ملك شبه اسطوري في روما القديمة .ـ ص ١٦٩ .

سكوت (Scott) ولتر (١٧٧١ـ١٨٣٢) . كاتب انجليزي . مؤسس الرواية التاريخية في الادب الاوروبي الغربي . اسكتلندي الاصل .ـ ص ١٧٧.

سلفيان (حوالي ٣٩٠ـ حوالي ٤٨٤) ـ واعظ وكاتب مسيحي ، كاهن في مرسيليا ، مؤلف كتاب «في حكم الاله» .ـ ص ١٩٩ ، ٢٠٤ .

سوريتا (Zurita) الونسو ـ موظف اسباني استعماري في اميركا الوسطى في اواسط القرن السادس عشر .ـ ص ٧٥ .

سوسور (Saussure) هنري (١٨٢٩ـ١٩٠٥) ـ عالم حيواني سويسري .ـ ص ٣٨ .

سولون (حوالي ٦٣٨ـ حوالي ٥٥٨ ق . م .) ـ مشرّع اثيني ، بتأثير الجماهير الشعبية ، اجرى جملة من الاصلاحات موجهة ضد الاريستقراطية العشائرية .ـ ص ص ١٣٢ ، ١٤٤ ، ١٤٩ـ١٥٠ .

www.kassioun.org

شرلمان الكبير (حوالي ٧٤٢ـ٨١٤) ـ ملك الافرنج (٧٦٨ـ٨٠٠) وامبراطور (٨٠٠ـ٨١٤) . ـ ص ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

شومان (Schömann) غيورغ فريدريك (١٧٩٣ـ١٨٧٩) ـ عالم لغوي ومؤرخ الماني . مؤلف عدد من الابحاث في تاريخ اليونان القديمة . ـ ص ص ٧٩ ، ١٣٦ .

غايوس (القرن الثاني) ـ حقوقي روماني . مصنف بارز للقوانين الرومانية . ـ ص ٧٢ .

غروت (Grote) جورج (١٧٩٤ـ١٨٧١ـ مؤرخ انجليزي مؤلف كتاب من عدة مجلدات اسمه «تاريخ اليونان» . ـ ص ص ١٢٩ـ١٣٤ .

غريم (Grimm) يعقوب (١٧٨٥ـ١٨٦٣) ـ عالم لغوي ومؤرخ ثقافي الماني . صاحب جملة من البحوث في تاريخ اللغة الالمانية والحق والميثولوجيا والادب في المانيا . ـ ص ١٧٩ .

غريغوريوس التوري (غيورغي فلورنسي) (حوالي ٥٤٠ ـ حوالي ٥٩٤) ـ كاهن مسيحي . لاهوتي ومؤرخ . ابتداء من ٥٧٣ اسقف مدينة تور (فرنسا) . صاحب «تاريخ الافرنج» وكتاب «سبعة كتب عن العجائب» . ـ ص ١٨٤ .

غلادستون (Gladstone) وليام يوارت (١٨٠٩ـ١٨٩٨) ـ رجل دولة بريطاني . في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، احد زعماء الحزب الليبيرالي (حزب الاحرار) ، رئيس وزارة (١٨٦٨ـ١٨٧٤ ، ١٨٨٠ـ ١٨٨٥ ، ١٨٨٦ ، ١٨٩٢ـ١٨٩٤) . ـ ص ١٣٧ .

غوته (Goethe) يوهان ولفغانغ (١٧٤٩ـ١٨٣٢) ـ كاتب الماني كبير . اشتهر كذلك باعماله في ميدان علوم الطبيعة . ـ ص ٤٥ .

فابيوس ـ عشيرة رومانية من الخواص (الاشراف patriciens) . ـ ص ١٦٥ .

فار (بوبلي كوينتيلي فار) (حوالي ٥٣ ق . م . ـ ٩ م .) ـ سياسي وقائد عسكري روماني . حاكم الاقليم جرمانيا (٧ـ٩ م .) . قتل في معركة غاب توتوبورغ اثناء انتفاضة القبائل الجرمانية . ـ ص ١٥٨ .

www.kassioun.org

فاغنر (Wagner) ريخـــارد (١٨١٣ـ١٨٨٣) ـ موسيقـــار الماني . ـ ص ص ٤٤ـ٤٥ .

فاكسموت (Wachsmuth) ارنست ولهلم غوتليب (١٧٨٤ـ١٨٦٦) ـ مؤرخ الماني ، بروفسور في ليبزيغ . مؤلف جملة من البحوث في الازمنة القديمة وفي تاريخ اوروبا . ـ ص ٨٠ .

فايتس (Waitz) غيورغ (١٨١٣ـ١٨٨٦) ـ مؤرخ الماني . كتب جملة من البحوث في تاريخ المانيا في القرون الوسطى ، بروفسور في غوتنغن . ـ ص ١٨٦ .

فايسون (Fison) لوريمير (١٨٣٢ـ١٩٠٧) ـ اتنوغرافي بريطاني تخصص في دراسة سكان اوستراليا الاصليين . مرسل في جزر فيجي (١٨٦٣ـ ١٨٧١ ، ١٨٧٥ـ١٨٨٤) وفي اوستراليا (١٨٧١ـ١٨٧٥ ، ١٨٨٤ـ ١٨٨٨) . مؤلف عدد من البحوث عن القبائل الاوسترالية والفيجية . ابتداء من عام ١٨٧١ تعاون مـــع هاويـــت ، واشترك معـــه في كتابة بحثين هما «كاميلاروي وكورناي» و«قبيلة كورناي وعاداتها في زمن السلم والحرب» . ـ ص ص ٥٢ ، ٥٥ .

فرديناند الخامس الكاثوليكي (١٤٥٢ـ١٥١٦) ـ ملك (١٤٧٤ـ١٥٠٤) وحاكم (١٥٠٧ـ١٥١٦) قشتالة ، ملك اراغون باسم فرديناند الثاني (١٤٧٩ـ١٥١٦) . ص ٦٥ .

فريمان (Freeman) ادوارد اوهاستيس (١٨٢٣ـ١٨٩٢) ـ مؤرخ بريطاني . ليبيرالي . بروفسور في جامعة اوكسفورد . ـ ص ٥ .

فسترمارك (Westermarck) ادوارد الكسنـــدر (١٨٦٢ـ١٩٣٩) ـ عـــالم اتنوغرافي واجتماعي فنلندي . ـ ص ص ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٣ ، ٦٢ .

فوريـــه (Fourier) شارل (١٧٧٢ـ١٨٣٧) ـ اشتراكي طوبوي فرنسي . ـ ص ص ٢٢ ، ٩٠ ، ٢٠٧ ، ٢٣٥ .

فوستيل دي كولانج تومـــا ديني (١٨٣٠ـ١٨٨٩) مؤرخ فرنسي . مؤلف جملة من البحوث في تاريخ العالم القديم وفي تاريخ فرنسا في القرون الوسطى . ـ ص ١٣٤ .

www.kassioun.org

فيتسينيا هيسبالا ـ معتقة رومانية .ـ ١٦٢ .

فيليدا (القرن الاول) ـ كاهنة وعرافة من قبيلة البروكتر الجرمانية . اشتركت بنشاط في انتفاضة القبائل الجرمانية والغالية برعامة زيفيليس ضد السيادة الرومانية (٦٩ـ٧٠ او ٦٩ـ٧١) .ـ ص ١٨٣ .

قيصر (غايوس يوليوس قيصر) (حوالي ١٠٠ـ٤٤ ق.م.) ـ قائد عسكري روماني شهير . رجل دولة وكاتب . مؤلف كتاب «مذكرات عن حرب الغال» .ـ ص ص ١٧ ، ٣١ ، ٤٩ ، ١١٧ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٨٤ـ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٢ .

كاي (Kaye) جون وليام (١٨١٤ـ١٨٧٦) ـ موظف بريطاني في المستعمرات . مؤرخ ومؤلف عدد من البحوث في تاريخ واثنوغرافيا الهند وكذلك في تاريخ الحروب الاستعمارية البريطانية في افغانستان والهند .ـ ص ٥٠ .

كلوديوس ـ عشيرة رومانية من الخواص (الاشراف patriciens) .ـ ص ١٥٨ .

كليستين ـ سياسي اثيني ، اجرى في سنوات ٥١٠ـ٥٠٧ ق . م . اصلاحات ترمي الى تصفية بقايا النظام العشائري والى اقامة ديموقراطية مالكي العبيد في اثينا .ـ ص ١٥٢ـ١٥٣ .

كوفاليفسكي مكسيم مكسيموفيتش (١٨٥١ـ١٩١٦) .ـ عالم اجتماعي ، ومؤرخ ، واثنوغرافي ، وحقوقي روسي ؛ مؤلف عدد من البحوث في تاريخ النظام المشاعي البدائي .ـ ص ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨٥ ، ١٨٦ .

كوفيه (Cuvier) جورج (١٧٦٩ـ١٨٣٢) . عالم طبيعيات فرنسي . اشتهر باعماله في ميدان علم التشريح المقارن وعلم الاحاثة وعلم تصنيف الحيوانات . صاحب نظرية الكوارث ، وهي نظرية مثالية منافية للعلم .ـ ص ٣٥ .

كولانج دي ـ راجع فوستيل دي كولانج .

www.kassioun.org

كونوف (Cunow) هنريخ ولهلم كارل (١٨٦٢ـ١٩٣٦) ـ اشتراكي ديموقراطي الماني . مؤرخ . عالم اجتماعي واتنوغرافي . في سنوات العقدين التاسع والعاشر من القرن التاسع عشر ، التحق بالماركسيين ؛ فيما بعد ، محرف . ـ ص ٧٥ .

كوينتيليا ـ عشيرة رومانية من الخواص (الاشراف patricicns) . ـ ص ١٥٨ .

لاسال (Lassalle) فرديناند (١٨٢٥ـ١٨٦٤) ـ اشتراكي برجوازي صغير الماني . احد مؤسسي اتحاد العمال الالمان العام (١٨٦٣) . كانت لتاسيس الاتحاد اهمية ايجابية بالنسبة للحركة العمالية ، الا ان لاسال الذي انتخب رئيساً للاتحاد قاده في طريق الانتهازية . دعم سياسة توحيد المانيا «من فوق» بزعامة بروسيا . ـ ص ٢٣٣ .

لانغه (Lange) كريستيان كونراد لودفيغ (١٨٢٥ ـ ١٨٨٥) ـ عالم لغوي الماني . مؤلف عدد من البحوث في تاريخ روما القديمة . ـ ص ١٦٤ .

لوقيانوس (حوالي ١٢٠ ـ حوالي ١٨٠) ـ كاتب هجائي يوناني قديم . ملحد . ـ ص ٤٤ .

لونغ ـ كاتب يوناني قديم من اواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث . ـ ص ٩٧ .

ليبوك (Lubbock)جون (١٨٣٤ ـ ١٩١٣) ـ (ابتداء من عام ١٨٩٩ ـ اللورد افبيري) ـ عالم بيولوجي ، دارويني ؛ اتنولوجي واثري . ـ ص ص ١٦ ، ١٩ .

ليتام (Latham) روبرت غوردون (١٨١٢ـ١٨٨٨) ـ طبيب انجليزي . لغوي واتنوغرافي . مؤلف جملة من البحوث في الاتنوغرافيا المقارنة . ـ ص ١٤ .

ليتورنو (Letourneau) شارل جان ماري (١٨٣١ـ١٩٠٢) ـ عالم اجتماعي واتنوغرافي فرنسي . ـ ص ص ٣٧ـ٣٨ ، ٤٢ .

www.kassioun.org

ليفيوس تيطس (٥٩ ق.م. ـ ١٧ م.) ـ مؤرخ روماني . مؤلف «تاريخ روما منذ تاسيس المدينة» . ـ ص ص ١٦١ ، ١٦٤ ـ ١٦٥ .

ليوتبراند (حوالي ٩٢٢ ـ حوالي ٩٧٢) ـ زعيم سياسي كنسي ومؤرخ في القرون الوسطى . اصله لومباردي . ابتداء من عام ٩٦١ ، اسقف كريمونا (ايطاليا الشمالية) . مؤلف كتاب «الثواب والعقاب» . ـ ص ١٩٨ .

مارتينييتي باسكواله ـ اشتراكي ايطالي . ترجم اعمال ماركس وانجلس الى الايطالية . ـ ص ٧ .

ماركس (Marx) كارل (١٨١٨ ـ ١٨٨٣) ـ ص ص ٣ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٨٢ ، ٨٦ ، ١٣١ ـ ١٣٣ .

ماك ـ لينان (Mac-Lennan) جون فرغوسون (١٨٢٧ ـ ١٨٨١) ـ حقوقي ومؤرخ برجوازي اسكتلندي . مؤلف بحوث في تاريخ الزواج والعائلة . ـ ص ص ١٢ ـ ١٩ ، ٢١ ـ ٢٢ ، ٣٤ ، ٥٩ ، ٧٧ ، ١١١ ، ١٧٢ .

ماين (Maine) هنري جورج سامنر (١٨٢٢ ـ ١٨٨٨) ـ حقوقي بريطاني . مؤرخ في القانون . ـ ص ١٠١ .

مورغان (Morgan) لويس هنري (١٨١٨ ـ ١٨٨١) ـ اتنوغرافي اميركي . اثري ومؤرخ في ميدان المجتمع البدائي . مادي عفوي . ـ ص ص ٣ ـ ٧ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ـ ٢٤ ، ٢٦ ، ٣١ ـ ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٤٣ ، ٤٦ ـ ٤٧ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٨٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ـ ١١٠ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ـ ١٣٣ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ـ ١٦٥ ، ١٧٧ ، ١٨٤ ، ٢٠٨ ، ٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

موريير (Maurer) غيورغ لودفيغ (١٧٩٠ ـ ١٨٧٢) ـ مؤرخ الماني . درس النظام الاجتماعي في المانيا في الازمنة القديمة والقرون الوسطى . اسهم بقسط كبير في دراسة تاريخ المشاعة القروسطية ، المارك . ـ ص ص ١٢٤ ، ١٨٢ ، ١٨٦ .

موليير (Molière) جان باتيست (واسمه الحقيقي بوكلين) (١٦٢٢ ـ ١٦٧٣) ـ مؤلف مسرحي فرنسي . ـ ص ٢٢١ .

www.kassioun.org

مومزن (Mommsen) تيودور (١٨١٧ ــ ١٩٠٣) ــ مؤرخ الماني . مؤلف عدد من البحوث في تاريخ روما القديمة . ــ ص‌ص ١٣١ ، ١٦٠ ــ ١٦٣ ، ١٦٥ .

موسخوس ــ شاعر يوناني قديم من اواسط القرن الثاني ق.م. ــ ص ٩٧ .

نابليون الاول بونابرت (١٧٦٩ ــ ١٨٢١) ــ امبراطور فرنسا (١٨٠٤ ــ ١٨١٤ و١٨١٥) . ــ ص‌ص ٧٧ ، ٨٥ .

نيارخ (حوالي ٣٦٠ ــ حوالي ٣١٢ ق . م .) ــ قائد بحري مقدوني . مرافق ومشارك في حملات الاسكندر المقدوني . وضع وصفا لرحلة الاسطول المقدوني من الهند الى بلاد ما بين النهرين (٣٢٦ ــ ٣٢٤ ق.م.) . ــ ص ٧٤ .

نيبور (Niebuhr) برتولد غيورغ (١٧٧٦ــ١٨٣١) ــ مؤرخ الماني . مؤلف عدد من البحوث في تاريخ العالم القديم . ــ ص‌ص ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٦٦ ، ٢٢٤ .

نيديجده يون (١٨٥٤ــ١٩٢٨) ــ كاتب سياسي ومترجم روماني . اشتراكي-ديموقراطي . ابتداء من التسعينيات ، انتهازي . ــ ص ٧ .

هاويت (Howitt) الفرد وليام (١٨٣٠ــ١٩٠٨) ــ عالم بريطاني اتنوغرافي مختص في دراسة سكان اوستراليا الاصليين . موظف استعماري في اوستراليا (١٨٦٢ــ١٩٠١) . مؤلف عدد من البحوث عن القبائل الاوسترالية . ابتداء من عام ١٨٧١ تعاون مع لوريمر فايسون واشترك معه في كتابة بحثين هما «كاميلاروي وكورناي» و«قبيلة كورناري وعاداتها في زمن السلم والحرب» . ــ ص ٥٥ .

هوشكه (Huschke) غيورغ فيليب ادوارد (١٨٠١ــ١٨٨٦) ــ حقوقي الماني . مؤلف عدد من البحوث في الحق الروماني . ــ ص ١٦٤ .

هوميروس ــ شاعر ملحمي يوناني قديم نصف اسطوري . ناظم «الالياذة» و «الاوذيسة» . ــ ص‌ص ٣١ ، ٧٨ــ٧٩ ، ١٣٤ــ١٣٦ .

www.kassioun.org

هويسلـــر (Heusler) اندرياس (١٨٣٤ـ١٩٢١) ـ حقوقي برجـوازي سويسري ، بروفسور في بال . مؤلف عدد من البحوث في الحـــق السويسري والجرماني .ـ ص ٧٤ .

هيرودوتس (حوالي ٤٨٤ـ٤٢٥ ق . م .) ـ مؤرخ يونـاني قديـم .ـ ص ص ٥٠ ، ٨٠ .

هيرودوس (٧٣ـ٤ ق . م .) ـ ملـــك اليهوديـــة (٤٠ـ٤ ق . م .) .ـ ص ١٦٧ .

هيغل (Hegel) غيورغ ولهلم فريـدريك (١٧٧٠ـ١٨٣١) ـ اكبر ممثلي الفلسفة الكلاسيكية الالمانية . مثالي موضوعي . عرض الديالكتيك المثالي باوسع شكل .ـ ص ٢٢٤ .

وطسن (Watson) جون فوربس (١٨٢٧ـ١٨٩٢) ـ طبيب بريطاني . موظف في المستعمرات . من ١٨٥٨ الى ١٨٧٩ مدير متحف الهند في لندن . مؤلف عدد من البحوث عن الهند .ـ ص ٥٠ .

ولفرام فون ايشنباخ (حوالي ١١٧٠ ـ حوالي ١٢٢٠) ـ شاعر الماني .ـ ص ٨٨ .

ياروسلاف الحكيم (٩٧٨ـ١٠٥٤) ـ امير كييف الكبير (١٠١٩ـ١٠٥٤) . ـ ص ٧٤ .

يوليوس ـ عشيرة رومانية من الخواص (الاشراف patriciens) .ـ ١٧٨ .

www.kassioun.org

www.kassioun.org

الشخصيات الادبية والاسطورية

ابراهيم ـ حسب التوراة ، بطريرك اليهود القدماء . ـ ص ٦٧ .

ابولون ـ في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، اله الشمس والنور ، وحامي الفنون . ـ ص ص ١٠ ، ١١ .

اثينا بالادا ـ في الميثولوجيا الاغريقية ، الهة الحرب ومثال الحكمة . كانت تعتبر حامية دولة اثينا . ـ ص ص ١٠ .

اخيل ـ في الميثولوجيا الاغريقية ، اشجع الابطال اليونانيين الذين حاصروا طروادة . احد الابطال الرئيسيين في «الالياذة» من تاليف هوميروس . ـ ص ص ٧٨ ، ١٣٨ .

الارغونوط ـ في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، ابطال مضوا على متن المركب «ارغو» الى كولخيده سعياً وراء «الصوف الذهبي» الذي كان يحميه التنين . ـ ص ١٨١ .

اغممنون ـ في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، ملك اسطوري في ارغوس ؛ احد ابطال «الالياذة» ؛ قائد القوات اليونانية في حرب طروادة . لقي مصرعه على يد زوجته كليتمنسترا وعشيقها ايغيست . بطل ماساة بالاسم نفسه لاسخيلوس . ـ ص ص ٩ ، ٧٨ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ .

افروديت ـ في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، الهة الحب والجمال . ـ ص ٨٣ .

www.kassioun.org

الايرينيات ـ في الميثولوجيا الاغريقية ، الهات الثار . ويظهرن بصورة نساء على رؤوسهن حيات عوضا عن الشعر .ـ ص ص ١٠ ، ١١ .

الثيه ـ في الميثولوجيا اليونانيـــة القديمـــة ، ابنة الملك تستيوس ، ووالدة ميلياغر .ـ ص ١٨٠ .

انايتيس ـ اسم يوناني قديم لأناهيد ، الهة المياه والخصوبة في الميثولوجية الايرانية .ـ ص ص ٦٣ ، ٨٣ .

اوتا النروجية ـ بطلة ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطلة القصيدة الالمانية من القرن الثالث عشر «غودرون» .ـ ص ٩٩ .

اوذيس ـ بطل ملحمتي هوميروس «الالياذة» و «الاوذيســـة» ، ملـــك اسطوري لجزيرة ايتـــاك ، احد قادة القوات الاغريقيـــة ابان حرب طروادة ، تميز بالشجاعـــة والدهاء والفصاحـــة .ـ ص ص ١٣٨ ، ١٣٩ .

اوريست ـ في الميثولوجيا الاغريقية ، ابن اغممنون وكليتمنسترا ، انتقم من امه ومن ايغيست لقتلهمـــا والده ؛ بطل ثلاثيـــة اسخيلـــوس «اوريستية» .ـ ص ٩ .

ايتسل ـ بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة وكذلك بطل القصيدة الالمانية القروسطية «اغنية نيبيلونغ» . ملك الهون .ـ ص ٩٩ .

ايتيوكل ـ في الميثولوجيا الاغريقية ، ابن اوديب ، ملك ثيبه ؛ تقاسم مع اخيه بولينيك السلطة الملكية في ثيبه ؛ قتل اخاه ، وقتل في الصراع نفسه بيد اخيه . على هذه الاسطورة ، ارتكزت ماســـاة اسخيليوس «سبعة ضد ثيبه» .ـ ص ١٣٦ .

ايغيست او ايغيسف ـ في الميثولوجيـــا الاغريقيـــة ، عشيق كليتمنسترا ؛ شريك في اغتيال اغممنون ؛ بطل القسمين الاولين من ثلاثية اسخيلوس «اوريستية» .ـ ص ٩ .

ايفميه ـ احد ابطال ملحمة هوميروس «الاوذيسة» ؛ راعي خنازير اوذيس ، ملك جزيرة ايتاك ؛ ظل امينا لسيده خلال كل زمن اسفاره الطويلة . ـ ص ١٣٩ .

www.kassioun.org

برونهيلدا ـ بطلة ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطلة القصيدة الالمانية من القرون الوسطى «اغنية نيبيلونغ» ، ملكة ايسلندية ، ثم زوجة غونتر ملك البورغونديين . ـ ص ٩٩ .

بورياد ـ في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، ابناء اله الريح الشمالية بوري واوريتيا ، ابنة ملك اثينا . ـ ص ١٨١ .

بولينيك ـ في الميثولوجيا الاغريقية ، ابن اوديب ، ملك ثيبه ؛ تقاسم مع اخيه ايتيوكل السلطة الملكية في ثيبه ؛ قتل اخاه ، وقتل في الصراع نفسه بيد اخيه . على هذه الاسطورة ، ارتكزت ماساة اسخيلوس «سبعة ضد ثيبه» . ـ ص ١٣٦ .

تستيوس ـ في الميثولوجيا الاغريقية ، ملك بليفرون الاسطوري في ايتوليا . ـ ص ١٨٠ .

توكر ـ بطل ملحمة هوميرس «الالياذة» ؛ حارب في طروادة . ـ ص ٧٨ .

تيزوس ـ في الميثولوجيا الاغريقية ، واحد من اكبر الابطال ، وملك اسطوري لاثينا ؛ تنسب اليه تاسيس دولة اثينا . ـ ص ١٤٣ .

تيلامون ـ احد ابطال الميثولوجيا الاغريقية . اشترك في الزحف على طروادة . ـ ص ٧٨ .

تيليماك ـ بطل ملحمة هوميروس «الاوذيسة» ؛ ابن اوذيس ، ملك جزيرة ايتاك . ـ ص ٧٨ .

جورج داندن ـ الشخص الرئيسي في كوميديا موليير «جورج داندن او الزوج المخدوع» ، نموذج الفلاح الغني الساذج الذي يتزوج من اريستقراطية حل بها الخراب وتكذب عليه وتخدعه بمهارة . ـ ص ٢٢١ .

دفنيس ـ بطل رواية لونغ الاغريقية (القرن الثاني ـ القرن الثالث) «دفنيس وكلويا» . نموذج الراعي العاشق . ـ ص ٩٧ .

ديمودوكس ـ احد ابطال ملحمة هوميروس «الاوذيسة» ؛ مغن اعمى في قصر الكينوي ، ملك «الفياك» الاسطوري . ـ ص ١٣٩ .

www.kassioun.org

روموليوس ـ مؤسس روما القديمة الاسطوري واول ملوكها . ـ ص ١٥٩ .

زفس ـ الاله الاكبر في الميثولوجيا اليونانية القديمة . ـ ص ١٣٩ .

زيغفريد ـ احد الابطال الرئيسيين في ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك في القصيدة الالمانية من القرون الوسطى «اغنية نيبيلونغ» . ـ ص ٩٩ .

زيغفريد من مورلند ـ بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطل القصيدة الالمانية من القرن الثالث عشر «غودرون» . احد الخطيبين الذين رفضتهم غودرون . ـ ص ٩٩ .

زيغيبانت الارلندي ـ بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطل القصيدة الالمانية من القرن الثالث عشر «غودرون» ؛ ملك الارلنديين . ـ ص ٩٩ .

سيف ـ في الميثولوجيا السكاندينافية القديمة ، زوجة اله الرعد ثور ؛ احدى بطلات الملحمة الشعبية السكاندينافية القديمة «ايدّا الكبرى» . ـ ص ١٧٩ .

غانيميد ـ في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، فتى جميل خطفه الآلهة ونقلوه الى الاولمب حيث اصبح حبيب الاله زفس وساقيه . ـ ص ٨١ .

غودرون (كودرون) ـ البطلة الرئيسية في ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك في القصيدة الالمانية من القرن الثالث عشر «غودرون» ، ابنة هيتل ، ملك الهيغيلينغ وهيلدا الارلندية ، وخطيبه هرفيغ الزيلندي ؛ خطفها هارتموت الاورمني (النورمندي) ، فظلت اسيرة عنده مدة ١٣ سنة ، رافضة ان تتزوجه . حررها هرفيغ ، واصبحت زوجته . ـ ص ٩٩ .

غونتر ـ بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطل القصيدة الالمانية من القرون الوسطى «اغنية نيبيلونغ» ، ملك البورغونديين . ـ ص ٩٩ .

فريا ـ في الميثولوجيا السكاندينافية القديمة ، الهة الخصب والحب ؛ بطلة

www.kassioun.org

الملحمة الشعبية السكاندينافية القديمة «ايدا الكبرى» ؛ زوجة اخيها ، الاله فرير .ـ ص ٤٤ .

فيثيه ـ في الميثولوجيا الاغريقية ، نبي اعمى . بتحريض من زوجته الثانية ، عذب اولاده من زوجته الاولى كليوباطره ، ابنة بوري ، فعاقبته الآلهة .ـ ص ١٨١ .

كاسندرا ـ في الميثولوجيا اليونانية القديمة ، ابنة ملك طروادة بريام ؛ عرافة . بعد النصر على طروادة ، ساقها اغممنون كعبدة . احدى بطلات مسرحية اسخيلوس «اغممنون» .ـ ص ٧٨ .

كريمهيلدا ـ بطلة ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطلة القصيدة القروسطية الالمانية «اغنية نيبيلونغ» ؛ اخت ملك البورغوند غونتر ؛ خطيبة ثم زوجة زيغفريد ؛ بعد موته ، زوجة ملك الهون ايتسل .ـ ص ٩٩ .

كلويا ـ بطلة رواية لونغ الاغريقية (القرن الثاني ـ القرن الثالث) «دفنيس وكلويا» ؛ نموذج الراعية المحبة .ـ ص ٩٧ .

كليتمنسترا ـ في الميثولوجيا الاغريقية ، زوجة اغممنون ؛ قتلت زوجها بعد عودته من حرب طروادة ؛ بطلة ماساة اسخيلوس «اوريستية» . ـ ص ص ٩ ، ١٠ .

كليوباطره ـ في الميثولوجيا الاغريقية ، ابنة بوري ، اله الريح الشمالية . ـ ص ١٨١ .

لوكي ـ في الميثولوجيا السكاندينافية القديمة ، شيطان شرير ، واله النار ، وبطل الملحمة الشعبية السكاندينافية القديمة «ايدا الكبرى» .ـ ص ٤٤ .

موليوس ـ احدى شخصيات ملحمة هوميروس «الاوذيسة» ، مناد حربي . ـ ص ١٣٩ .

موسى ـ حسب التوراة ، نبي ومشترع ، حرر اليهود القدماء من الاسر المصري وسن لهم القوانين .ـ ص ص ٧ ، ٦٧ .

www.kassioun.org

ميفيستو ــ احد الاشخاص الرئيسيين في ماساة غوته «فاوست» . ــ ص ٤٤ .

ميلياغر ــ في الميثولوجيا الاغريقية ، ابن اينه ، الملك الاسطوري لمدينة كاليدون والشيه التي قتلت اخوة امها . ــ ص ١٨٠ .

ميليتا ــ الاسم الاغريقي لايشتار (عشتروت) الهة الحب والخصب في الميثولوجيا البابلية . ــ ص ٦٢ .

نسطور ــ في الميثولوجيا الاغريقية ، اعقل الابطال الاغريق الذين اشتركوا في حرب طروادة واكبرهم سنا . ــ ص ١٣٤ .

نيوردر ــ في الميثولوجيا السكاندينافية القديمة ، اله الخصب ، وبطل الملحمة الشعبية السكاندينافية القديمة «ايدا الكبرى» . ــ ص ٤٤ .

هادوبراند ــ احد ابطال الملحمة البطولية الجرمانية القديمة «نشيد هيلديبراند» ؛ ابن البطل الرئيسي في هذه الملحمة ، هيلديبراند . ــ ص ١٧٩ .

هارتموت ــ بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطل القصيدة الالمانية من القرن الثالث عشر «غودرون» ، ابن ملك اورمني (نورمندي) ؛ احد خطيبي غودرون المرفوضين . ــ ص ٩٩ .

هرفيغ ــ بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطل الملحمة الالمانية من القرن الثالث عشر «غودرون» ؛ ملك زيلندي ؛ خطيب ثم زوج غودرون . ــ ص ٩٩ .

هرقل ــ بطل واسع الشهرة في الاساطير الاغريقية القديمة ، معروف بقوته الخارقة ومآثره البطولية . ــ ص ١٨١ .

هيتل ــ بطل ملحمة شعبية جرمانية قديمة ، وكذلك بطل القصيدة الالمانية من القرن الثالث عشر «غودرون» ؛ ملك الهيغلينغ . ــ ص ٩٩ .

هيلدا ــ بطلة ملحمة شعبية جرمانية قديمة ؛ وكذلك بطلة القصيدة الالمانية من القرن الثالث عشر «غودرون» ؛ ابنة ملك الارلنديين ؛ صارت زوجة هيتل ، ملك الهيغلينغ . ــ ص ٩٩ .

هيلديبراند ــ البطل الرئيسي في الملحمة الشعبية الجرمانية القديمة «نشيد هيلديبراند» . ــ ص ١٧٩ .

www.kassioun.org

دليل الاسماء الاتنوغرافية

الآريون ـ تعبير انتشر على نطاق واسع في القرن التاسع عشر للاشارة الى شعوب المجموعة اللغوية الهندية الاوروبية . ـ ص ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٦ ، ٧٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٠ .

الالمان (Alamans) ـ مجموعة من القبائل الجرمانية . في القرنين الثالث والرابع ، انتقلت من المنطقة الواقعة بين نهري الاودر والالب الى منطقة اعالي نهر الراين ، واستوطنت تدريجيا اراضي الالزاس وسويسرا الشرقية والمانيا الجنوبية الغربية الحالية . ـ ص ١٢٠ .

الاوجليون ـ السكان البربر في واحة اوجله (ليبيا الشرقية الشمالية) . ـ ص ٦٤ .

اودجيبله (تشيبيفا) ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تعيش في القسمين الشمالي والشمالي الغربي من منطقة البحيرات الكبرى . ـ ص ١١٤ .

الاوزيبيت ـ قبيلة جرمانية كانت تقطن على الضفة اليمنى من اسافل نهر الراين ؛ في اواسط القرن الاول ق.م. ، انتقلت الى الضفة اليسرى ، ولكنها عادت الى من حيث اتت بعد ان هزمها الرومان . ـ ص ١٩٢ .

اوماها ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تعيش في حوض اواسط نهر ميسوري (ولاية نبراسكا الحالية) . ـ ص ١١٤ .

اونونداغا ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية تنتسب الى مجموعة الايروكوا . كانت تعيش في اراضي ولاية نيويورك الحالية . ـ ص ١٢١ .

www.kassioun.org

اونيدا ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية تنتسب الى مجموعة الايروكوا . كانت تعيش في اراضي ولاية نيويورك الحالية . ـ ص ١٢١ .

الايبيريون ـ مجموعة قبائل كانت تسكن في الازمنة الغابرة قسما من شبه جزيرة البيرينه وجزر البحر الابيض المتوسط الواقعة على مقربة منها والقسم الجنوبي الشرقي من فرنسا الحالية . قبيل العهد الميلادي ، اخضعها الرومان فترومنت تدريجيا . ـ ص ١٩٥ .

الايروكوا ـ مجموعة من قبائل الهنود الحمر في اميركا الشمالية ، كانت تسكن في منطقة بحيرات يري واونتاريو ، وابعد الى الجنوب ، في حوض نهر سان لوران ، وكذلك في القسم الجنوبي من جبال ابالاش . ـ ص ص ١٤ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ١٠٩ـ١١٣ ، ١١٦ ، ١١٩ـ ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٢٧ـ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٦ـ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٦٠ ، ١٧١ ، ١٨٩ ، ١٩٢ .

الايسكيفيون (الايستيفيون) ـ احدى المجموعات الاساسية من القبائل الجرمانية ؛ في مستهل العهد الميلادي ، كانت تسكن في الاراضي الواقعة على اواسط واسافل نهر الراين . ابتداء من القرن الثالث اطلق عليهم اسم الافرنج . ـ ص ١٩٤ .

الاينغيفون ـ احدى المجموعات الاساسية من القبائل الجرمانية ؛ في مستهل العهد الميلادي ، كانت تسكن سواحل بحر الشمال ابتداء من خليج زيدر ـ ذي حتى الدانمارك ؛ في القرنين الخامس والسادس ، استولت قبائل الانكل والساكس وغيرها الداخلة في تواميها على بريطانيا . ـ ص ١٩٤ .

الايونيون ـ احدى المجموعات الاساسية من القبائل اليونانية القديمة . منذ اقدم الازمنة ، استوطنت في الاتيك وفي القسم الشمالي الشرقي من شبه جزيرة البيلوبونيز ؛ فيما بعد ، استوطنت كذلك قسما من جزر بحر ايجه وسواحل آسيا الصغرى . ـ ص ص ٧٩ ، ٨١ .

www.kassioun.org

الباتافيون ـ قبيلة جرمانية كانت تسكن في مستهل العهد الميلادي بين انهر ماس والراين وقال (هولندا الحالية) . ـ ص ١٨٣ .

البارثيون ـ مجموعة من القبائل الايرانية القديمة كانت منذ الالف الاول ق . م. تسكن في القسم الشمالي الشرقي من الهضاب الايرانيـــة . في القرنين السادس والسابع بعد الميلاد ، تمثلتها الشعوب المجاورة . ـ ص ٤٢ .

الباريا ـ قبيلة تعيش في اراضي اثيوبيا الغربية واريتريا الحاليتين ، عند حدود السودان الشرقية . ـ ص ٦٤ .

البانجا ـ قبيلة هندية . ـ ص ٦٢ .

البروكتر ـ قبيلة جرمانية كانت تسكن في مستهـــل العهد الميلادي في الأراضي الواقعة بين نهري ليبّه وايمس . ـ ص ١٨٣ .

البريطانيون (Bretons) ـ مجموعة من قبائل السلـــت ، سكان بريطانيـــا القدامى ؛ نتيجة للفتح الانكلو ـ ساكسوني تعرض قسم منها للتمثـل كما ازيح القسم الآخر الى ويلس واسكتلنده وشبه جزيرة بريطانيا ـ (فرنسا) . ـ ص ص ١٨ ، ٤٩ .

الباستارن ـ قبيلة جرمانية من المجموعة القوطية ، كانت تسكن قبيل العهد الميلادي في الارض الواقعة بين جبال الكاربات ونهر الـــدانوب . ـ ص ١٩٣ .

البشاف ـ مجموعة اتنوغرافية من الشعب الجورجي تعيش اساسا في المنطقة الجبلية على اواسط نهر اراغفي وفي اعالي نهر يوري . ـ ص ١٧٢ .

البلاسج ـ مجموعة من القبائل كانت في سحيق الازمنة تسكن القسم الجنوبي من شبه جزيرة البلقان والساحل الغربي من آسيـــا الصغـــرى . ـ ص ١٢٨ .

البلجيكيون ـ مجموعة من قبائل السلت الغاليين كانت تسكن في بلاد الغـال الشماليـــة بين نهري السين والراين ، وكذلك في قسم مـــن ساحل بريطانيا الغربي . ـ ص ١٨٣ .

www.kassioun.org

البورغوند ـ قبيلة جرمانيـــة من المجموعة القوطيـة ، انتقلت قبيل العهد الميلادي من سكانديناڤيا الى الاراضي الواقعـة بين نهري الفيستـول والاودير . ثم نزحت تدريجياً في الاتجاه الجنوبي الغربي ، واستقرت نحو اواسط القرن الخامس في حوض الرون . ـ ص ص ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٤

البوكين ـ اسم احد فروع قبيلة الباستارن الجرمانيـة . وقد خلط عدد من المؤرخين القدماء هؤلاء واولئك . ـ ص ١٩٣ .

البولينيزيون ـ السكان الاصليون في بولينيزيا وبعض الجزر الصغيرة في القسم الشرقي من ميلانيزيا . ص ٢٦ .

البويبلو ـ اسم مجموعة من قبائل الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تسكن في اراضي ولايتي نيويورك واريزونا الحاليتين وفي القسم الجنوبي من ولاية كاليفورنيا وفي القسم الشمالي الغربي من المكسيك . ـ ص ص ٢٨، ٣٠ ، ١٤٠ .

البيكت ـ مجموعة قبائل كانت في الازمنة الغابرة تسكن في اراضي اسكتلنده الحالية . في اواسط القرن التاسع ، استولى عليها السكوتلنديون . ـ ص ١٧٧ .

تاميل ـ مجموعـة قبائل ، في الوقت الحاضر قوم يسكـن في طرف القسم الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة هندوستان . ـ ص ٣٣ .

التاهو ـ قبيلـة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تعيش في القسـم الشمالي من المكسيك الحالية . ـ ص ٦٤ .

التايفال ـ قبيلة جرمانية قريبة من القوط . قبل القرن الثالث ، استوطنت الساحل الشمالي من البحر الاسـود ؛ ومنه طردهـا الهون في النصف الثاني من القرن الرابع . ـ ص ٨٧ .

التراقيون ـ مجموعة قبائل كانت تعيش في الازمنة الغابرة في القسم الشرقي من شبه جزيرة البلقان . ـ ص ٦٣ .

www.kassioun.org

تشيروكي ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية تنتسب الى مجموعة الايروكوا ؛ كانت تعيش في المناطق الجنوبية من جبال ابالاش . ـ ص ١١٨ .

التنكتير ـ قبيلة جرمانية كانت تقيم على الضفة اليمنى من نهر الراين عند اسافله . في منتصف القرن الاول ق.م. ، انتقلت الى الضفة اليسرى ، ولكنها عادت الى من حيث اتت بعد ان هزمها الرومان . ـ ص ١٩٢ .

التوتونيون ـ مجموعة قبائل جرمانية كانت تسكن في شبه جزيرة جوتلند وفي منطقة اسافل نهر الالب . في اواخر القرن الثاني ق.م. ، بدأت تنزح الى اوروبا الجنوبية مع قبائل السمبر في آن واحد . هزمها الرومانيون ، فاستوطنت بقاياها منطقة النهر ماس وماين وليكار . ـ ص ١٧٧ .

التوسكارورا ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية ، تنتسب الى مجموعة الايروكوا . كانت تعيش في اراضي ولايتي فرجينيا وكارولينا الشمالية الحاليتين على ساحل المحيط الاطلسي . ـ ص ١١٣ .

التيكور ـ قبيلة هندية كانت تعيش في اوذ (حالياً قسم من ولاية اوتار براداش) . ـ ص ٥٠ .

التينه ـ مجموعة قبائل من الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تسكن في غابات القسم الغربي من كندا وفي الاسكا الداخلية وعلى ساحل المحيط الهادئ عند شبه جزيرة كيناي (الاسكا الجنوبية) . ـ ص ٤٢ .

الجرمان القدماء . ـ ص ص ٥ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٩ ، ١١٦ ـ ١٢٠ ، ١٣٦ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ـ ١٩١ ، ١٩٢ ـ ١٩٤ ، ١٩٨ ـ ٢٠٠ ، ٢٠٤ ـ ٢٠٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٣٣ .

الخفسود ـ مجموعة اتنوغرافية من الشعب الجورجي تعيش في المناطق الجبلية من جورجيا الشرقية . ـ ص ١٧٢ .

داكوتا ـ مجموعة من قبائل الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تعيش في

www.kassioun.org

حوض نهر ميسوري وفي المروج الممتدة مـــن نهر ميسيسيبي حتى الجبال الصخرية ومن كندا حتى نهر اركنزاس .ـ ص١١٤ .

الداكوتا ـ احد الاسماء المستعملة سابقا للاشارة الى مجموعات من قبائـــل الهنود الحمر التي كانت تعيش في اميركا الشمالية والتي كانت تنتسب الى العائلة اللغوية سيو ـ هوكا (الايروكوا ، داكوتا ، وغيرهم) .ـ ص ١٢١ .

الدانماركيون القدامى .ـ ص ١١٧ .

الدرافيد ـ مجموعة من الشعوب الهنديـــة ، تقطن في الوقـــت الحاضر الهند الجنوبية ، وكانت تشكل في الازمنة القديمة القسم الاساسي من سكان شبه جزيرة هندوستان .ـ ص ٣٣ .

الديلاوار ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تسكن قبيل القرن السابع عشر في الاراضـــي الواقعة على نهـــر ديلاوار وعلى اسافل نهر هودسون (من اراضي ولايـــات نيو ـ جرسي وديـــلاوار ونيويورك وبنسيلفانيا الحالية) ؛ في اواسط القرن الثامن عشر نزح الديلاوار الى وادي نهر اهايو بعد أن ضيق عليهم الاوروبيون وقبائل الايروكوا . وفي مستهل القرن التاسع عشر ، طردهم الاميركيون الى الغرب ، الى ما وراء نهر ميسيسيبي .ـ ص ٧٠ .

الدوريون ـ احدى المجموعات الاساسيـــة من القبائل اليونانية القديمة ؛ نزحت في القرنين الثاني عشر والحادي عشر ق . م . من الشمـــال الى شبه جزيرة البيلوبونيز والى جزر القسم الجنوبي من بحر ايجه .ـ ص ص ٧٩ ، ١٢٨ .

الرومـــان القـدامى .ـ ص ص ٤٢ ، ٧١ ـ ٧٢ ، ٨٦ ، ١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٦٥ـ ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ـ ١٩١ ، ١٩٣ـ ١٩٦ ، ١٩٨ـ ٢٠١ ، ٢٠٥ـ ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٣٣ .

الزنوج الاوستراليون . الاوستراليون .ـ سكان اوستراليا الاصليون .ـ ص ص ٢٦ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ .

www.kassioun.org

السابليون (القبائل السابلية) ـ احدى المجموعتين الرئيسيتين من القبائل الايطالية القديمة . ـ ص ١٠٦ .

الساموييد ـ راجعوا الملاحظة عن النتسي .

الساميون ـ تعبير انتشر على نطاق واسع في القرن التاسع عشر للاشارة الى شعوب الفرع السامي من المجموعة اللغوية السامية ـ الحامية . ـ صص ٢٩ ، ٣٠ ، ٦٦ـ٦٧ ، ٧٣ ، ٢١٠ .

السانتال ـ قبيلة هندية . في الوقت الحاضر ، قوم يسكن اراضي دائرة سانتال ـ برغاناس في ولاية بيهار . ـ ص ٦٢ .

السبرطيون القدامى . ـ صص ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ١٢٢ .

السفان ـ مجموعة اتنوغرافية من الشعب الجورجي تعيش في سفانيتيا ، في السفوح الجنوبية الغربية من سلسلة القفقاس الكبرى . ـ ص ١٧٢ .

السقيتيون (او الايسكيفيون) ـ مجموعة قبائل كانت تسكن في اراضي ساحل البحر الاسود الشمالي منذ القرن السابع ق . م . حتى القرون الاولى من العهد الميلادي . ـ ص ٤٢ .

السكوتيون (السكوت) ـ مجموعة من القبائل السلتية كانت تسكن في ارلنده القديمة ؛ نحو عام ٥٠٠ ، انتقل قسم من السكوت الى اراضي سكوتلنده الحالية ؛ في اواسط القرن التاسع ، استولوا على البيكت . ـ ص ١٧٧ .

السلاف القدامى . ـ ص ١١٧ .

السلت ـ مجموعة من القبائل المتقاربة كانت في الازمنة الغابرة تسكن في القسمين الاوسط والغربي من اوروبا . ـ صص ٥ ، ٦٣ ، ٧٤ ، ١١٨ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٨٣ .

السلت الغاليون ، الغاليون ـ مجموعة من القبائل السلتية كانت تسكن في بلاد الغال القديمة (اراضي فرنسا وايطاليا الشمالية ، وبلجيكا ، واللوكسمبورغ ، وقسم من هولندا وسويسرا حاليا) ؛ في مستهل العهد الميلادي ، اخضعها الرومانيون . ـ صص ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

www.kassioun.org

السمبر ـ مجموعة من قبائل جرمانية كانت تسكن في شبه جزيرة جوتلند ؛ في اواخر القرن الثاني ق . م . ، شرعت تنزح الى اوروبا الجنوبية مع قبائل التوتونيين في آن واحد ؛ هزمها الرومانيون ، فاستوطنت بقاياها منطقة انهر مآس وماين ونيكار . ـ ص ١٧٧ .

السوبيف ـ مجموعة قبائل جرمانية كانت تسكن حوض نهر الالب قبيل العهد الميلادي . ـ صص ١١٧ ، ١٧٧ ، ١٨٥ ، ١٨٦ .

سينيكا ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية تنتسب الى مجموعة الايروكوا . كانت تعيش في اراضي ولاية نيويورك الحالية . ـ صص ٣٣ ، ٥٩ ، ١٠٩ ـ ١١٦ ، ١٢١ .

الشاوني ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تعيش على ضفاف نهر سافانا (في اراضي ولايتي جورجيا وكارولينا الجنوبية الحاليتين). ـ ص ٧٠ .

الشركس ـ اسم واسع الانتشار قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية الكبرى لمجموعة من الاقوام الجبلية الاديغية في القفقاس الشمالي الغربي (الاديغيون والشركس والكاباردیون) . ـ ص ١٧٢ .

الشيبيوي (الشايبيواي) ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تعيش في الاراضي الواقعة بين الجبال الصخرية وخليج هودسون . ـ ص ٤٢ .

الطورانيون ـ اسم كان يطلق فيما مضى على سكان منخفض طوران . ـ ص ٢١٠ .

غاوورا (غاودا) ـ قبائل هندية في البنغال الغربي . ـ ص ٣٣ .

الفارلي ـ قوم هندي يعيش في اراضي ولاية بومباي الحالية وجزئيا في المناطق الشمالية من ولاية مدهيا ـ براديش الحالية . ـ ص ١٧٢ .

الفرس القدامى . ـ ص ٤٢ .

الفرنج (الافرنج) ـ مجموعة قبائل جرمانية كانت معروفة قبل القرن الثالث باسم قبائل الايسكيفيين او الايستيفيين . كانت تقطن الارض الواقعة

www.kassioun.org

على اواسط واسافل نهر الراين . منذ القرن الثالث ، شرعت تستولي على اراضي غاليا (بلاد الغال) ، وانجزت عمليات الاستيلاء في اوائل القرن السادس .ـ ص ص ١٩٠ ، ١٩٣ـ١٩٤ ، ٢٠١ـ٢٠٤ ، ٢٠٦ .

الفرنج الساليون ـ احد الفرعين الرئيسيين للقبائل الجرمانية من المجموعة الافرنجية (الفرنجية) ؛ نحو اواسط القرن الرابع ، استوطنوا ساحل بحر الشمال من مصب نهر الراين الى شلدا ؛ فيما بعد ، استقروا في اراضي غاليا الشمالية .ـ ص ٢٠١ .

الفينيقيون ـ سكان فينيقيا القديمة .ـ ص ١٤٢ .

القبائل ـ مجموعة من قبائل البربر في الجزائر تسكن في جبال الجرجرة والمناطق الجبلية من اقليم قسنطينة وجبل اورس .ـ ص ٧٥ .

القبائل الايطالية ، الايطاليون ـ قبائل كانت في الازمنة الغابرة تقيم في شبه جزيرة ابنينو . شكلت المجموعتان الرئيسيتان من هذه القبائل اللاتين والسابليين .ـ ص ص ٣٠ ، ٧٢ .

القبائل القوطية (الغوطية) ـ احدى المجموعات الاساسية من القبائل الجرمانية . في مستهل القرن الميلادي ، هاجرت من سكاندينافيا الى حوضي نهري الفيستول والاودير .ـ ص ص ١٧٧ـ١٧٩ ، ١٩٣ .

القبائل اللاتينية ـ احدى المجموعتين الرئيسيتين من القبائل الايطالية القديمة . واليها كان ينتسب الرومان القدامى .ـ ص ص ٧٢ ، ١٥٩ ، ١٦٦ .

قدماء الآثينيين .ـ ص ص ٨٠ـ٨١ ، ١٤٤ـ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .

قدماء اليونانيين (الاغريق القدامى) .ـ ص ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٧١ ، ٧٨ـ٨٢ ، ٨٦ ، ١٠٧ ، ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٢٧ـ١٢٩ ، ١٣١ـ١٣٨ ، ١٤٧ـ١٤٨ ، ١٦٧ـ١٦٨ ، ١٨٠ـ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٨ .

القوط (الغوطيون) ـ القبيلة الجرمانية الاساسية من المجموعة القوطية ؛ قبيل العهد الميلادي ، نزحت من سكاندينافيا الى منطقة اسافل

www.kassioun.org

الفيستول ، ونحو القرن الثالث ، الى المنطقة الشمالية من سواحل البحر الاسود ؛ ومنها طردها الهون في القرن الرابع . كان القوطيون ينقسمون الى القوط الشرقيين الذين شكلوا في اواخر القرن الخامس مملكة لهم في شبه جزيرة ابنينو ، والقوط الغربيين الذين شكلوا في اوائل القرن الخامس مملكة لهم في بلاد الغال الجنوبية في البدء ، ثم في شبه جزيرة البيرينه . ـ ص ١٦٧ .

الكارايب (الكاريب) ـ مجموعة من قبائل الهنود الحمر في اميركا الجنوبية . كانت تسكن في اراضي البرازيل الشمالية والوسطى وفي المناطق المتاخمة لها من فينيزويلا وغويانا وكولومبيا . ـ ص ٤٢ .

الكارين ـ مجموعة قبائل ، في الوقت الحاضر قوم يعيش في القسم الجنوبي الشرقي من بورما . ـ ص ٤٢ .

الكافيات (الكافياك) ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تعيش على سواحل مضيق بيرينغ . ـ ص ٤٢ .

كاميلاروي ـ قبيلة اوسترالية كانت تعيش في حوض نهر دارلينغ (القسم الغربي من اوستراليا) . ـ ص ٥٤ .

كايوغا ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية تنتسب الى مجموعة الايروكوا . كانت تسكن في اراضي ولاية نيويورك الحالية . ـ ص ١٢١ .

الكفر ـ الزولو ـ (الاسم الصحيح ـ الزولو) ـ قوم من افريقيا الجنوبية الشرقية . ـ ص ١٢٦ .

الكوتار ـ قبيلة هندية تسكن في منطقة جبال نيلغيري (القسم الغربي من ولايتي مدراس وميسور الحاليتين) . ـ ص ٦٢ .

الكوكوس ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الجنوبية كانت تعيش في اراضي التشيلي الحالية . ـ ص ٤٢ .

الكلميك ـ قوم مغولي الاصل . حتى اواخر القرن السادس عشر ، كان الكلميك يعيشون في سهوب جونغاريا بآسيا المركزية . في النصف الثاني من القرن السابع عشر ، رحلوا الى المناطق الجنوبية الشرقية من روسيا واستوطنوا اسافل نهر الفولغا . ـ ص ١٧٢ .

www.kassioun.org

اللومبارد ـ قبيلة جرمانية ؛ قبل بداية القرن الخامس ، كانت تعيش على الضفة اليسرى من اسافل نهر الالب ؛ ثم انتقلت الى حوض اواسط نهر الدانوب ، وفيما بعد الى ايطاليا الشمالية والوسطى . ـ ص ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

الليغوريون ـ مجموعة من قبائل كانت في صحيق الازمنة تسكن القسم الاكبر من شبه جزيرة ابنينو . في القرن السادس ق . م . طردتها القبائل الايطالية الى القسم الشمالي الغربي من شبه جزيرة ابنينو والى القسم الجنوبي الشرقي الساحلي من بلاد الغال . في مستهل العهد الميلادي اخضعها الرومان فترومنت تدريجيا . ـ ص ١٩٥ .

الماغار ـ قبيلة . في الوقت الحاضر قوم يسكن المناطق الغربية من النيبال . ـ ص ص ١٤ ، ١٧٢ .

المانيبوري ـ قوم هندي يسكن في اراضي ولاية مانيبور الحالية . ـ ص ١٧٢ .

المكسيكيون ـ سكان المكسيك الاصليون . ـ ص ص ٢٨ ، ١٢٢ ، ١٤٠ ، ١٨٠ ،

المكسيكيون الجدد ـ راجعوا الملاحظة عن البويبلو .

موهاوك (موهافك) ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية تنتسب الى مجموعة الايروكوا ؛ كانت تعيش في اراضي ولاية نيويورك الحالية . ـ ص ١٢١ .

الميامي (المايامي) ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية ، كانت في القرن السابع عشر تعيش على الضفة الغربية من بحيرة ميشيغان ؛ في مستهل القرن الثامن عشر ، نزحت الى اراضي ولايات ايلينويس وانديانا واوهايو الحالية ؛ ثم طردها الاميركيون الى الغرب ، الى ما وراء نهر ميسيسيبي . ـ ص ٧٠ .

النايير (النايار) ـ الفئة المغلقة العسكرية العليا من شعب المالايالي الهندي القاطن في اراضي ساحل مالابار . ـ ص ٧٧ .

www.kassioun.org

النتسي ـ قوم يعيش في المناطق الشمالية من الاتحاد السوفييتي من الساحل الشرقي للبحر الابيض حتى اسافل نهر ينيسيي وفي جزيرتي كولغويف وفاغاتش وفي جزء من الارض الجديدة . ـ ص ١٧٢ .

النوبيون ـ قوم افريقي يقطن القسم الشمالي من السودان الشرقي والقسم الجنوبي من مصر . ـ ص ١٢٦ .

النوتكا ـ مجموعة من قبائل صغيرة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تقيم في القسم الجنوبي الغربي من جزيرة فانكوفر وعلى ساحل القارة عند رأس فلاتيري . ـ ص ٢١ .

النورمنديون ـ قبائل جرمانية كانت تسكن في جوتلند وسكاندينافيا . في مرحلة القرون الوسطى الباكرة ، الاسم المشترك لقدماء النروجيين والاسوجيين والدانماركيين . ـ صص ٣٠ ، ٢٠٣ .

النوريكيون ـ مجموعة من القبائل الايليرية السلتية كانت تعيش في اراضي مقاطعة نوريك الرومانية القديمة (حاليا اراضي شتيريا وقسم من كارينتيا في النمسا) . ـ ص ١٩٥ .

الهايدا ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية كانت تعيش في جزيرة الملكة شارلوت والقسم الجنوبي من جزيرة الامير ويلس . ـ ص ٢١٠ .

الهرمينون ـ احدى المجموعات الاساسية من القبائل الجرمانية ، كانت في مستهل العهد الميلادي تسكن الاراضي الواقعة بين نهري الالب والماين ؛ كانت هذه المجموعة تضم قبائل السوبيف واللومبارد والماركومانيين والهاتيين وغيرها . ـ صص ١٧٧ـ١٧٨ ، ١٩٤ .

الهو ـ قبيلة هندية تعيش في القسم الجنوبي من ولاية بيهار الحالية . ـ ص ٦٢ .

الهون ـ شعب من الرحل في آسيا المركزية كانوا يعيشون في مستهل العهد الميلادي الى الشمال والغرب من نهر هوانهي . منذ القرن الاول ، شرع قسم من الهون يتحركون باتجاه الغرب ؛ ونحو اواسط القرن الخامس تحركوا حتى غاليا (بلاد الغال) حيث هزمهم الرومان وغيرهم من شعوب اوروبا . ـ ص ٤٢ .

www.kassioun.org

الهنود الحمر ـ سكان اميركا الاصليون . ـ ص‌ص ٥، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٣ـ٣٤ ، ٥٢ ، ٥٧ـ٦٤ ، ٦٧ـ٦٨ ، ٧ ، ٨٦ ، ١٠٧ ، ١١٣ـ١٢٢ ، ١٢٤ـ١٢٦ ، ١٢٨ـ١٢٩ ، ١٣٣ـ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٨ـ٢١٠ .

الهنود الحمر في اميركا الشمالية ـ راجعوا الملاحظة بشأن الهنود الحمر .

الهنود الحمر الاميركيون . الاميركيون . ـ راجعوا الهنود الحمر .

الهنود ، قبائل الهنود ـ سكان الهند الاصليون . ـ ص‌ص ٣٣ ، ١٧٢ .

الهيرول ـ قبيلة جرمانية ، كانت تعيش في مستهل العهد الميلادي في شبه جزيرة سكانديناڤيا ؛ في القرن الثالث نزح قسم من الهيرول الى المنطقة الشمالية من سواحل البحر الاسود ؛ ومنها طردهم الهون . ـ ص ٨٧ .

الويلسيون (الفاليون) ـ قوم سلتي الاصل ؛ يقطنون شبه جزيرة ويلس وجزيرة انجلسي . ـ ١٧٧ .

يري ـ قبيلة من الهنود الحمر في اميركا الشمالية تنتسب الى مجموعة الايروكوا . كانت تعيش في منطقة بحيرة يري .. ص ١٢٦ .

www.kassioun.org

محتويات

مقدمة الطبعة الاولى عام ١٨٨٤ . . . . . ٣
مقدمة الطبعة الالمانية الرابعة عام ١٨٩١ . مساهمة في
تاريخ العائلة البدائية (باهوفن ، ماك ـ لينان ، مورغان) . ٦
اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة . لمناسبة ابحاث
لويس هنري مورغان ٢٤
١ . اطوار الحضارة ما قبل التاريخ ٢٤
١ ـ الوحشية ٢٥
٢ ـ البربريـــة ٢٧
٢ . العائلـــة ٣٢
٣ . عشيرة الايروكـــوا ١٠٧
٤ . العشيرة اليونانية ١٢٨
٥ . ولادة الدولة الاثينية ١٤١
٦ . العشيرة والدولة في روما ١٥٦
٧ . العشيرة عند السلت والجرمـــان ١٧١
٨ . تكوّن الدولة عند الجرمان ١٩٢
٩ . البربرية والحضـــارة ٢٠٨
من الـدار ٢٣٧
ملاحظـــات ٢٤٣
دليل الاسماء ٢٦٩
الشخصيات الادبيـــة والاسطورية ٢٨٣
دليل الاسماء الاتنـوغرافية ٢٨٩

www.kassioun.org

الى القراء

ان دار التقدم تكون
شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمـــــة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم

العنوان : زوبوفسكى بولفار ، ١٧
موسكو ــ الاتحاد السوفييتى